

ارعَ
قلب
طفلك
تيد تريب

اهداءات ٢٠٠٢

كنيسة الانجيلية بالعطارين

الاسكندرية

ارعَ قلب طفلك

تأليف

تيد تريب

ترجمة

هايدي فوزي

مراجعة

د.ممدوح حليم



طبعة أولى ديسمبر ٢٠٠١

English Title: **Shepherding a child`s heart** ارعَ قلب طفلك

Author : **Tedd Tripp** المؤلف: تيد تريب

ترجمة: هايدي فوزي

مراجعة: د. ممدوح حليم

Published in Arabic : الناشر باللغة العربية:-

Lighthouse Book Center مكتبة المنار

17,Murad El-Sherei st., ١٧ش مراد الشريعي

Saint Fatima. Heliopolis, سانت فاتيما ــ مصر الجديدة

Cairo, Egypt.

Tel: (02)6395030 تليفون: ٦٣٩٥٠٣٠ (٠٢)

Fax: (202)2403848 فاكس: ٢٤٠٣٨٤٨ (٢٠٢)

Mobil: 012/3233352

رقم الإيداع : ٢١٤٤ / ٢٠٠٢

الترقيم الدولي : 977-5674-60-3

المحتويات

المحتويات

المحتويات

تقديم

لقد تشجعت على الكتابة في هذا الموضوع لأنني أؤمن أن مجتمعنا وبالتالي الكنيسة، في احتياج شديد لإلقاء الضوء على البعد الكتابي لمهمة الآباء.

كـان هدفي تطبيق المبادئ التي رأيتها تثمر ثماراً رائعة في حياتي، وفي خدمة المشورة والخدمة الرعوية التي أعطاها لي الرب.

وأشـكر أولاً، أسـرتي التي كانت تعضدني خلال هذا الوقت الطويل والصعب الذي اسـتغرقته في عملـية الكـتابة. إنها ليست مهمة سهلة على الواعظ أن يصبح كاتباً. شكراً لزوجتي العزيزة مارجي، التي قرأت هذا الكتاب عدة مرات أكثر مما يتذكر أي شخص فيـنا. يجـب أن أشـكرها عـلى إعـادة صياغة الكلمات وهي تقوم بدورها عدة مرات. أما أطفـالي الذيـن كـبروا الآن، تـيد، هيـثر، آرون، فقد كانوا راغبين في أن يقدموا أنفسهم كأمثلة توضيحية. أما زوجة تيد، فقد كانت مساعدتها عظيمة في الخطوات الأخيرة قبل النشـر. لقـد شـجعني نشاطهم ومحبتهم الغيورة لله عدة مرات عندما شعرت باليأس من إتمام هذه المهمة.

أمـا أعضاء الكنيسة، الذين أحببتهم وتعلمت منهم خلال ٢١ سنة، فكان لهم تأثير عظـيم في مسـيري مع الله، وفي محتويات هذا الكتاب. لقد ساعدوني على تنقيح الأمور التعليمـية هـنا من خلال دورات تدريبية عديدة. أما زملائي الشيوخ ورجال الكنيسة فقد خدموني بأمانة وشجعوني على الاستمرارية في العمل في عدة مناسبات عندما كنت أنوي التوقف عن إعداد الكتاب.

لقـد كـان هـناك الكـثير مـن القـراء الأمناء، منهم: دانيال بوهيرت، وجين كانون،

وماريسا سيزيك. وجون وجوس هيني. وكيلي نولدن. وجين م. نييل، وتيد. فيناتيري وجاي وروث يونتس. كانت نصائحهم وتوجيهاتهم المقنعة لي مهمة في تنقيح الكتاب.

كما أتوجه بشكر خاص لديفيد بوليسون وجاي أ. آدمز من الهيئة المسيحية للمشورة والتعليم. كان تعليم ديفيد نموذجاً للروحانية الحقيقية التي كنت أهدف لتطبيقها في مهمة تربية الأطفال. أما جاي آدمز، فقد ساعد في أن يجعلني أكثر حدة مثلما "يجعل الحديد أكثر حدة"، لذا فأنا مديون له.

ليبارك الرب كل هذه الأشياء لتساعد في نمو البذار المقدسة في كنيسته.

تيد تريب

يوليو ١٩٩٥

افتتاحية

إنه كتاب رائع، فتيد تريب يعرف ما يتكلم عنه ويعرف من الذين يتكلم إليهم. فهو يعرف الأطفال، ويعرف الآباء ... ويعرف أيضاً طرق الله.

تعطيك معظم الكتب التي تتحدث عن الأبوة والأمومة النصائح، إما عن تشكيل وكبح سلوكيات الأطفال أو عن كيف تجعلهم يعتقدون أن أحوالهم على ما يرام. تعتبر السيطرة (على الأطفال) أو تحقيقهم لذواتهم هدف تربية الأبناء. إن "السيطرة" تجعل رغبات الوالدين في المنزلة الأولى. أما "تحقيق الذات" فيجعل رغبات الأطفال في هذه المنزلة.

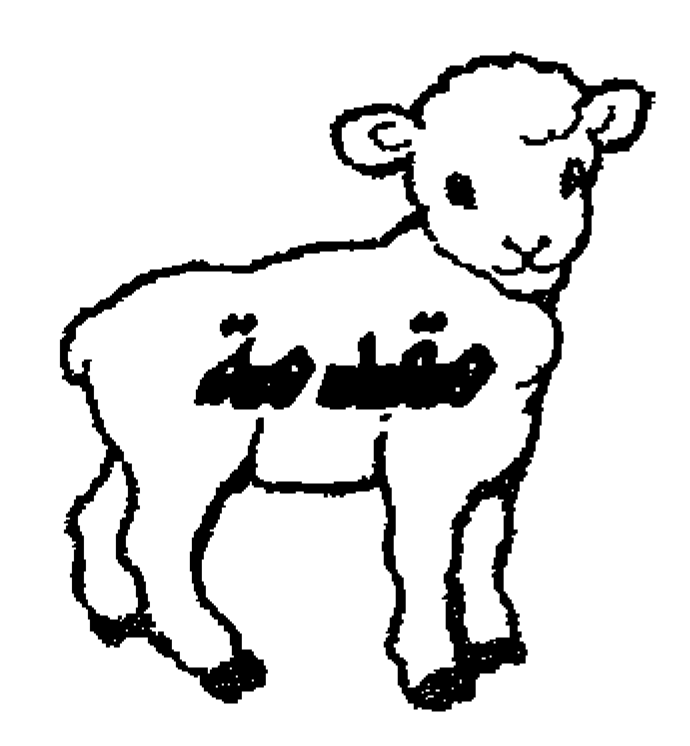
يحتوي كتاب *"ارعَ قلب طفلك"* على شيء مختلف. إنه يعلمك ماذا يجب أن تكون أهدافك كأب، وكيف تصل لهذه الأهداف بصورة عملية. كما يعلمك كيف تشغل الأطفال بالأمور الهامة فعلاً، كيف تخاطب قلب الطفل بكلماتك وأفعالك. ويعلمك كيف يتناغم الاتصال والتأديب معاً عندما يحب الآباء بحكمة. يعلمك كيف يجب أن تتغير أهدافك مع نمو الرضع إلى مرحلة الطفولة، ونمو الأطفال إلى سن المراهقة، وهكذا ستجد أن كتاب *"ارعَ قلب طفلك"* يجعلك تنضج. إنه سيلهمك لتصبح والداً من نوع مختلف. سيعلمك هذا من خلال المبادئ والنماذج.

لا تفهم معظم الكتب التي تتحدث عن الأبوة والأمومة ماذا يشبه الأطفال والآباء، ومن ثم يبنون نصائحهم على أساس لا يتمشى مع الكتاب المقدس، ومع حقيقة الإنسان. تتراوح نصائحهم بين الحسنة والسيئة، لأنها تقوم على أساس خاطئ. أما كتاب تيد تريب عن الأبوة والأمومة فمختلف، إذ حجر الأساس موضوع بدقة. الكتاب يفهمك ويفهم طفلك حقاً، لذا فهو يقودك في طرق مستقيمة وحكيمة. يعطيك تريب رؤية عملية، فلا تحتاج للمزيد من التساؤلات.

إن تيد تريب أب، وراعٍ، ومشير، ومعلم ممتاز، بل وأكثر من هذا ... فهو رجل استطاع أن يصغي جيداً لله وقد ناضل كثيراً في تربية الأطفال. استمع له جيداً، وناضل في رعاية قلب طفلك.

ديفيد بوليسون

الهيئة المسيحية للمشورة والتعليم



فشلت "جنيفر" في القيام بواجبات المدرسة المنزلية. وقد دعت معلمتها أهلها أن يساعدوها بصورة ملحة، ولم يستطيعوا مساعدتها ... فلم تكن "جنيفر" – ذات الاثني عشر عاماً – تطيعهم، لم تكن تحت سلطانهم. وكانوا يرجون أن تقدم المدرسة التوجيه والدوافع التي لم يستطيعوا أن يقدموها لابنتهم.

ليست هذه القصة غير معتادة. ففي سن ١٠–١٢ سنة، يكون عدد كبير من الأطفال قد ترك المنزل بالفعل (في الغرب). وأود أن أشير أيضاً إلى أعداد الأطفال الذين، في نفس السن، يكونون قد تركوا بالفعل والديهم كسلطة أو كمرجعية في حياتهم.

لقد ضلت ثقافتنا طريقها فيما يتعلق بالأبوة. فنحن مثل باخرة لا توجد بها دفة أو بوصلة للطريق، فنفتقد كلاً من الإحساس بالإتجاه، والقدرة على توجيه أنفسنا.

كيف حدث هذا؟ لقد اجتمعت مشاكل كثيرة عند هذا المفترق في وقتنا هذا وفي ثقافتنا.

الكثير من الناس لديهم أطفال، ولكنهم لا يرغبون في أن يصبحوا آباء. لقد اقنعتهم ثقافتنا أنهم يحتاجون إلى إرواء عطشهم الشخصي للإنجاز. وفي ثقافة الإنشغال الذاتي، يصبح الأطفال عائقاً واضحاً.

وهكذا، يقضي الآباء وقتاً قليلاً مع أطفالهم. إن فكرة نوعية الوقت أكثر جاذبية من الفكرة القديمة عن كمية الوقت.

إن آباء اليوم هم جزء من جيل طرح عنه المسئولية. لقد شكلت العرقية

والاحـتجاجات المضـادة لـلحروب خـلال السـتينات من القرن العشرين أفكارهم. كانت حركة الاحتجاجات هي الأساس. فغيرت طريقة تفكيرنا عن السلطة وحقوق الفرد.

ونتـيجة لهذا، لم يصبح مقبولاً ثقافياً أن يكون الوالد هو صاحب السلطة في البيت، ولم تعـد الأم تطـيع مـا يقوله الأب، أو تتظاهر بالطاعة. أما الأب، من جانبه، فلم يعد يحيا في مخافة المسئولية أو الخوف من الميل إلى التقلب في الرأي. كان الرؤساء في الماضي يستخدمون السلطة لإنجاز أهدافهم. أما اليوم فالرؤساء يستخدمون المكافآت والحوافز.

مـاذا أقصـد مـن كـل هذا؟ ببساطة أقصد: أن الأطفال الذين يتربون في هذا المناخ لم يعودوا يجلسون في صفوف مرتبة ومنظمة في مدارسهم، لا يستأذنون في الكلام، لا يرهبون نتائج الحديث من خلف ظهور آبائهم، ولا يقبلون أن يعيشوا في دور الخاضع في الحياة.

ما هي نتائج هذا على الأبوة؟ إن الطرق القديمة للأبوة والتربية لا تصلح الآن. الطرق الفاشسـتية القديمـة لم تعـد مجدية. ولكننا لا نعرف أي طرق أخرى جديدة للقيام بهذا العمل.

لقـد استعارت الكنيسة المبدأ القديم القائل: "استمع لي أيها الطفل وإلا سألطمك" في تربـية الأطفال. ويبدو أن هذا المبدأ فعال. يبدو أن الأطفال أطاعوا، لكنهم خضعوا ظاهرياً فقـط ... وهكذا لم تعد هذه الطريقة ذات فعالية أيضا، فثقافتنا لم تعد تستجيب للسلطة كمـا كانـت في جـيل مضـى. نحـن نـرثي فقـد هذه الطريقة في تربية الأطفال إذ افتقدنا بساطتها. أخاف، على أية حال، أن نكون قد تغاضينا عن طرقها وأهدافها غير الكتابية.

إن آباء اليوم محبطون ومتحيرون، فلا يتصرف الأبناء كما يجب والآباء لا يعرفون ما السـبب وراء هذا. انتهى البعض إلى أن المهمة مستحيلة، والبعض الآخر ببساطة تراجع في إحـباط، وآخـرون ظلـوا يحـاولون العمـل بطـرق تعـامل "جـون وايـن" القديمـة في

الخمسينات. في أثناء ذلك، ضاع جيل بأكمله من الأطفال.

لقد ضاعت ثقافتنا الإنجيلية تماماً مثلما تاه مجتمعنا بمعناه الواسع، إننا نفقد أطفالنا. إن آباء الأطفال الصغار يحيون في خوف قاتل من سن المراهقة والبلوغ. إن آباء المراهقين يذكرونهم باستمرار أن يومهم آت. عندما أصبح لدي ثلاثة أطفال مراهقين، كان الناس يعزونني. فإن توقع المشاكل يزداد مع نمو الأطفال.

إن غرض هذا الكتاب هو التأكيد على أن الحالة ليست ميئوساً منها. تستطيع أن تربي الأطفل بطرق إلهية في أوائل القرن الواحد والعشرين. أنت لا تحتاج – بل، لا تجرؤ – على الاعتقاد بأن المهمة مستحيلة. إن الخبرة تعلمنا أن الفشل حتمي، ولكن الخبرة فقط هي مرشد غير مأمون.

إن المرشد الآمن الوحيد هو الكتاب المقدس، فهو إعلان من الله الذي لديه المعرفة المطلقة لذلك فهو يستطيع أن يعطيك الحق المطلق. لقد أعطاك الله إعلاناً قوياً وكاملاً. فيقدم لك صورة شاملة ودقيقة للأطفال، والآباء، والحياة الأسرية، والقيم، والتدريب، والتنشئة، والتأديب – كل ما تحتاجه هو أن تتهيأ لمهمة الأبوة.

لم يَثبُت أن طرق الله ناقصة، ولكنها لم تُجرب بعد. تعكس الكنيسة مشاكل المجتمع والثقافة لأنها لم تطبق مبادئ الأبوة بحسب الكتاب في الجيل السابق. نحن فقط نقوم بما نشعر أنه فعَّال، وبكل أسف، مازلنا نحاول أن نقوم به، ورغم ذلك، وبسبب التغيرات التي تحدث في ثقافتنا، فإن هذه الطرق أيضاً لم تعُد مجدية.

دعني ألقي نظرة على الرؤية الكتابية لمهمة الأبوة. إن مهمة الأبوة متعددة الأوجه، فهي تحمل بين طياتها كونك صاحب سلطة، حنوناً وراعياً لأطفالك لفهم أنفسهم في عالم الله، كيف تجعل الإنجيل واضحاً، فيستطيع أطفالك جعله باطنياً داخلياً ويوماً ما

يحيون معك بصورة تبادلية كأشخاص تحت سلطان الله.

السلطة

يدعو الله خليقته لكي تحيا تحت السلطان. وهو صاحب السلطان في حياتنا، وقد أعطى الرب هذا السلطان للناس من خلال المؤسسات التي أسسها (المنزل، الكنيسة، الولاية [المحافظة]، العمل). فلا يجب أن ترتبك عندما تكون صاحب سلطان على أطفالك. فأنت تمارس سلطاناً كوكيل لله. فلا يجب أن توجه أطفالك بحسب برنامجك أو اقتناعاتك، وإنما توجههم بحسب مشيئة الرب لأجل صالحهم.

تميل ثقافتنا إلى أطراف القضية، واتجه اهتمامنا بشدة نحو مبدأ "جون واين" في إخضاع الفرد وحقوقه أو إلى التساهل التام. إن الله يدعوك من خلال كلمته ومثاله، أن تكون صاحب سلطة رقيقاً وحنوناً. لقد دعاك الله أن تمارس السلطة، لا من خلال جعل أطفالك يفعلون ما تريد، وإنما من خلال أن تكون حقاً خادماً مسئولاً يضع نفسه وحياته لأجلهم. إن قصد السلطة الممنوحة لك في حياة أطفالك ليس أن تخضعهم لقوتك، وإنما أن تجعلهم قادرين على أن يسيطروا على أنفسهم ليعيشوا بحرية تحت سلطان الله.

إن يسوع مثال لهذا، فعلى الرغم من أنه صاحب الوصية يمتلك كل السلطان، جاء إلينا كخادم. فهو الحاكم الذي يخدم، وهو أيضاً الخادم الذي يحكم. لقد مارس السلطان المطلق الحنون. إنه يمارس سلطانه لصالح الخاضعين له. في (يوحنا ١٣ : ٣)، أخذ يسوع – الذي كان يعلم أن الآب قد وضع كل الأشياء تحت سلطانه – منشفة وأتزر بها وغسل أرجل تلاميذه. وحين يخضع شعبه لسلطانه، ينالون قوة للعيش بحرية الإنجيل.

وكأب، يجب أن تمارس السلطان. يجب أن تطلب الطاعة من أولادك فهم مدعوون

من قبل الله لطاعتك وإكرامك. يجب أن تمارس السلطان على أبنائك. ليس كمراقب قاس، وإنما كشخص يحبهم حقاً.

إن الآباء الذين هم "حكام صالحون" لا يجدون أطفالهم عادة يسرعون لمغادرة المنزل[1]. نادراً ما يهرب الأطفال من منزل تُسدد فيه احتياجاتهم. من هذا الذي يهرب من علاقة يشعر فيها أنه محبوب ومحترم؟ أي طفل يهرب من شخص يفهمه، ويفهم الله وطرقه، ويفهم العالم ونظامه، وملتزم بأن يساعده لكي ما يكون ناجحاً؟

بعد ٢٥ سنة من عملي في إدارة مدرسة، وأبوتي، وعملي الرعوي والمشوري .. وجدت أن الأطفال بصفة عامة لا يقاومون الشخص صاحب السلطان الذي هو حقاً حنون وغير أناني.

الرعاية

إن كانت "السلطة" هي أفضل ما يشرح العلاقة بين الآباء والأبناء، فإن أفضل ما يشرح فعالية ونشاط الأبوة هي "الرعاية" إن الوالدين هما مرشد الطفل. وعملية الرعاية هذه تساعد الطفل على فهم نفسه وفهم العالم الذي يحيا فيه. يرعى الوالدان الطفل ليقيم نفسه واستجاباته. يرعى الوالدان الطفل لكي لا يفهم فقط ماهية تصرفاته، ولكن لكي يفهم أيضاً أسباب هذه التصرفات. وكراع فأنت تريد أن تساعد طفلك على فهم نفسه كخليقة خلقها الله لأجله. أنت لا تستطيع أن تشرح له كل هذه الأمور بكل بساطة عن طريق الإرشادات؛ وإنما يجب أن تقوده في طريق من الاكتشافات. يجب أن ترعى أفكاره، وتساعده على أن يتعلم التمييز والحكمة.

[1] *ترك الأبناء لمنازل أسرهم في سن مبكرة ليعيشوا مستقلين ظاهرة مقلقة في الغرب (المحرر).*

عملـية الـرعاية هـذه هـي تفاعل أغنى من إخبار الطفل بما يجب أن يفعله أو يفكر فـيه. إنهـا تشـمل اسـتثمار حياتك في طفلك في تواصل مفتوح وأمين يوضح معنى الحياة والقصـد مـنها. إن الأمـر لـيس مجـرد توجـه، إنـه توجه فيه انفتاح ومشاركة. إن القيم والحيوية الروحية لا يتم ببساطة تعلمها، بل إنها تُلتقط.

يخبرنا سفر الأمثال (١٣: ٢٠): "المساير الحكماء يصير حكيماً" وكأب حكيم، فإن هدفك ليس مجرد المناقشة، إنما تصوير نضارة وحيوية الحياة المعاشة في سلامة تجاه الله والأسرة. إن الأبوة هي رعاية قلوب أطفالك في طرق الله الحكيمة.

مركزية الإنجيل

يسـألني الـناس بصـورة متكررة عما إذا كنت أتوقع أن يصبح أطفالي مؤمنين أم لا. وعـادة مـا أجيـبهم بـأن بشـارة الإنجيل قوية وجذابة، فهي تسدد احتياجات البشرية الساقطة بصورة فريدة، وبناء على ذلك، توقعت أن تكون كلمة الله هي قوة الله المخلصة لأبـنائي. ولكـن هـذا التوقع كان مؤسساً على قوة بشارة الإنجيل ومناسبتها لاحتياجات الإنسان، وليس على صيغة صحيحة لجعل الأبناء يؤمنون.

إن الـبؤرة الرئيسـية للأبـوة هـي الإنجـيل، تحـتاج ببسـاطة لا أن توجه سلوكيات أطفـالك، وإنمـا اتجاهـات قلوبهـم. تحـتاج أن تُظهـر لهم ماهية الخطية والسقوط، بل وتعلـيل ذلـك أيضـاً. إن أطفـالك يحـتاجون بشـدة أن يفهمـوا مـا الـذي فعلوه من خطأ خـارجي، وإنمـا الأهـم أن يعرفوا السبب الداخلي لما فعلوه. يجب أن تساعدهم لكي ما يفهموا أن الله يعمل من الداخل إلى الخارج. وبناء على ذلك، فإن هدف أبوتك لا يجب أن يكون إنتاج أطفال ذوي سلوك جيد. وإنما يجب أن يفهم أطفالك أيضاً لماذا يخطئون وكيف يحدثون تغييراً داخلياً.

أحياناً يعطي الآباء أطفالهم مستوى قياسياً يمكن المحافظة عليه. إنهم يتعقدون أنه إن كان أطفالهم غير مؤمنين، فإنهم لا يطيعون الله من قلبهم بأي حال من الأحوال. على سبيل المثال، فإن الكتاب المقدس يطالبنا بأن نحسن معاملة المسيئين إلينا. ولكن عندما يهاجمهم الأطفال في فناء المدرسة، يخبرهم الآباء أن يتجاهلوا هذه المؤامرة؛ أو أحياناً ما هو أسوأ، فيطالبونهم بأن يقابلوا هذه الإساءة بمثلها.

يقود هذا المبدأ غير الكتابي الأطفال بعيداً عن الصليب. إنه لا يأخذ نعمة من الله ليتجاهل الإساءة. وأنت لا تحتاج إلى نعمة خارقة من الله ليقف بجانبك. لكي ما يحسن الطفل لمن يعادونه، أو يصلي للمسيئين إليه، أو لكي يستودع نفسه للديان العادل، فإن هذا يتطلب من الطفل أن يأتي وجهاً لوجه بضعف نفسه واحتياجه لقوة الإنجيل المُغيرة.

إن شريعة الله ليست سهلة للإنسان الطبيعي. فهي نموذجية، وعالية، ولا يمكن إتمامها بعيداً عن نعمة الله الخارقة للطبيعة. تعلمنا شريعة الله عن احتياجنا للنعمة. عندما تفشل في التمسك بمقاييس الله، فإنك تبتعد بأطفالك عن رحمة الإنجيل.

باطنية الإنجيل

وأخيراً، يجب على أطفالك أن يجعلوا رسالة الإنجيل أمراً باطنياً. فكل طفل في بيت مسيحي سيمتحن في وقت ما متطلبات بشارة الإنجيل، ويقرر ما إذا كان سيساير حقائقه أم لا.

انظر إلى صورة هذه العملية هكذا: يحمل الطفل متطلبات بشارة الإنجيل بطول الذراع، ويحولها إلى يديه مقرراً إن كان سيحملها أم سيلقيها بعيداً عنه.

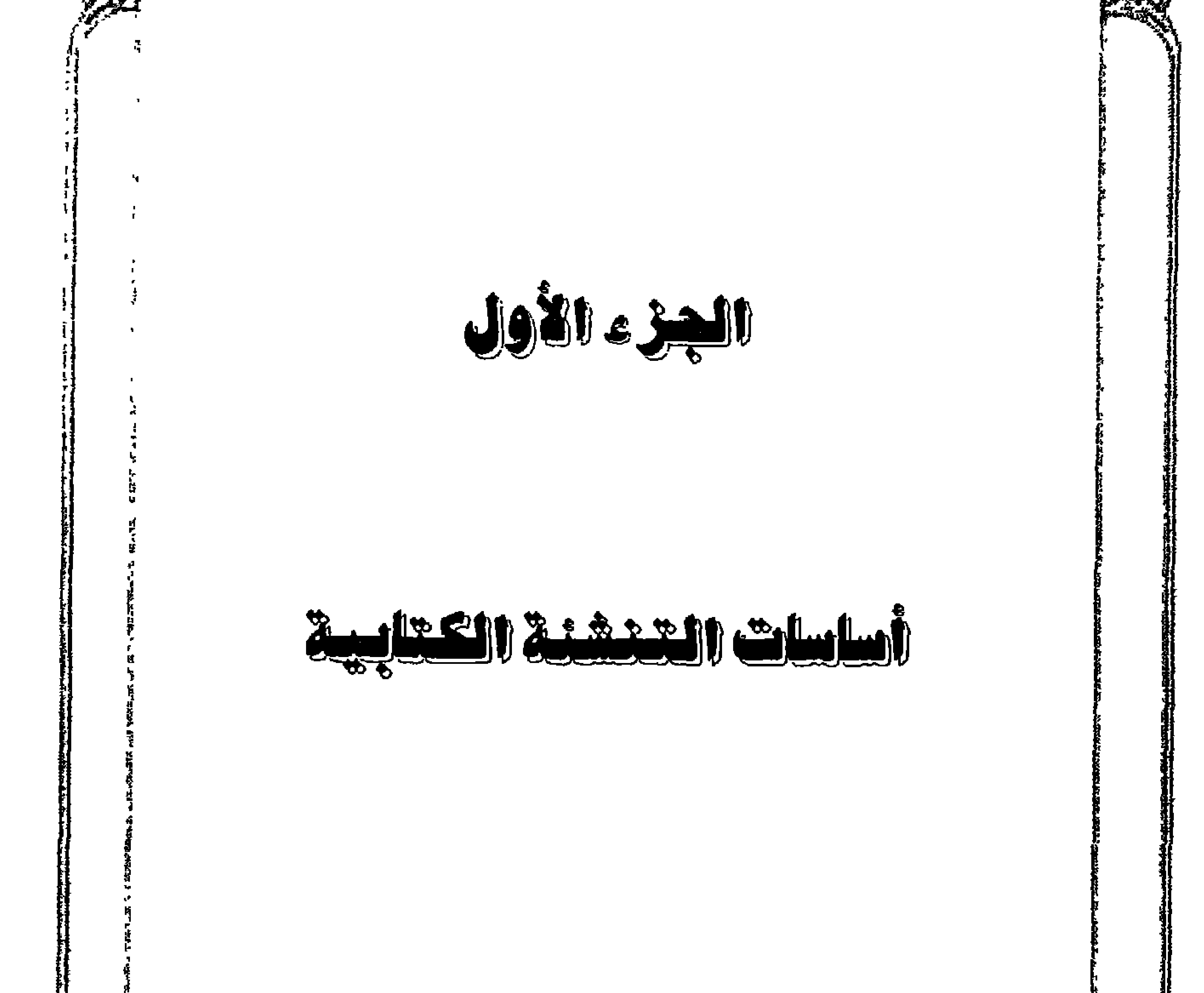
إن الوالدين لديهم فرصة رائعة ليساعدا طفلهما حديث البلوغ في البحث بأمانة عن إجابة لكل الأسئلة التي تدور داخله عن الإيمان. إن كلمة الله قوية؛ والإيمان المسيحي

يمكن أن يصمدا للنهاية، مع التمعن الأمين. لا يجب على كل شخص أن يسأل كل الأسئلة، وإنما يجب عليه أن يسأل كل الأسئلة التي تدور بداخله.

التبادلية كشعب الله

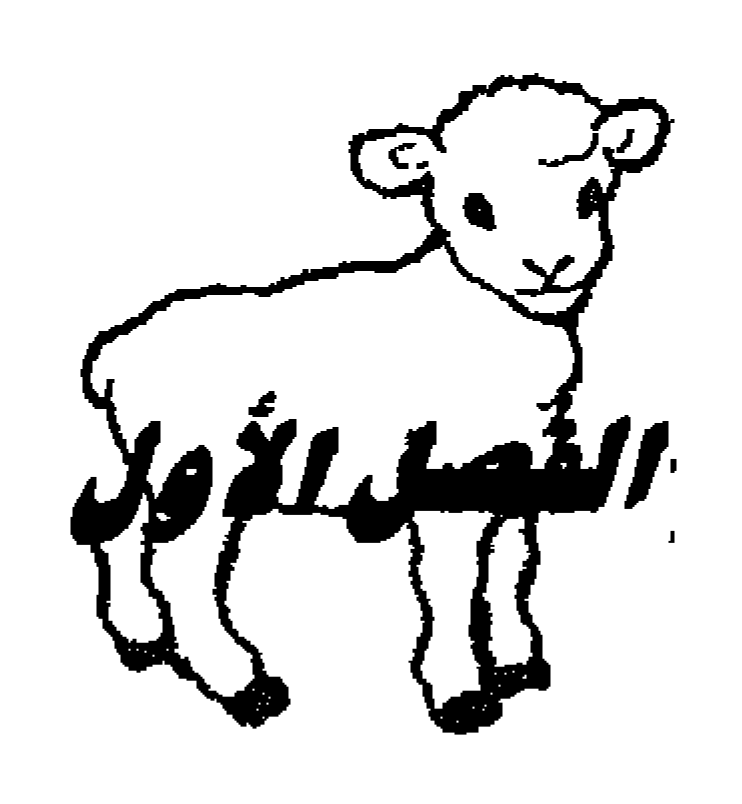
منذ وقت قريب، كانت لي مناقشة مع ابني، كان يتكلم معي عن الأمور التي كان يعلمها له الله، فشاركني ببعض الأفكار والرؤى الجديدة بداخله وما تعنيه معرفة الله فيما هو أكثر من الطرق النظرية.

وبينما نتناقش معاً كان يبدو أنني لا أتكلم مع ابني، وإنما مع رجل آخر. لم أكن أرشده. كنا نتشارك عن صلاح معرفة الله، وشعرت بإحساس جميل من التبادلية مع هذا الرجل. (الذي كان يوماً صبياً أرشده وأؤدبه وأكافح من أجله في الصلاة). شكراً لك يا رب.



الجزء الأول

أساسات التنشئة الكتابية



الوصول إلى قلب السلوكيات

يعلمنا الكتاب أن القلب هو مركز التحكم في الحياة. وحياة الإنسان هي انعكاس لقلبه. وفي سفر الأمثال (٤: ٢٣) يقول: "فوق كل تحفظ احفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة".

إن الكلمة هنا صورة تخطيطية. فالقلب هو نبع يفيض منه كل أمور. هذا الموضوع تحدث عنه الكتاب مرة ثانية في موضع آخر. السلوك الخارج من الإنسان هو تعبير عما يخرج من القلب.

يمكنك أن تتخيل القضية هكذا، يقرر القلب السلوك. ما تقوله وتفعله يعبر عن اتجاه قلبك. جاء في (مرقس ٧: ٢١): "لأنه من الداخل من قلوب الناس تخرج الأفكار الشريرة زنى فسق قتل" – تأتي هذه الشرور في الأفعال والأقوال من داخل القلب.

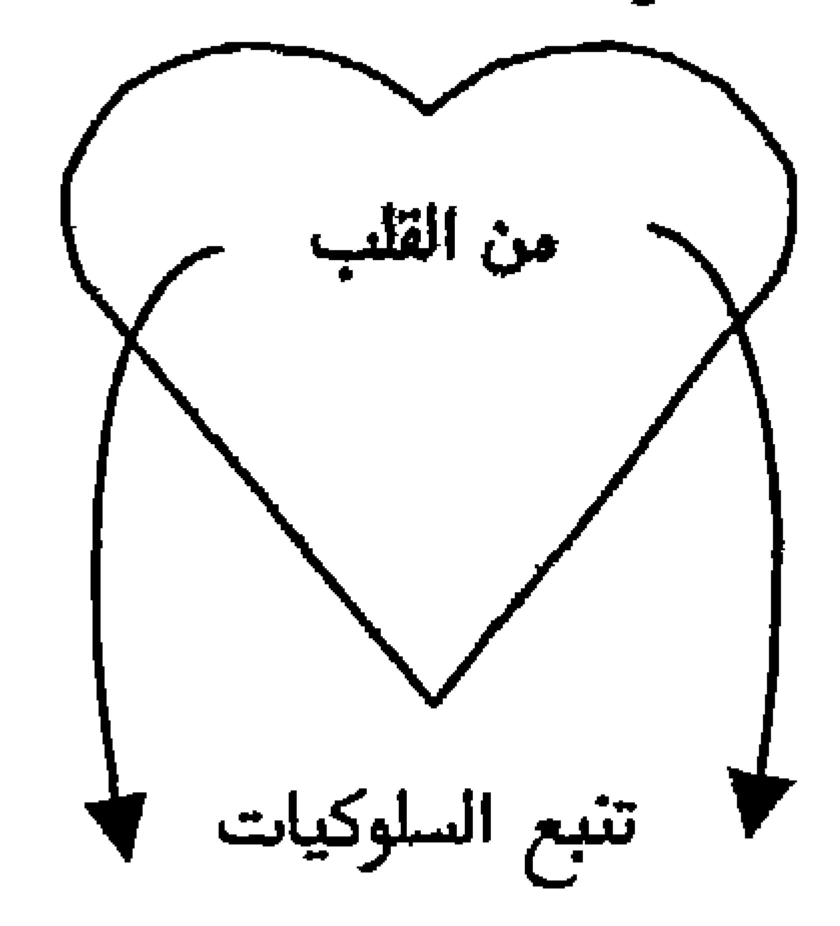
ما يقوله أطفالك ويفعلونه هو انعكاس لما في قلوبهم. ويؤيد (لوقا ٦: ٤٥) هذه النقطة.

"الإنسان الصالح من كنز قلبه الصالح يخرج الصلاح والإنسان الشرير من كنز قلبه الشرير يخرج الشر فإنه من فضلة القلب يتكلم فمه"

إن هذه الفقرات مرشدة في مهمة تربية الأطفال. إنها تعلمنا أن السلوك ليس هو القضية الأساسية، وإنما القضية الأساسية دائماً هي ما يحدث في القلب. تذكر، أن القلب هو مركز التحكم فى الحياة.

عادة ما يستدرج الآباء تجاه السلوك. إن كان هدفك في التهذيب هو سلوك مختلف، فمن السهل أن تدرك لماذا يحدث هذا. فالشيء الذي ينبهك تجاه احتياج طفلك للتوجيه هو سلوكه. السلوك يزعج. وهكذا يثير الانتباه تجاهه، فيصبح السلوك هو بؤرة اهتمامك، وتشعر أنك صححته عندما يتغير السلوك من سلوك غير مقبول إلى سلوك تقره وتقدره.

قد تسأل: "ما هي المشكلة؟"، إن المشكلة هي هذه: إن احتياجات طفلك أعمق بكثير من سلوكه المنحرف. تذكر أن سلوكه هذا لا يخرج بدون سبب. وإنما سلوكه – وهو ما يقوله ويفعله – يعكس ما في قلبه. إن أردت حقاً أن تساعده، عليك أن تهتم باتجاهات قلبه التي تقود هذه السلوكيات.



الصورة رقم ١ :

يقرر القلب السلوك

(ما نقوله ونفعله)

إن تغيير السلوك دون أن يكون نابعاً من تغيير في القلب غير جدير بالثناء. إنه أمر مدان. ألم يكن النفاق هو ما أدانه يسوع في الفريسيين؟ في متى ١٥، استنكر يسوع أن الفريسيين أكرموه بشفاههم بينما كانت قلوبهم بعيدة جداً عنه. لقد أحتسبهم يسوع كأناس يغسلون الكأس من خارجها بينما الداخل غير نظيف. وهذا هو الذي مازلنا نفعله مع أطفالنا في تنشئتهم. فنحن نطلب تغيير سلوكياتهم دون أن نتجه أبدا نحو القلب الذي يقود السلوكيات.

ما الذي يجب أن تفعله للتقويم والتهذيب؟ يجب أن تطلب سلوكاً مناسباً. فشريعة

الله تطالبنا بهـذا. ولكـنك، عـلى أية حال، لن تشعر بالاكتفاء عندما تترك الأمر هكذا. يجـب أن تفهـم، وتسـاعد طفلـك عـلى أن يفهم، كيف أن قلبه التائه تسبب في سلوك خاطئ. وكيف يضل قلبه لإنتاج هذه السلوكيات. في أي الطرق المميزة، تسبب عدم قدرته أو رفضه لمعرفة الله والثقة فيه وطاعته، تسبب في أفعال وأقوال خاطئة؟

دعـنا نأخذ مثالاً شائعاً من أي منزل يوجد فيه طفلان أو أكثر. يلعب الأطفال، لكن تحـدث المشاجرات على لعبة ما، وهنا يكون الرد المعتاد هو "مع من كانت اللعبة أولاً؟" هـذه الإجابـة تفـتقد الـنظر إلى اهتمامات القلب. "مع من كانت اللعبة أولاً؟" هي قضية عدل. والعدل هو تأييد الطفل الذي أسرع باجتذاب اللعبة أولاً ليلعب بها. لكن إذا نظرنا إلى هذه الحالة بلغة القلب، فإن القضية تختلف.

والآن لديـك اثـنان مخطـئان، فكلا الطفلين يظهر قساوة قلب تجاه الآخر، وكلاهما أنـاني، كـأن كـلا الطفلـين يقـول للآخـر: "أنـا لا أهـتم بك أو بسعادتك، أنا فقط أهتم بنفسـي، أنـا أريد هذه اللعبة. سعادتي تكتمل بامتلاكها. لذا سآخذها وأكون سعيداً دون الالتفات إلى ما تعنيه بالنسبة لك".

وبالنظر لاهتمامات القلب، فإنه لديك طفلين خاطئين. طفلان كل منهما يفضل نفسه عـلى الآخـر. طفـلان يكسـران شـريعة الله. بالطبع، إن الظروف مختلفة. أحدهما أخذ اللعبة التي يملكها الآخر، والآخر مازال يحتفظ بالامتياز. الظروف مختلفة، وإنما اتجاه القلب واحد – "أريد سعادتي، حتى ولو على حسابك".

انظـر، كـيف أن اتجاه القلب يوجه السلوك. هذا دائماً صحيح. لأن كل السلوكيات مرتبطة ببعض اتجاهات القلب. ولهذا، فإن التربية لابد أن تخاطب اتجاهات القلب.

يفعـل هذا الفهم أموراً عجيبة في التربية. إنه يجعل القلب محور القضية وليس فقط

السلوك. إنه يركز على تصحيح الأشياء العميقة أكثر من تغيير السلوكيات. نقطة المواجهة هي ما يحدث في القلب. يجب أن يكون تركيزك على كشف خطية طفلك، وتساعده على فهم كيف أنها تعكس قلباً ضل وتاه. إن هذا يؤدي إلى صليب المسيح. هذا يؤكد الاحتياج إلى مخلص. ويوفر فرصاً لإعلان مجد الله، الذي أرسل ابنه ليغير القلوب ويحرر الناس المستعبدين للخطية.

هذا التركيز هو العقيدة الأساسية لهذا الكتاب: القلب هو ينبوع الحياة. لذلك، فالأبوة تهتم برعاية القلب. يجب أن تتعلم كيف تذهب إلى ما وراء السلوك الذي تراه لتذهب إلى القلب، مُظهراً اهتمامات القلب لدى أطفالك. باختصار، يجب أن تتعلم أن تنشغل بهم. ليس فقط أن تلومهم. تساعدهم على رؤية الطرق التي يحاولون من خلالها إطفاء ظمأ نفوسهم. بينما هي لا تكفي. يجب أن تساعد أطفالك أن يضعوا كل تركيزهم على صليب المسيح.

سيعطيك هذا الاقتراح المعلومات اللازمة لكل ما تقوم به كأب، سيملي عليك أهدافك، سيخبرك بالطرق، سيشكل نموذجك لكيفية نمو الطفل.

يخاطب هذا الكتاب كل أوجه تنشئة الطفل. سننظر إلى وجهة النظر الكتابية لمهمة الأبوة. سنفحص نمو الطفل. سنركز على أهداف الأبوة. سنفكر من خلال طرق التدريب. ومركز القضية في كل هذه المواضيع هو رعاية القلب.

أنا لا أقدم هنا منهجاً نموذجياً رائعاً. ولا أرتقي إلى خطة ثلاثية الخطوات لأجل طفل خال من المتاعب. ولا أقدم طريقة بسيطة لسد احتياجاتهم، حتى تستطيع الاستمرار في حياتك. على أية حالة، فإن رغبتي هي اكتشاف طرق جديدة معك لمزاولة التدريب على المهمة التي أعطاها لنا الرب. إنني أقدم هذه الأمور كشخص ليس بعيدا عن هذه المهمة، فأنا مهتم جداً بهذه المهمة أكثر من ذي قبل. إنني مملوء بالرجاء واليقين أن

الرب يستطيع أن يجعل من بيوتنا بذرة مقدسة لكنيسته.

لقد رأيت عائلات تطبق مبادئ هذا الكتاب. ورأيت آباء يرعون أطفالاً سعداء منتجين، متيقظين لأنفسهم وللحياة. لقد كنت في زيارة أحد هذه البيوت قريباً. كانت الأسرة نابضة بالحياة، وكان بالمنزل أطفال في سن المراهقة، لأن المنزل كان مكاناً مثيراً. تبادل الأب والأم الاحترام. وكذلك الرأي والنصيحة. يمكنك أن تجد، الكتاب المقدس والحقائق الكتابية تنبع وتفيض في كل مناقشة – ليست بصورة حرارة خانقة، وإنما كنسيم منعش يعطي حياة. في هذا المنزل، هناك خمسة أجيال حفظت الإيمان والجيل السادس تعلم أن الله هو أساس الحياة الذي بنوره نرى النور.

تستحق هذه الأمور المناضلة لأجلها. وهي رؤية تستحق التضحية والبذل.

إن كنت تريد أن تجتاز بحر الحيرة حول تربية الأطفال، فعليك أن ترجع إلى الكتاب المقدس لتجد الإجابات هناك. إنني على يقين أن الكتاب المقدس قوي بكفاية ليوفر لنا كل الأنماط والمفاهيم التي نحتاجها لأجل هذه المهمة. لقد حاولت الكنيسة لوقت طويل جداً أن تطبق الأفكار الكتابية وغير الكتابية لتجيب على الأسئلة الخاصة بالأبوة. وقد أثمر هذا الخليط من الأفكار ثماراً مرة. نحتاج أن نفهم مهمتنا كتابياً.

تحتاج أن تفهم طفلك بالنسبة لمجموعتين من الموضوعات التي تؤثر فيه :

(١) الطفل وعلاقته مع المؤثرات التي تشكله في الحياة.

(٢) الطفل وعلاقته مع الله.

في الفصلين القادمين سنناقش هاتين الساحتين من ساحات نمو الطفل.

أسئلة تطبيقية عن الفصل الأول:

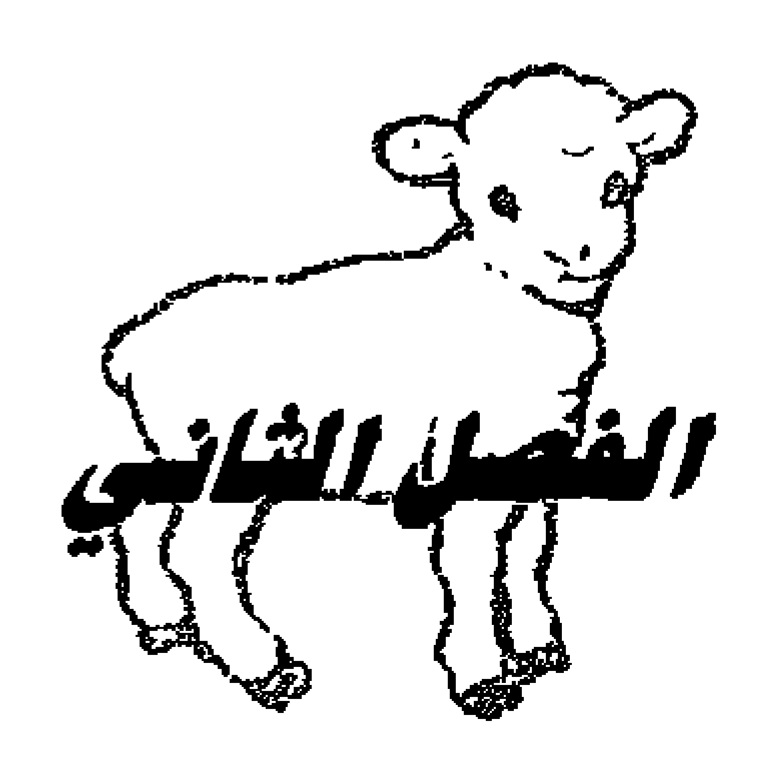
(١) وضح أهمية التعامل مع القلب في تربية وتوجيه الطفل.

(٢) اشرح مركزية القلب في توجيه السلوك.

(٣) لماذا نجد أنه من السهل أن نستدرج تجاه السلوك بينما تكون اهتمامات القلب ذات أهمية واضحة جداً؟

(٤) لماذا يعتبر تغيير السلوك دون تغيير القلب أمراً خطأ؟

(٥) إن كان جوهر التربية هو توجيه القلب، فكيف يغير هذا المدخل إلى التربية والتوجيه؟



الفصل الثاني

نمو طفلك: المؤثرات التشكيلية

كـان ابـني الـبالغ مـن العمر ١١ عاماً يربي خنازير، وكان يشعر بالإحباط، إذ قلبوا أوعـية المـاء الـتي يشـربون مـنها بأنوفهم، مما جعل من المستحيل الاحتفاظ بماء جديد أمامهم دائماً، لذا قررنا أن نصنع وعاء أسمنتياً للماء فيكون من الصعب عليهم أن يقلبوه. صنعنا إطاراً من الخشب وبدأنا في صب الأسمنت فيه.

وبينما نحن نعمل، بدأت أخبر أولادي كيف أن حياتهم الصغيرة تشبه هذا المشروع. يشـبه بنـيان منزلنا هذا الإطار الخشبي، وحياتهم هي الأسمنت المنسكب. وعندما يأتي اليوم الذي يُنزع فيه هذا الهيكل، سيكونون أقوياء ونافعين. إن تربية الطفولة تتقوى حتى تصبح ثابـتة كالأسمنت في الكبر. كنت فصيح اللسان، وكان أبنائي يسمعون بكل أدب وتقديـر. عـندما توقفـت لألـتقط أنفاسي، انطلقوا خارجاً للَّعب، بدون تأثير واضح لوجه التشابه بين حياتهم الصغيرة ومعلف الخنازير.

لم يكن الأولاد مستعدين هذا اليوم لمثل هذا التفكير العميق، لم ألومهم، إنه ليس أمراً سـهلاً أن تفكـر مـن خـلال الـتأثير الذي يشكل حياة هؤلاء الأطفال. إنهم يتشكلون من خـلال ظـروف الحياة. كل جوانب الحياة العائلية لها تأثير عميق على الشخصية التي سيصبح عليها أطفالك.

المؤثرات التشكيلية

سأقدم لك في هذا الفصل رسماً بيانياً يساعدك على فهم المؤثرات التشكيلية على الطفولة. قد يبدو اصطلاح *"المؤثرات التشكيلية"* جديداً، إلا أن مدلوله قديم قدم البشرية. إن *"المؤثرات التشكيلية"* هي الأحداث والظروف التي تحدث في سنوات نمو الطفل والتي تبدو وكأنها حافز لصنع شخصيته. ولكن التشكيل ليس عملية آلية أوتوماتيكية (تلقائية). إن طرق استجابته لهذه الأحداث والظروف تحدد التأثير الذي يحدث له بسببها.

هناك تلميح كتابي واضح عن الاعتراف بصحة تأثير استمرارية الخبرات الطفولية الأولى مدى الحياة. إن أهم الفصول الكتابية التي تتحدث عن العائلة هي: (تثنية ٦؛ أفسس ٦؛ كولوسي ٣)! تفترض هذه النصوص باستمرارية تأثير الخبرات الطفولية الأولى مدى الحياة. تتطلب هذه الفقرات الكتابية انتباهك للمؤثرات التشكيلية.

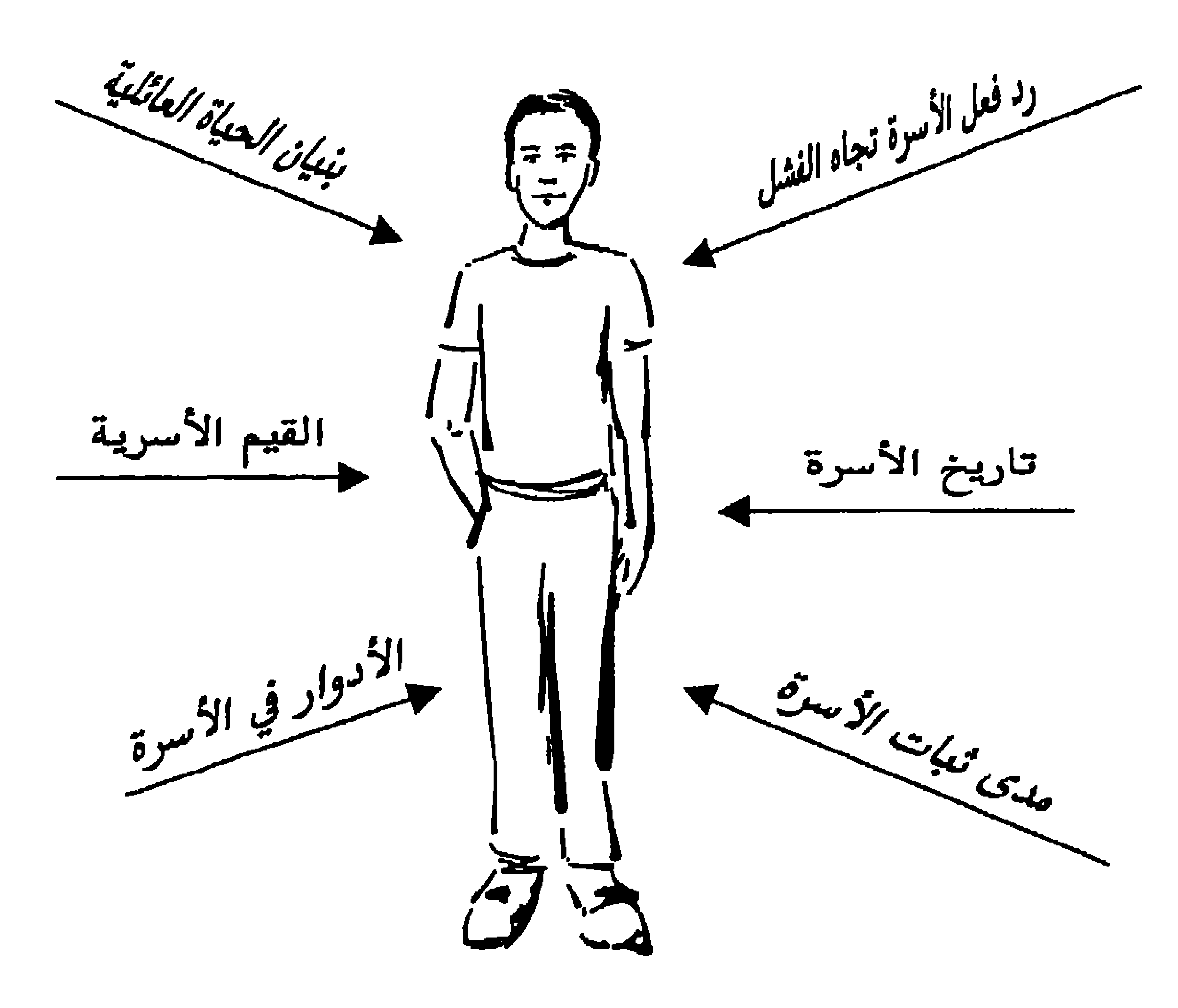
إن الشخصية التي سيصبح عليها طفلك هي نتاج أمرين؛ الأول هو خبراته الحياتية. والثاني هو كيفية تفاعله مع هذه الخبرات. يتعامل أول رسم توضيحي مع مؤثرات الحياة التشكيلية. وفي الفصل التالي، سأقدم لك رسماً توضيحياً يوضح استجابة الطفل لهذه المؤثرات التشكيلية. إنه لا يتأثر بكل بساطة بظروف الحياة، وإنما يتفاعل معها. إنه يستجيب تبعاً لاتجاهات الله في قلبه. سيساعدك فهم هذه الرسوم التوضيحية على فهم أين يحتاج أطفالك للبناء ومتى يحتاجون للرعاية.

تمثل الأسهم في الرسم البياني التالي، هذه المؤثرات التشكيلية. هذه المؤثرات، سواء كانت تحت تحكم الآباء أو خارج نطاق تحكمهم، تأتي للطفل وتؤثر في حياته بقوة.

بنيان الحياة العائلية:

يشير أحد الأسهم إلى الحياة العائلية. هل العائلة هي عائلة تقليدية مركزية؟ كم من

الآباء تعرض لهم الأبناء؟ هل هي عائلة من جيلين أو ثلاثة؟ هل كل من الأب والأم على قيد الحياة ويؤديان وظيفتهما في المنزل؟ كيف يكون اشتراك الآباء في البنيان؟ هل هناك أطفال آخرين أم أن الأسرة قد اكتفت بطفل واحد؟ ما هو ترتيب الأطفال في الأسرة؟ ما هي العلاقات بين الأطفال؟ ما مدى التقارب في أعمارهم، قدراتهم، إهتماماتهم، وشخصياتهم؟ كيف تمتزج شخصية الطفل مع باقي أعضاء الأسرة؟



الصورة ٢ : المؤثرات التشكيلية

جاءت "سالي" وزوجها للمشورة. كانا حديثي الزواج ويقابلان بعض الصعوبات في التكيف. كانت واحدة من أصعب الحواجز التي واجهتها سالي هي أن زوجها لا يعرف كيف ينظم حياته من حولها. كانت طفلة وحيدة، لم يفسدها والداها بالإسراف في منحها المقتنيات، لقد جعلاها تريد وتحتاج أولوية. والآن تشعر أنها غير محبوبة وذلك لأن

زوجها لم يبن الحياة حول رغباتها. كانت حياة أسرتها وهي طفلة قد أثرت بعمق على احتياجاتها وعلى توقعاتها من زوجها.

القيم الأسرية:

يشير سهم آخر إلى القيم الأسرية. ما هو الشيء المهم للأبوين؟ ما الذي يستحق الضجر وما الذي يحدث دون ملاحظة؟ هل الناس أهم من الأشياء؟ هل يتضايق الآباء من فتحة في البنطلون المدرسي أم من مشاجرة بين زملاء المدرسة؟ ما هي الفلسفات والأفكار التي يسمعها الطفل؟ هل يجب أن يُرى الطفل في هذا المنزل دون الاستماع إليه؟ ما هي القواعد المعلنة وغير المعلنة في الحياة الأسرية؟ أين يتناغم الرب مع الحياة الأسرية؟ هل الحياة منظمة حول معرفة الله ومحبته؟ أم أن العائلة تحيا في مدار آخر يختلف عن هذا؟ *"انظروا أن لا يكون أحد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس حسب أركان العالم وليس حسب المسيح"* (كو ٢ : ٨). السؤال الذي يجب أن تسأله هو هكذا: هل قيم منزلك مؤسسة على التقاليد البشرية والمبادئ الأساسية لهذا العالم أم على المسيح؟

لقد سألت مؤخراً صبياً في العاشرة من عمره: "ما هو أكثر شيء يجعلك تشعر بالمتاعب، هل هو كسر إناء زهرية أم عدم طاعة والديك بصورة واضحة؟" وبدون تردد أجاب: "أفظع شيء سيكون كسر زهرية ثمينة". لقد تعلم هذا الصبي قيم المنزل. لقد أدرك ووعى قيمة غير معلنة تقول: الزهرية الثمينة لها اهتمام أعظم لوالديه من صبي غير مطيع. هذه القيم مؤسسة على فلسفات جوفاء وهمية.

وهناك مظاهر أخرى للقيم الأسرية. ما هي الحدود داخل العائلة؟ أين يُحتفظ بالأسرار وأين تُقال؟ هل العلاقات مع الجيران منفتحة على نحو غريزي أم منغلقة؟ ما هو ارتفاع الأسوار حول الأسرة؟ وأين يمكن اختراق هذه الأسوار؟ بعض العائلات لا تخبر

أقاربها أبداً بمشاكلها. وفي نفس الوقت يعلنونها بحرية لجيرانهم. والبعض الآخر يمكن أن يتصل بأخ لطلب المساعدة، ولا يلجأ للجار الذي هو أقرب (بخلاف المشورة التي في سفر الأمثال ٢٧ : ١٠). بعض الأطفال ينمون دون أن يعرفوا كم من المال يكسبه الأب. بينما يعرف الآخرون رصيد دفتر الشيكات في أي يوم. يحتفظ بعض الآباء بالأسرار بعيداً عن أطفالهم. وبعض الأطفال يشاركون الأسرار وإنما ليس مع والديهم. أحياناً يكون لدى الأم والأطفال أسرار بعيداً عن الأب. أحياناً يكون للأب والأطفال أسرار بعيداً عن الأم. لقد أسست كل أسرة الحدود الأسرية. قد لا يتحدثون عنها أو يفكرون فيها. ولكنها موجودة.

أدوار الأسرة:

يوجد في بنيان الأسرة أدوار يلعبها كل عضو في العائلة. يتغمس بعض الآباء في كل مظاهر الحياة الأسرية، والبعض الآخر مشغول وبعيد عن الأنشطة العائلية. وتخبرنا الأشياء الدقيقة – مثل من الذي يدفع الفواتير أو من الذي يحدد المواعيد الأسرية – الكثير عن الأدوار الأسرية. الأطفال لهم أدوار في العائلة أيضاً. أعرف منزلاً يجب على الأطفال فيه أن يأتوا بحذاء الأب وشرابه بسبب بدانته مما يجعله لا يستطيع القيام بهذا. لقد كان الأب قاسياً في طريقة طلبه لهذه الخدمة، مما جعل الأطفال يتشكلون بمؤثرات قوية بخصوص مكانهم في الحياة الأسرية.

مدى ثبات الأسرة في الصراع:

أي شخص يقوم بالمشورة الزوجية يستطيع أن يشهد لقوة التأثير العائلي في كيفية حل المشاكل. هل تعرف الأسرة كيف تتحدث عن المشاكل؟ هل يستطيع أعضاء الأسرة الثبات أمام المشاكل أم أنهم يبتعدون عنها بكل بساطة؟ هل يتم حل المشاكل بحسب

المبادئ الكتابية أم بحسب القوة؟ هل يستخدم أعضاء الأسرة إشارات غير منطوقة مثل باقة ورد لحل الصراعات؟ يخبرنا (سفر الأمثال ١٢: ١٥-١٦): "*طريق الجاهل مستقيم في عينيه أما سامع المشورة فهو حكيم غضب الجاهل يعرف في يومه أما ساتر الهوان فهو ذكي*". يتدرب الطفل على أن يكون إما أحمق أو متعقلاً حكيماً، وذلك من خلال التأثير الذي يصنعه المنزل في تشكيله.

كان "سامي" يبدو مجنوناً ويحاول أن يهرب من فصل الحضانة عندما يرفض ما يحدث ولا يرضى عنه. وعندما دعا المدرس والديه يوما ما لحضور اجتماع، شعر والد "سامي" بالإحباط من هذا الاجتماع، وترك الحجرة فجأة ... أدرك المدرس جيداً لماذا يسلك سامي هذا السلوك.

رد فعل الأسرة تجاه الفشل:

إحدى القضايا التشكيلية في حياة الطفل هي كيفية تعامل الآباء مع فشل أبنائهم، فمرحلة الطفولة ممتلئة بالكثير من المحاولات التي تعوزها اللباقة. قد تكون الجهود فيها غير مناسبة والفاشلة. حين يتعلم الأطفال غير الناضجين كيف يتحكمون في مهارات الحياة في عالم معقد فأنه لابد أن يقعوا في أخطاء.

إن القضية المهمة فيما نقصده، هو كيف يتم التعامل مع هذا الفشل. هل خلق هؤلاء الأطفال لكي يشعرو أنهم حمقى؟ هل نستهزأ بفشلهم؟ هل تجد الأسرة متعة على حساب أعضاء الأسرة؟ يتمتع بعض الآباء بقدرة رائعة على أن يروا الفشل وكأنه مجهودات تستحق المدح، إنهم دائماً يشجعون. ويعرفون دائماً كيف يزيلون تأثيرات الإخفاق. وسواء كان الطفل موضع مدح أو موضع انتقاد، أو يحمل في حياته خليطاً من هذه الأشياء فإن الأمرين لديهما قوة التشكيل في حياته.

تاريخ الأسرة:

قضية هامة أخرى، وهي التاريخ الخاص لكل أسرة. فهناك أعضاء في الأسرة يولدون، وآخرون يموتون. هناك حالات زواج، وحالات طلاق. تختبر بعض العائلات الاستقرار الاجتماعي وبعضها لا يختبره. هل هناك كفاية في المال، أم لا يوجد؟ يتمتع البعض بصحة جيدة، بينما يجب على الآخرين معايشة الأمراض. البعض لديه علاقات عميقة مع الجيران، بينما البعض الآخر يتجنبون الجيران بصورة دائمة.

لقد قضيت بعض الوقت مؤخراً في مساعدة سيدة في البحث في أحداث طفولتها. فكانت مناقشتنا كالتالي:

س: كم مرة تنقلت أثناء مرحلة طفولتك؟

ج: الكثير من المرات.

س: خمس مرات أم عشر؟

ج: آه، لا، بل أكثر من هذا.

س: أكثر من عشرين مرة؟ (وهنا توقفت لعدة دقائق تفكر وتحسب كم من المرات).

ج: أكثر من عشرين مرة.

وقد قالت لي فيما بعد أنها عدت هي وأختها ٤٦ مرة انتقالات قبل سن ١٨ سنة.

من المؤكد، أن تاريخ هذه الأسرة شكّل بعمق قيم هذه السيدة ووجهات نظرها.

هذه القائمة المختصرة هي مجرد إشارة إلى الظروف التي تؤثر على حياتنا. فتأثير هذه الأشياء علينا أمر لا يمكن إنكاره.

أخطاء في فهم المؤثرات التشكيلية

يوجد عادة خطآن عند التفاعل مع المؤثرات التشكيلية في الحياة. الخطأ الأول هو رؤية هذه المؤثرات التشكيلية كأمر محتوم لا مفر منه. إنه خطأ افتراض أن الطفل هو ضحية لا معين لها في الظروف التي يتربى فيها. أما الخطأ الثاني هو الإنكار. من الخطأ أن نقول إن الطفل لا يتأثر بخبرات الطفولة المبكرة. توضح لنا الفقرات الكتابية مثل (أمثال ٢٩: ٢١) أهمية الخبرات الطفولية. ليس صحيحاً أن نعتقد أن فاعلية هذه المؤثرات أمر لا مناص منه. وأيضاً من الخطأ أن نتجاهل هذه المؤثرات. يجب أن نفهم هذه المؤثرات التشكيلية في شخصية الطفل من منظور كتابي. مثل هذا الفهم والإدراك سيساعدك في مهمتك الأبوية.

إنه خطأ جسيم أن نعتقد أن تربية الأطفال ليست أكثر من تزويده بأفضل المؤثرات التشكيلية الممكنة. الكثير من الآباء المسيحيين يعتنقون هذا المبدأ. ويتصورون كفاية أن يوفروا الحماية والمأوى لأطفالهم، وأن يكونوا إيجابيين نحوهم دائماً، مع إرسالهم إلى مدارس مسيحية أو التربية المنزلية، مع تدبير أفضل خبرات طفولية، هنا فقط يصبح أطفالهم على ما يرام.

هؤلاء الآباء على يقين من أن البيئة الصالحة تنتج أطفالاً صالحين. إنهم يفترضون أن الطفل شيء خامل. مثل هذا الوضع هو ببساطة "الجبرية في ملابس مسيحية".

لدي صديق يعمل فخارياً، قال لي إن الطين الذي يستخدمه هو الذي يحدد الشكل النهائي للإناء. إن الطين ليس مجرد شيء سلبي في يديه. إن الطين يستجيب له. في بعض الأحيان يكون الطين مرناً ولينا، وأحياناً يكون سهل التفتت أو صعباً في العمل به.

أعطتني ملاحظته هذه مناظرة جيدة، يجب أن تهتم بتدبير أكثر المؤثرات التشكيلية استقراراً. ولكن لا تفترض أبداً أنك تشكل قطعة طين سلبية. الطين يستجيب للتشكيل، فهو إما يقبل أو يرفض التشكيل. لا يستسلم الأطفال أبداً للتشكيل. إنهم يستجيبون

بصورة نشطة.

يستجيب ابنك أو ابنتك تبعاً لمكانة الله في حياته أو حياتها. فإذا كان طفلك يعرف الله ويحبه. وإن كان يدرك حقيقة أن معرفة الله تُمَكِّنه من الحصول على السلام في كل الظروف. فإنه سيستجيب بصورة إيجابية بناءة لمجهوداتك في تشكيله. وإن كان طفلك لا يعرف ولا يحب الله، وإنما يحاول أن يشبع عطش نفسه بالارتواء من "آبار لا تعطي ماء ..." (إرميا ٢ : ١٣)، فسيتمرد طفلك على أفضل مجهوداتك. يجب أن تقوم بكل ما دعاك الله أن تفعله، ولكن النتائج لا تعتمد فقط على كونك فعلت الأشياء الصحيحة بالطرق الصحيحة، لأن أطفالك مسئولون عن طريقة استجابتهم لأبوتك.

تجعل النظرية "الجبرية" الآباء يستنتجون أن المؤثرات التشكيلية الجيدة ستنتج بصورة تلقائية أطفالاً صالحين. لكن عادة ما يثمر هذا مؤخراً ثماراً مرة في الحياة. يستنتج الآباء الذين لديهم مراهقين مزعجين وعنيدين أو شباب صغار أن المشكلة تكمن في المؤثر التشكيلي الذي قدموه. إنهم يعتقدون أنهم إذا كانوا قد وفروا ظروفاً أفضل في المنزل، لكان من شأن هذا أن صار الأطفال على ما يرام. ونسوا أن الطفل لا تتشكل شخصيته من خلال المؤثرات التشكيلية في حياته فقط. تذكر أن (أمثال ٤ : ٢٣) يوجهك إلى أن القلب هو ينبوع الحياة. قلب طفلك يقرر كيف يستجيب لأبوتك.

لدى السيد (إفرت) وزوجته ابن متمرد عمره ١٥ عاماً، لقد أدركوا أنهم أخطأوا كثيراً في تربيتهم لأطفالهم. لقد أعمت أخطاؤهم هذه أعينهم عن رؤية احتياجات أبنائهم. حين كانوا يرون ابنهم، كانوا يرون فشلهم! وكنتيجة، لم يروه أبداً كصبي يختار أن يخطئ. لقد فشلوا في رؤيته وهو يختار أن لا يؤمن ويطيع الله. لم يكونا والدين كاملين، هذا حقيقي. كما أن ابنهم لم يكن ابناً صالحاً، وهذا أيضاً كان حقيقياً.

تفشل مثل هذه الرؤية في اعتبار حقيقة أن البشر هم كائنات موجهة بحسب

اتجاهـات قـلوبها. خـلال مرحـلة الطفولة لا يكون الطفل كياناً خاملاً، إنما يتفاعل مع الحياة. وهذا يقودنا للفصل التالي والرسم التوضيحي القادم.

أسئلة تطبيقية على الفصل الثاني:

(١) ما هي أبرز المؤثرات التشكيلية في حياة طفلك؟

(٢) ما هو بنيان أسرتك؟ وكيف يؤثر هذا في ابنك أو ابنتك؟

(٣) ما هي قيم أسرتك عند ابنك؟ ما هي الأمور التي تهمك بصورة أكثر؟

(٤) أين الأسرار في منزلك؟ هل تشاركها كثيراً مما يضع على أبنائك حملاً ثقيلاً من المشـاكل الـتي هـي أكـبر مـنهم؟ هـل قـليلاً مـا تشـارك وهكذا تعزل أبناءك عن الحياة والاعتماد على الله؟

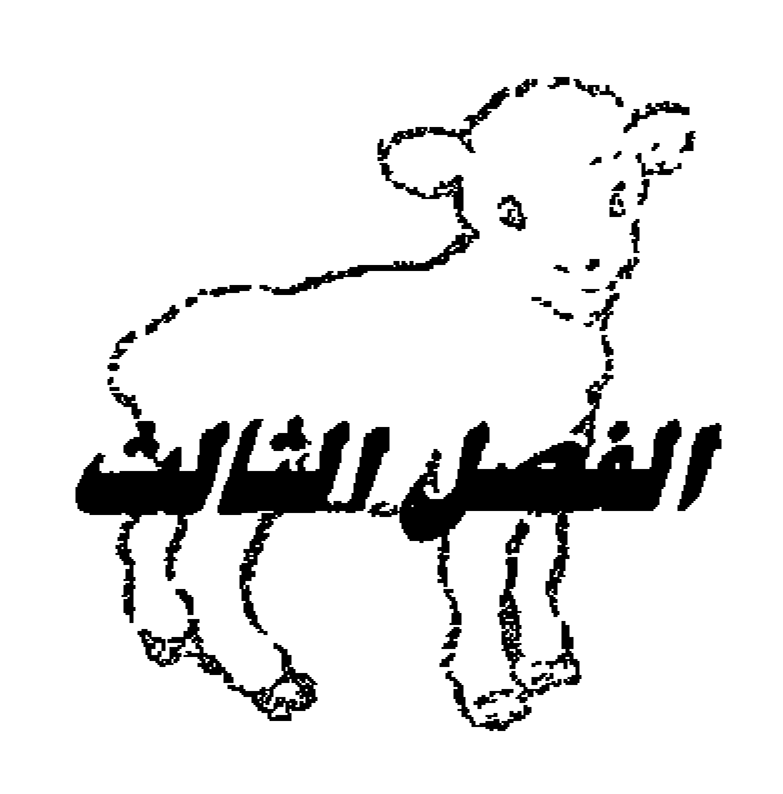
(٥) مـن هـو القائد في بيتك؟ هل هناك سلطة مركزية، أم تأخذ الأسرة القرارات من خلال لجان أي بالمشاركة؟

(٦) مـا هـي أنماط ثبات الأسرة في الصراعات؟ كيف تؤثر هذه الأنماط على أبنائك؟ هل التغيير مضمون؟ إن كان هكذا، فما هو التغيير؟

(٧) ماذا يشكل النجاح أو الفشل في بيتك؟

(٨) مـا هـي الأحداث الرئيسية في تاريخ أسرتك؟ وكيف أثرت هذه الأحداث فيك؟ وكيف تؤثر في أطفالك؟

(٩) هل تميل إلى أن تكون مؤمناً بمبدأ الحتمية في تربية أبنائك؟ هل أنت قادر على رؤيـة أطفـالك وهم يستجيبون بصورة نشطة للمؤثرات التشكيلية في حياتهم؟ كيف تراهم يستجيبون؟



نمو طفلك: التوجه نحو الله

حين كنت طالباً بالجامعة، استقبلت أول خبرة لي خاصة بالإبحار، وتذكرت اندهاشي عندما تعلمت أن اتجاه المسير لا يحدده اتجاه الرياح، وإنما شكل الشراع. إن توجه القلب نحو الله، في حياة الطفل يشبه الشراع في المركب. أياً كانت المؤثرات التشكيلية في الحياة، فإن اتجاه قلب الطفل نحو الله هو الذي يقرر استجابته لهذه المؤثرات التشكيلية.

يقارن (أمثال ٩: ٧–١٠) بين استجابة المستهزئ والرجل الحكيم للتوبيخ والتوجيه: *"من يوبخ مستهزئاً يكسب لنفسه هواناً، ومن ينذر شريراً يكسب عيباً. لا توبخ مستهزئاً لئلا يبغضك. وبخ حكيماً فيحبك. اعط حكيماً فيكون أوفر حكمة. علم صديقاً فيزداد علماً بدء الحكمة مخافة الرب ومعرفة القدوس فهم"*، تساعدنا (الآية ١٠) في رؤية ما إذا كان القرار النهائي هو استجابة الطفل كمستهزئ أم كرجل حكيم. إنها مخافة الرب التي تعطي الحكمة للشخص، وهذه الحكمة هي التي تقرر كيفية استجابته لهذا التوجيه.

التوجه نحو الله

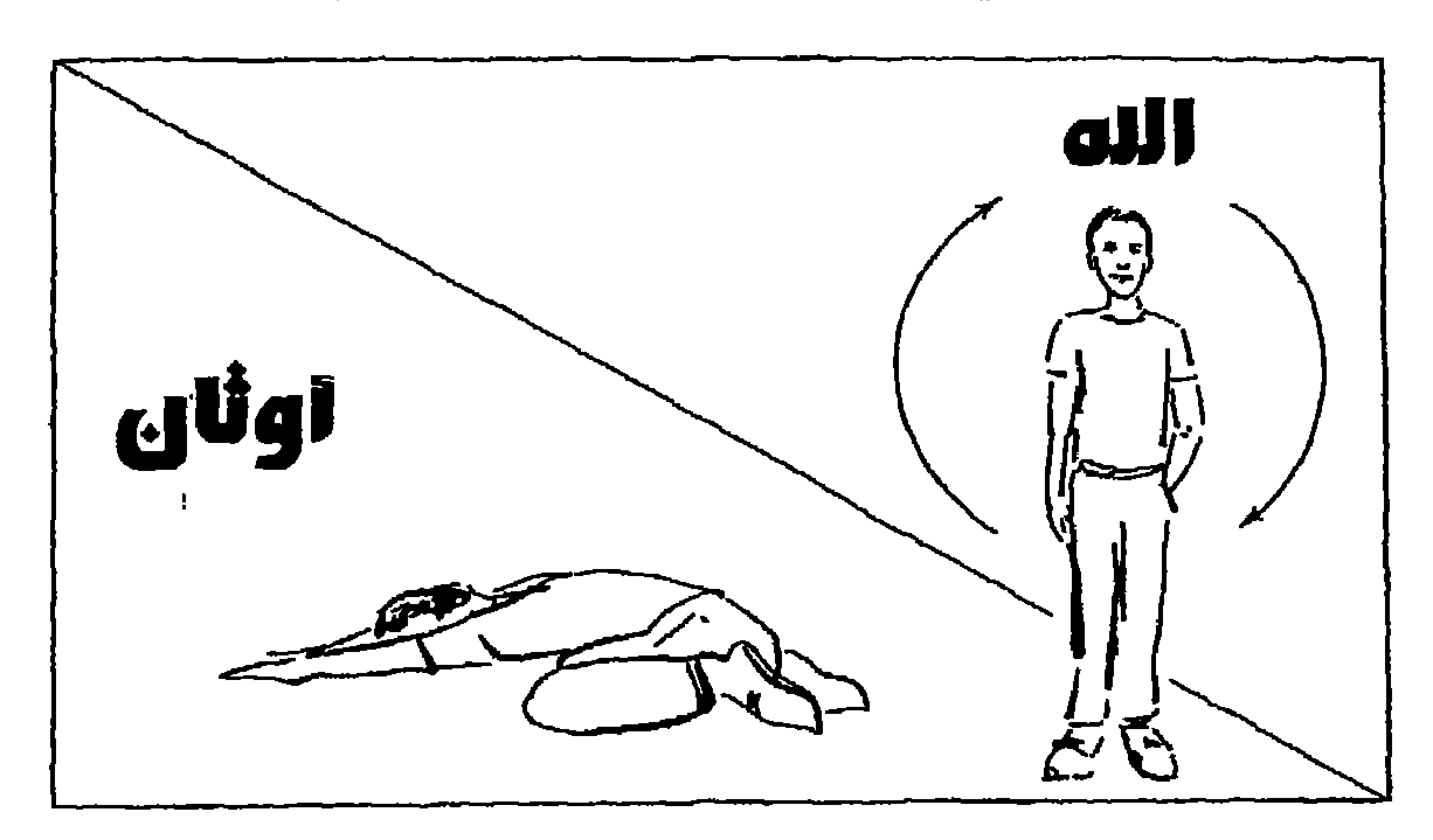
توضح الصورة التالية الطفل ككائن ذي عهد، إنني أستخدم هذا التعبير لأذكركم أن كل البشر لديهم توجه نحو الله. كل شخص هو أساساً شخص متدين. الأطفال يتعبدون. فإما أنهم إما يعبدون "يهوه" (الله)، أو يعبدون "الأوثان". وهم ليسوا أبداً على الحياد. إن

أطفالك يرشحون اختبارات الحياة من خلال الشبكة الدينية.

يقول (رومية ١: ١٨-١٩): *"لأن غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم الذين يحجزون الحق بالإثم إذ معرفة الله ظاهرة فيهم لأن الله أظهرها لهم"*. كل الناس لديهم إعلان الله الواضح عن الحق، ولكن الناس الأشرار يخمدون هذا الحق. لقد رفضوا أن يقروا ويخضعوا للأمور التي أوضحها الله. يستمر بولس قائلاً إنه بالرغم من أنهم يعرفون الله إلا أنهم لا يمجدونه وإنما يصبحون عقيمي الفكر ومن ثم يعبدون الأوثان.

بحسب لغة (رومية ١)، فإن أطفالك إما يستجيبون لله بالإيمان، وإما يخمدون الحق بعدم البر.

فإن استجابوا لله بالإيمان، يجدون تحقيق الذات في معرفة الله وخدمته. وإذا أخمدوا الحق بعدم البر، فإنهم في النهاية سيعبدون المخلوقات ويخدمونهم عوضاً عن الخالق. هذا هو المعنى الذي استُخدمت فيه تعبير "توجه القلب نحو الله".



الصورة ٢: التوجه نحو الله

الاختيار بين طريقين:

يبين الجانب الأيمن الأعلى من الرسم التوضيحي، الإنسان الذي يعبد الإله الحقيقي الوحيد. والسهم المتجه نحو الله يوضح اتجاه قلب الإنسان. *إنه يريد أن يعرف الله ويخدمه بصورة أفضل.* أما السهم الخارج من الله يشير إلى مبادرة الله وعمله المستمر لهذا الطفل الذي هو له. أما القسم السفلي الأيسر فيوضح إنساناً منخرطاً في الوثنية. إنه يسجد أمام أشياء ليست الله ولا يمكنها أن تشبعه.

لكي ما تتأكد، فإن الطفل الصغير قد يكون غير مدرك لتعهدات تدينه، ولكنه لا يكون أبداً محايداً تجاه الدين. وكمخلوق على صورة الله، فقد خُلق باتجاه للعبادة. حتى كطفل صغير، إما يعبد الله ويخدمه، أو يعبد الأوثان ويخدمها.

يقول داود في (مزمور ٥٨ : ٣): *"زاغ الأشرار من الرحم ضلوا من البطن متكلمين كذباً"*، كما تعطينا كلمات (مزمور ٥١ : ٥) نفس المعنى: *"هأنذا بالإثم صُوِّرت وبالخطية حبلت بي أمي"* هذه الآيات هي كلمات إرشاد واضحة. حتى الجنين في رحم أمه يولد بالعصيان والخطية. عادة ما نُعلِّم أن الرجل يصبح خاطئاً عندما يخطئ. ولكن الكتاب المقدس يعلمنا أن الرجل يخطئ لأنه خاطئ. إن طفلك لا يكون أبداً على الحياد أخلاقياً، حتى وهو في بطن أمه.

إحدى التبريرات لتوبيخ الطفل بقسوة بحسب رأي البعض ما جاء بالكتاب المقدس: *"الجهالة مرتبطة بقلب الولد عصا التأديب تبعدها عنه"* (أمثال ٢٢ : ١٥). الأمر الذي يتحدث عنه سفر الأمثال هنا هو أن هناك شيئاً ما خطأ في قلب الطفل يتطلب التصحيح. والدواء ليس فقط تغير بنيان المنزل؛ وإنما مخاطبة القلب وتوجيهه.

القلب ليس على الحياد:

حيث أنه لا يوجد شيء من الحياد في مرحلة الطفولة، فإما أن يعبد الأطفال الله أو الأوثـان. هـذه الأوثان ليست تماثيل صغيرة. وإنما هي أصنام في القلب. يتحدث الكتاب عـن مـثل هـذه الأوثـان مستخدماً مصـطلحات مـثل "الخـوف مـن الإنسان"، "رغبات شـريرة"، "الشـهوات الجنسـية"، "الكبرياء". كما تتضمن الأوثان "التطابق مع العالم"، "الميول الأرضية". تركيز المشاعر على الأمور الدونية. ما لدينا في المشهد هو أي شكل من الدوافـع، أو الشـهوات، أو الرغـبات، أو الأهداف، أو الآمال، أو التوقعات التي تحكم قلب الطفل. تذكر، ليس ضرورياً أن تتواجد كل هذه الأشياء معاً في آن واحد.

إن طفلك وهو يتفاعل مع اختبارات مرحلة الطفولة، يتفاعل من منطلق "توجه القلب نحـو الله". إمـا يسـتجيب لـلحياة كطفل في الإيمان يعرف، ويحب، ويخدم الله، وإما يستجيب كطفـل أحمـق، غـير مؤمـن، لا يعـرف الله، ولا يخدمـه. الـنقطة هي، أنه يستجيب .. إنـه ليـس عـلى الحياد. إنه ليس مجموع الأشياء التي وضعناها أنت وأنا فيـه؛ فهو إما يتفاعل مع الحياة من خلال عهد إيمان حقيقي، أو من خلال عهد وثني الذي لعدم الإيمان.

من الذي يعبده الطفل؟

يجـب أن تكون هذه القضية واضحة تماماً. ليست الأبوة مجرد إعداد الطفل بما هو جيـد، وهـي ليسـت مجـرد خلق جو بناء في المنزل وتفاعل إيجابي بين الطفل ووالديه. هـناك بُعـد آخـر، وهـو أن الطفل يتفاعل مع الإله الحي. إنه إما يعبد ويخدم وينمو في معرفة من هو الله أو إنه يبحث عن ما يجعل الحياة لها معنى بدون علاقة مع الله.

إذا كان يحيا كأحمق يقول في قلبه، لا يوجد إله، فإنه لا يتوقف عن العبادة، لكنه

ببساطة يعبد ما هو غير الله. إن جزءاً من مهمة الأبوة هو رعايته ككائن يعبد، مع توجيهه للإله الوحيد المستحق وحده العبادة. السؤال ليس: "هل سيعبد؟" وإنما يكون دائماً: "من الذي سيعبده؟".

ما تتضمنه تربية الطفل

تجعل هذه القضية هذا الكتاب مختلفاً عن كل ما تقرأه في أغلب الكتب الأخرى عن تربية الطفل. كُتبت معظم هذه الكتب، لتساعدك لكي ما تقوم بعملك على أفضل وجه فيما يتعلق بتدبير مؤثرات تشكيلية بناءة لطفلك. كل التلميحات والأفكار الخلاقة موجهة نحو تقديم الأفضل، أي الأفكار المتناسقة الخاصة بالمؤثرات التشكيلية بحسب الكتاب المقدس على أمل أن يستجيب الطفل للأشياء ويصبح على ما يرام. أنا لا أقدم فقط بعض الأفكار تجاه البنيان الكتابي للحياة، إنما أتطلع إلى رعاية الطفل من خلال الوصول لقلبه.

تذكر (أمثال ٤: ٢٣)، الحياة تنبع من القلب. لا يمكن أن تهتم الأبوة فقط بالمؤثرات التشكيلية الإيجابية؛ وإنما يجب أن ترعى القلب، فالحياة تنبع من القلب.

إنني مهتم بمساعدة الآباء واضعاً يدي في أيديهم في أصغر ميدان حرب في العالم، الذي هو قلب الطفل. أنت تحتاج أن تنشغل بأطفالك ككائنات مخلوقة على صورة الله. يمكنهم أن يجدوا السعادة وتحقيق الذات فقط من خلال معرفتهم وخدمتهم للإله الحي.

إن المهمة التي تتحملها في تربية الأطفال دائماً ما تعتني بكلتا القضيتين الموضحتين في الرسوم التوضيحية السابقة. أنت تريد أن تقدم أفضل مؤثرات تشكيلية ممكنة لأطفالك. تريد بنيان منزلك لكي يوفر الاستقرار والأمان اللذين يحتاجهما أطفالك. تريد نوعية العلاقات في منزلك لتعكس نعمة الله ورحمته للخطاة الساقطين التي تظهرها شخصية الله. تريد أن تكون العقوبات مناسبة وتعكس رؤية الله القدوس للخطية. تريد أن تصاغ

قيم منزلك في صورة كتابية. أنت تريد أن تتحكم في تتابع الأحداث فلا تجري بصورة فوضوية. أنت تريد أن تدبر لطفلك المناخ الصحي البناء.

عندما يُقال كل شيء ويحدث، فإن هذه الأشياء، مهما كانت أهميتها، لن تشكل أبداً القصة كلها. إن طفلك ليس مجرد نتاج لهذه المؤثرات التشكيلية، إنه يتفاعل مع كل هذه الأشياء. إنه يتفاعل طبقاً لطبيعة اختيارات العهد الذي يقوم به. فإما يستجيب لصلاح الله ورحمته بالإيمان أو يستجيب في عدم الإيمان. إما ينمو ليحب ويثق في الله الحي، أو يتحول بصورة تامة نحو أشكال متنوعة من الوثنية والاعتماد على الذات. ليست القصة فقط طبيعة المؤثرات التشكيلية في حياته، وإنما كيف استجاب لله في نطاق هذه المؤثرات التشكيلية.

حيث أن مدى توجه قلب طفلك نحو الله هو الذي يقرر استجابته للحياة، فإنك لا يمكن أن تصير على قناعة أن مشاكله هي ببساطة عدم نضج. الأنانية هي ليست تفوق في النمو. كما أن الثورة ضد السلطة أيضاً ليست تفوق في النمو. هذه الأشياء لا يمكننا أن نعتبرها تفوق في النمو لأنها لا تعكس عدم النضج وإنما وثنية قلب طفلك.

كان "ألبرت" الصغير طفلاً مخادعاً. كان يتسلل خلف ظهر والده، ويكذب حتى لو كان الكذب غير مفيد. كان عادة يسرق الأموال من والديه. أصر والده على تفسير سلوكه كسلوك غير ناضج وصبياني. كان "ألبرت" غير ناضج، ولكن لم يكن هذا هو السبب في أنه غير جدير بالثقة. كان السبب في عدم جدارته بالثقة فيه هو أنه كان خاطئاً. كان "ألبرت" يحاول أن يصنع معنى للحياة بدون الله. وفي وثنية تمرده ضد سلطة الله وقراره أن يكون تحت سلطانه الخاص، أصبح غير جدير بالثقة. لم يكن والد "ألبرت" قادراً على مساعدة ابنه حتى بدأ يرى أن سلوك "ألبرت" يعكس قلباً ارتد عن الله.

أهمية التوجه نحو الله

يمكننا أن نرى في الأحداث الكتابية أن المؤثرات التشكيلية ليست القصة كلها. فكر في "يوسف، كانت خبرات طفولته بعيدة عن المثالية، ماتت والدته وهو مازال صغيراً. وكان الابن المدلل لأبيه. كانت أحلامه تشعل كراهية أخوته له. وقد ازداد بعده عنهم بسبب القميص الملون هدية والده له، والذي جعله منفرداً بعيداً عن سلطانهم. لقد خانه أخوته، فألقوه في البئر. واشتراه تجار العبيد الانتهازيون لكي ما يكسبوا من وراء إعادة بيعه. لقد أهين مرتين في منزل فوطيفار بالرغم من أمانته وكماله، فسُجن. وحتى في السجن تخلى عنه هؤلاء الذين ساعدهم. قد تتوقع أن تجد هنا رجلاً يمتلئ بالمرارة، ومنتقداً، وممتعضاً، وغضوباً. إن كان الرجل عبارة عن مجموع المؤثرات التي تشكله، فإن هذا يجب أن يكون نتيجة حياة "يوسف". ولكن عوضاً عن هذا، ماذا نجد؟ عندما ألقى أخوتهم بأنفسهم أمامه على الأرض متوسلين طالبين الرحمة، قال لهم "يوسف": "لا تخافوا لأنه هل أنا مكان الله؟ أنتم قصدتم لي شراً أما الله فقصد به خيراً لكي يفعل كما اليوم ليحيي شعباً كثيراً فالآن لا تخافوا أنا أعولكم وأولادكم فعزاهم وطيَّب قلوبهم" (تكوين ٥٠: ١٩-٢١).

كيف يمكننا أن نفسر حياة "يوسف"؟ في وسط هذه المؤثرات التشكيلية، استودع يوسف نفسه لله. لقد صنع منه الله رجلاً يستجيب من خلال علاقة حية معه. لقد أحب الله ووجد أن توجهاته ليست في المؤثرات التشكيلية في حياته وإنما في محبة لا تسقط ومراحم عهد الله.

وماذا عن الفتاة خادمة زوجة نعمان السرياني؟ التي أسرها جنود الأعداء وأبعدوها عن منزلها في إسرائيل لتصير خادمة لأحد الجنود الآراميين. كانت جزءاً من غنيمة الحرب. كانت المؤثرات التشكيلية في حياتها بعيدة عن المثالية، ولكنها ظلت أمينة

"لله". عـندما احتاج سيدها للشفاء، كانت هذه الفتاة تعرف قوة الله، بل ما هو أكثر من هـذا. كـانت تعـرف أيـن كان النبي في إسرائيل. لم يعرف ملك إسرائيل النبي ولم يكن لديه إيمان عميق بقوة الله. قد استجاب للحالة الطارئة بخوف وعدم إيمان (انظر ٢ملوك ٥ : ٦-٧). لمـاذا اسـتجابت هـذه الفـتاة بصـورة مختـلفة؟ بكـل وضوح هناك ما يؤثر في الإنسـان. أكـثر مـن مجـرد المؤثـرات التشكيلية. هنا. فتاة نالت وحافظت على إيمانها "بالله" بالرغم من الظروف القاسية التي نشأت فيها.

ملخص

هذه هي النقطة. هناك قضيتان تصبان في الشخصية التي يصبح عليها طفلك، وهما:

١) المؤثرات التشكيلية للحياة.

٢) التوجه نحو الله.

لذلك، فإن أبوتك يجب أن تتجه نحو هاتين القضيتين. يجب أن تهتم بكيفية بناء المؤثـرات التشـكيلية لـلحياة بحيـث تكون تحـت سيطرتك (بالطبع هناك أمور لن تكون تحـت سـيطرتك مـثل الموت ... الخ). وثانياً يجب أن ترعى إيجابياً توجه طفلك نحو الله. في كـل هذه الأمور يجب أن تصلي لكي ما يعمل الله في مجهوداتك وفي استجابات أطفالك لكي ما يجعلهم أشخاصاً يعرفونه ويكرمونه.

الصـورة ٢، ٣ يقدمـان الاتجـاه والـتوجه وأنت تبحث عن فهم مهمتك كأب. بينما تهتم بالمؤثرات التشكيلية الكتابية، يجب أن ترعى قلوب أطفالك في اتجاه معرفة وخدمة الله.

في الفصـل القادم سنمتحن القضايا الأساسية للأبوة. ما الذي يعنيه للآباء أن يتصرفوا كوكلاء لله؟ ما هي طبيعة مهمتك؟ ما هي وظيفة التربية والتوجيه؟

أسئلة تطبيقية للفصل الثالث:

(١) هل تنوي أن تكون إيجابياً في الطريقة التي تنظر بها إلى تربية أطفالك؟ هل أنت قـادر عـلى رؤية أطفالك يستجيبون بصورة نشطة للمؤثرات التشكيلية في حياتهم؟ كيف تراهم يستجيبون؟

(٢) مـاذا تظـن بخصـوص الـتوجه نحـو الله الخـاص بأطفـالك؟ هـل حيـاتهم واسـتجاباتهم محورهـا الله كأب، وراع، ورب، ومخلص، وملك؟ أم أنك تراهم يحيون لأجل نوع من المسرة والمتعة، والرضى، والقبول، أو لأجل بعض الآلهة المزيفة؟

(٣) كيـف تصـمم بعـض الطرق البارعة والجذابة لتحدي الأوثان التي ربما تراها في حياة طفلك؟

(٤) كيف يمكن أن تضع كل تركيزك على تصحيح القضايا العميقة المتعلقة بالتوجه نحو الله؟ كيف تساعد طفلك ليرى كيف يضيع حياته في أمور لا تشبعه؟

(٥) هـل تقضي وقتاً مع شريك حياتك في الصلاة لله لكي ما يعلن ذاته لأطفالك؟ في النهاية نقول إن الله سيبدأ عملاً في قلوب أطفالك.



الفصل الرابع

أنت مسئول

كان الأولاد خارجاً يعملون في الحظيرة، حينما ذهبت ابنتنا لتستدعيهم للغذاء.

قـالت لهمـا بلهجة آمرة: "هيا، تعالا أنتما الاثنين للداخل، اغتسلا واستعدا للغذاء الآن!"

وسألتها زوجتي عندما عادت إلى المنزل وحدها: "هل سيأتي الولدان الآن؟"

أجابتها بنظرة نمت عن محاولتها أن تستمد قوة تؤثر في الولدين: "لقد دعوتهما".

لماذا لم يأتِ الولدان؟ لأن أختهما هي التي دعتهما ولم يطيعاها، لأنهما ليسا تحت سلطانها.

لقد عادت إلى الحظيرة بنفس الرسالة وأضافت كلمتين قويتين "أمي تقول ...".

لم يكـن لابنتـنا السـلطان أن تأمر الولدين أن يدخلا المنزل. أما في المرة الثانية عندما دعت الولدين دعتهما كوكيلة عن أمها. فعرفا أنه حان الوقت للدخول.

الحيرة بشأن السلطة

لا يحـب مجتمعنا السلطة. ليس الأمر مجرد أننا لا نحب أن نكون تحت سلطان، وإنمـا لا نحـب مـبدأ وجـود السلطة في حد ذاته. يمثل البيت أحد الأماكن المهمة التي نمتعض (نستاء) فيها من مبدأ وجود سلطة.

نحن نحتاج إلى فهم كتابي فيما يتعلق بالسلطة، الأسئلة كثيرة حولها. ما هي طبيعة

سلطة الآباء على الطفل؟ هل هي مطلقة أم نسبية؟ هل السلطة المخولة للأبوين في الأصل بسبب اختلاف السن بين الآباء والأطفال الصغار؟ هل نحن مسئولون لأننا أكثر وسامة وأكثر خبرة، هل نحن مدعوون لنحكم لأننا لسنا خطاة وهم كذلك؟ هل لدينا الحق أن نطلب من أطفالنا أن يفعلوا أي شيء نريدهم أن يفعلوه؟

إن لم تجب على أسئلة مثل هذه، ستصبح متزعزعاً عند القيام بواجباتك تجاه الله وتجاه أطفالك. إن لم تكن متأكداً بخصوص طبيعة ومدى سلطتك، فإن أطفالك سيعانون بصورة عظيمة. ولن يعرفوا أبداً ما يتوقعونه منك لأن القواعد الأساسية ستكون متغيرة دائماً. لن يتعلموا أبداً مطلقات ومبادئ كلمة الله والتي وحدها تعلم الحكمة.

الآباء في مجتمعنا عادة ما يرتجلون لأنهم لا يفهمون ضرورة رعاية الأطفال، وهو مبدأ كتابي. عادة لا تكون أهداف الأبوة أكثر نبلاً من الراحة والتكيف مع الحياة. عندما يطلب الآباء الطاعة لأنهم يشعرون أنهم تحت ضغط، فإن طاعة الأطفال تكون أقل من تلك التي تلائم الآباء. يجب على الآباء المسيحيين أن يفهموا بوضوح طبيعة الأبوة بحسب الله. يجب على الأطفال أن يتدربوا على أن الله يدعوهم للطاعة دائماً.

الدعوة أن تكون مسئولاً

كأب، لديك السلطان لأن الله دعاك أن تكون صاحب سلطان في حياة طفلك. لديك السلطة أن تتصرف لصالح الله. كأب أو كأم، أنت لا تمارس حكماً على دائرة اختصاصك، وإنما بدائرة اختصاص الله. أنت تتصرف كقائد عنده، تؤدي واجبك الذي أعطاه لك. لا تحاول أن تشكل حياة أطفالك كما يروق لك وإنما كما يُفرح الرب.

يجب أن تقوم بكل ما تحتاج أن تقوم به في مهمتك كأب من منطلق هذه الرؤية. يجب أن تقوم بكل إرشاداتك، ورعايتك، وتربيتك، وتوجيهاتك لأن الله قد دعاك

لهذا. أنت تتصرف من منطلق القناعة أن الله حملك مسئولية العمل لصالحه. في (تكوين ١٨ : ١٩) يقول الله: *"لأني عرفته (ابراهيم) لكي يوصي بنيه وبيته من بعده أن يحفظوا طريق الرب ليعملوا براً وعدلاً ..."* كان إبراهيم في مهمة خاصة بالرب. كان يتمم مهمة في خطة الرب وفي جدول أعماله. لقد دعاه الرب لهذه الأمور. إنه ليس حر الحركة. لم يكتب إبراهيم التفاصيل الخاصة بوظيفته. لقد أعطى الرب تعريف المهمة، وتحرك إبراهيم لأجل الرب.

يؤكد لنا (تثنية ٦) هذه الرؤية لمسئولية الأبوة. ففي عدد ٢ يقول الرب إن هدفه لأجل الإسرائيليين وأولادهم وأحفادهم أن يخافوا الرب بحفظهم أحكامه. والآباء الذين دعاهم الرب من أجل تدبير تدريب وإرشاد لأبنائهم عند جلوسهم في المنزل، أو مسيرهم في الشارع، أو رقودهم، أو استيقاظهم ... هم الأشخاص الذين تعبر أحكام الرب من خلالهم. إن الرب لديه هدف، فهو يريد أن تسير البشرية جيلاً بعد جيل في طرقه. ويتمم الرب هذا الهدف من خلال وكالة التعليمات والتوجيهات الأبوية.

يأمرك (أفسس ٦ : ٤) أن تربي أطفالك في تدريب وإرشاد الرب. إنها وصية من أجل هذا، لذا يجب أن نؤدي وظيفتنا لصالح الرب.

يمكنك فهم هذا المبدأ البسيط من أن تفكر بوضوح وبعمق بخصوص مهمتك. إن كنت وكيلاً لله في مهمة تدبير التدريب الإرشاد في الرب، فإنك، أيضاً، شخص تحت سلطان، أنت وطفلك في نفس القارب، كلاكما تحت سلطان الله. لكل منكما دوره المختلف، ولكن لكما نفس السيد.

إن أعطيت لغضب غير المقدس فرصة أن يُعكِّر صفو عملية التوجيه، فأنت مخطئ. أنت تحتاج أن تطلب الغفران. إن حقك في تربية أطفالك مرتبط بما دعاك الله أن تفعله، وليس بما في جدول أعمالك.

مدعو للطاعة

أنـت لا تـأتي وتطـلب مـن طفلك، لأجل مقاصدك الخاصة، أن يشمر عن ساعده لأجـلك ويطيعـك. كلا! فأنت تأتي بتوبيخات الأدب التي هي طريق الحياة (أمثال ٦: ٢٣). فتربط ابنك بالرب لأن الرب ارتبط بك أنت أولاً.

أتذكر العديد من المناقشات التي دارت مثل هذه:

الأب: أنت لم تطع بابا، أليس كذلك؟

الابن: كلا.

الأب: هل تتذكر ما قاله الله عما يجب أن يفعله بابا إن لم تطعه؟

الابن: يضربني؟

الأب: حقـاً. يجـب أن أضـربك. وإن لم أفعـل هـذا فأنا هكذا لا أطيع الله. وهكذا نصبح أنا وأنت مخطئين. وهذا لن يكون حسناً لك ولي. أليس كذلك؟

الابن: نعم (إجابة مكروهة – غير مرغوب فيها).

مـا الذي سيصل للطفل من خلال هذا الحوار؟ أنت لا تضربه لأنك تقصد هذا. أنت لا تحـاول أن تـرغمه عـلى الخضوع لك فقط لأنك تكره الوقاحة. أنت غير غاضب منه. وإنمـا، أنـت مـثله، تحـت شـريعة وسـلطان الله. الله دعاك لمهمة أنت لا تستطيع أن تهـرب مـنها. أنت تتصرف تحت مظلة شريعة الله، وتطلب منه الطاعة لأن الله أمرك بهذا.

الثقة لكي تتصرف:

يوجـد هـنا حـرية ضـخمة لـلأب. عندما توجه، أو تصحح، أو تربي، أنت هنا لا

تتصرف من خلال مشيئتك الخاصة؛ وإنما تتصرف لحساب الله. لا يجب عليك أن تتعجب إن كان الأمر على ما يرام بالنسبة لك أن تكون مسئولاً. وبالتأكيد أنت لا تحتاج لإذن طفلك. لقد أعطاك الله مهمة يجب أن تنجزها؛ لذلك، موافقة طفلك غير ضرورية.

حتمية التصرف:

إن إدراكك أنك كأب وكيل لله، لا يتعامل فقط مع حقك في التصرف – وإنما يشمل أيضاً حتمية التصرف. لا يوجد لديك أي اختيارات. يجب أن تنشغل بأطفالك. أنت تتصرف في طاعة الله، هذا واجبك.

للمزيد من التوضيح، وفي ولاية بنسلفانيا، حيث أعيش، تطلب مدارس أن تبلغ عن أية حالة شك في إدمان طفل. هذا القانون لا يوفر ببساطة الخيار في الإبلاغ عن أي حالة إدمان. نما يتطلب أن يتم الإبلاغ عن حالات الإدمان. ليس للمدرسة خيار في الإبلاغ إن القانون يتطلب ذلك. وبنفس الطريقة، فإن حقيقة أن الله قد دعاك أن تكون صاحب سلطان في تربية أطفالك، لم تعطك فقط الحق، وإنما المسئولية في هذا الأمر.

وكمدير لمدرسة، لاحظت أن معظم الآباء لا يدركون أهمية ملائمة مسئوليتهم عن حياة طفلهم. بل بالعكس، فالآباء يأخذون دور مقدمي النصيحة. القليل منهم يرغبون في أن يقولوا، على سبيل المثال: "لقد أعددت لك وجبة الإفطار، إنه صحي، ومغذ، وأريدك أن تأكله. قد يكون هناك شيء تحبه أكثر في الأيام المقبلة". كثيرون يقولون: "ما الذي تريده لأجل الإفطار؟ أنت لا ترغب في الوجبة التي أعددتها؛ هل ترغب في شيء آخر؟" قد يبدو هذا جيداً ومثيراً للبهجة، لكن ما الذي يحدث بالفعل؟ يتعلم الطفل هنا أنه هو صانع القرار، أما الوالدان فعليهما فقط تقديم الاختيارات.

يُعاد هذا السيناريو في اختيار الأطفال الصغار للملابس، واختيار المواعيد، واختيار الأوقات الحرة ... الخ. ومع مرور الوقت عندما يصبح الطفل في عمر السادسة أو الثامنة أو العاشرة، يصبح هو سيد نفسه. وعندما يصبح في الثالثة عشر يصبح الفتى خارج نطاق السيطرة . الآباء يتملقون، ويتوسلون، ويلحون (بغضب وبإحباط)، ويصرخون، ويهددون. ولكن الطفل أصبح هو سيد نفسه. والأب لم يعد لديه الحق في صنع قرار في حياة الطفل. كيف حدث هذا؟ لقد تسلل هذا أثناء السنوات الأولى عندما جعل الآباء كل قرار عبارة عند عدة اختيارات أمام الطفل يقرر منها ما يشاء.

قد يقول البعض: "إن الأطفال يتعلمون كيف يصبحون صانعي قرار عندما يدعهم الآباء يتخذون القرارات بأنفسهم. نريد أن نعلم الأطفال كيف يتخذون قراراً صائباً". إن هذا يتجاوز أهم قضية، سيصبح الأطفال صانعي قرارات بصورة جيدة عندما يلاحظون آباءهم المخلصين يقدمون القدوة والإرشاد في الاتجاه الحكيم مع صنع القرار لصالحهم.

تستوجب صناعة القرار حتمية وجود الأطفال تحت سلطان. علِّم أطفالك أن الله يحبهم جداً حتى أعطاهم آباء ليكونوا أصحاب سلطة عليهم بصورة عطوفة ليعلموهم ويقودوهم. سيصبح الأطفال صانعي قرار حكماء عندما يتعلمون ذلك منك.

يجب أن يرغب الآباء في تحمل المسئولية. يجب أن يفعلوا هذا بطريقة رحيمة وحسنة، يجب أن تكون في موضع السلطة على أطفالك.

تعريف الأبوة

حين تدرك أن الله قد دعاك أن تقوم بوظيفتك الأبوية كوكيل له فإن هذا يحدد لك مهمتك كأب. لقد اختزل مجتمعنا الأبوة فجعلها مجرد تقديم رعاية. عادة ما يرى الوالدان المهمة بهذا الأفق الضيق والرؤية الضعيفة. يجب أن يحصل الطفل على الغذاء،

والملابس، والفراش، وبعض الوقت المتع. لقد دعاك الله إلى مهمة أعمق من مجرد تقديم الرعاية. *أنت ترعى طفلك لأجل الرب*. ليست المهمة التي أعطاها لك الله من النوع الذي يمكنك جدولته بسهولة. إنها مهمة خارقة. يستمر التدريب والرعاية طالما كنت مع أطفالك. سواء كنت سائراً أو متحدثاً، مستيقظاً أو في فترة راحتك، يجب أن تنشغل بمساعدة طفلك لكي ما يفهم الحياة، ويفهم نفسه، واحتياجاته من خلال منظور كتابي (تثنية ٦: ٦–٧).

إن كنت تريد أن ترعى أطفالك، عليك أن تفهم ما الذي يجعل طفلك مضطرباً. إن كنت ستوجهه لطرق الله كما يدعوك سفر التكوين الأصحاح ١٨، يجب أن تفهمه وتفهم رغباته. تتطلب هذه المهمة أكثر من مجرد تدبير الطعام الكافي أو الغذاء أو المأوى الآمن.

الأهداف واضحة:

يجب على الوالدين أن يضعا أهدافاً محددة تجاه أولادهم. لا يعرف معظم الآباء كيف يعدون بسرعة قائمة لمناطق القوة والضعف في أبنائهم. ولا أن يصرحوا بما يفعلونه لتقوية مناطق الضعف في طفلهم أو لتشجيعه في مناطق قوته. لم يجلس الكثير من الآباء والأمهات ليناقشوا أهدافهم قصيرة وطويلة المدى لأطفالهم. لم يكونوا خططاً في التربية. لا يعلمون ما يقوله الرب بخصوص الأطفال ومطالبه لأجلهم. إنهم يستخدمون القليل من التفكير في الطرق والاتجاهات التي يمكن أن تركز على تقويم سلوك القلب أكثر من السلوك نفسه. وللأسف، معظم التقويم يحدث كنتيجة لإحراج الأطفال أو استفزازهم.

لماذا كل هذا؟ إن فكرتنا عن التربية لا تشمل الرعاية. ومجتمعنا يرى الوالدين كأشخاص ناضجين يقدمون الرعاية. نوعية الوقت تُحسب بمدى التمتع الذي نحياه معاً. التمتع معاً ليس فكرة سيئة، ولكنها سنوات قليلة تستطيع فيها أن توجه طفلك نحو

طرق الله.

وعلى العكس من هذا، فإن (تكوين ١٨) يدعو الآباء لتوجيه أطفالهم ليحافظوا على طرق الرب بفعل ما هو صائب وعادل. كونك أباً يجعلك تعمل لصالح الله لتقديم التوجيه لأطفالك الموجهين تحت مسئولية. يجب أن تنشغل بمعرفة الأطفال ومساعدتهم على فهم مقاييس الله لسلوكيات الأطفال. إن هذا يعني تعليمهم أنهم خطاة بالطبيعة. إنه يشمل توجيههم إلى رحمة الله ونعمته الظاهرة في حياة المسيح وموته لأجل الخطاة.

الاتضاع في مهمتك:

إن إدراكك لتصرفك كوكيل لله يمكن أن يحفظك بشدة مركزاً ومتضعاً كأب. من التعقل أن تدرك أنك تقوِّم طفلك من خلال وصية الله. أنت تقف أمام الله كوكيل له لتظهر لطفلك خطيته. كسفير واعٍ ومدرك لوظيفته لصالح الدولة التي أرسلته، لذا يجب على الوالدين أن ينتبها لحقيقة أنهما ممثلين لله أمام الطفل. لا أعرف أي إدراك آخر يمكن أن يجعل الآباء متضعين مثل هذا.

في كثير من المناسبات، كان علي أن أطلب الغفران من أطفالي بسب غضبي أو تجاوبي الخاطئ. كان علي أن أقول: "ابني، لقد أخطأت في حقك. إنني أتحدث في غضب غير مقدس. إنني أقول أشياء لا يجب أن أقولها. كنت مخطئاً. لقد أعطاني الله مهمة مقدسة، وقد مزجت غضبي غير المقدس بهذه المهمة المقدسة، من فضلك اغفر لي".

إن تركيز يمكن أن يكون حاداً بإدراكك أن التأديب ليس بحسب جدول أعمالك، أو لكي ما تنفس عن غضبك تجاه أطفالك. يجب أن تأتي كنائب لله، وتحضر الحياة لابنك أو ابنتك. إنك تعكر المياه عندما يكون الخط الأساسي في تأديبك هو عدم رضاك عن سلوكهم، الأساس هو عدم رضا الله بسبب تمردهم تجاه سلطانه المفوض لك.

لا مكان للغضب:

لقد تحدثت إلى عدد كبير من الآباء، كانوا يعتقدون بصدق أن غضبهم هو أمر مشروع ومهم في التربية والتهذيب. كان منطقهم في هذا أنهم بهذه الطريقة يستطيعون أن يجعلون أبـناءهم يخـافون من عدم الطاعة إن أظهروا هم غضبهم. لذا أصبحت التربية هي الوقت الذي يؤدب فيه الآباء أبناءهم من خلال إظهار الغضب. وما يتعلمه الطفل هنا هو الخوف من الإنسان، وليس الخوف من الله.

يوضح لـنا الأصحاح الأول من رسالة الرسول يعقوب زيف فكرة أن الآباء يجب أن يؤكدوا تأديبهم بالغضب، فيقول:

" إذاً يـا أخوتي الأحباء ليكن كل إنسان مسرعاً في الاستماع مبطئاً في التكلم مبطئاً في الغضب لأن غضب الإنسان لا يصنع بر الله" (يع ١: ١٩–٢٠).

لا يستطيع الرسول يعقوب أن يكون أكثر وضوحاً من هذا. إن حياة البر التي يطلبها الـرب ليسـت نـتاج الغضـب الـذي يفتقد السيطرة. قد يُعلِّم الغضب البشري الأطفال أن يخافوك، وقد يتحسن سلوكهم، ولكنه لن يجلب البر الكتابي.

إن أي تغيـير في السـلوك نـاتج عن مثل هذا الغضب، لن يحرك أطفالك تجاه الله. وإنمـا يـتحرك بهـم في طـريق صـنم خوف الإنسان. فلا عجب أن يؤكد الرسول يعقوب تركيزه بالقول: "إذاً يا أخوتي الأحباء، انتبهوا لهذا ..." (ترجمة إنجليزية).

إن وجهـت أطفالك وربيتهم لأن الله جعل هذه المهمة ضرورية، فأنت لا تحتاج أن تُفشِّل مهمتك بغضبك. ليست التربية هي إظهار غضبك تجاه أخطائهم؛ وإنما بالأحرى هـي تذكيرهـم أن سـلوكياتهم الخاطـئة تُسـيء إلى الله. وأنهـا تسـتجلب إدانته للخطية المضادة لملكوته. فهو الملك، ويجب أن نطيعه.

مكاسب للطفل:

يـأتي الأبـوان لـلطفل باسم الله، ولأجله. وكأب، يمكنك أن تعلم طفلك أن يستقبل التربية منك لأنها الوسيلة التي عينها الله. يجب أن يتعلم الأطفال أن يستقبلوا التأديب، لا لأن الآبـاء دائماً على صواب، وإنما لأن الله يقول أن عصا التوبيخ تعطي حكمة، ومن يرفض التأديب أحمق (أمثال ١٥: ٥؛ ٢٩: ١٥).

يتعـلم الطفـل الـذي يقـبل هـذا الحق أن يقبل التأديب. اندهشت واتضعت، عندما وجـدت أطفـالي في أواخـر سـن مراهقتـهم وأوائل سن العشرينات يقبلون التأديب، ليس لأنني قدمته لهم بأفضل صورة ممكنة، وإنما لأنـهم اقتنعوا بأن *"من يرفض التأديب يرذل نفسـه ومـن يسمع للتوبيخ يقتني فهماً"* (أمثال ١٥: ٣٢). لقد أدركوا أن أباهم هو وكيل الله، ومُستخدم بالله في موضع السلطة لتوجيههم إلى طرق الله. لهذا، حتى وإن لم يكن أداة سليمة في عمل الله، فإنهم يعلمون أن استقبالهم للتأديب سيعطيهم الفهم.

ملخص

يمكـن أن يعطيـك إدراك هذه القضايا القوة والشجاعة وأنت تقوم بعملك الذي دعاك الله إليـه. أنت صاحب سلطان على أطفالك، فالله دعاك لتوجيههم (تكوين ١٨: ١٩). إنـك تقـدم التوجيه تحت سلطان الله. إن حقك أن تكون مسئولاً مستمد من سلطان الله. أنـت لا تحـتاج أن تكـون تحـت الـتجربة، أو متغطرسـاً. أنت وكيل الله لتعلم أطفالك طرقه، ولتساعد طفلك أن يفهم نفسه ككائن في عالم الله. أنت وكيل الله لتظهر الاحتياج لنعمة الله وغفرانه. إنك تنظر إلى الرب ليعطيك القوة والحكمة للقيام بمهمتك هذه.

يوضـح الـتفكير الواضـح لعملية التربية أهمية رؤية نفسك كوكيل لله، مدعواً من الله لتكون مسئولاً.

التربية: تصحيح، وليست عقاباً:

إذا كان التأديب يدور حول الآباء الذين يشعرون بالاستياء، فإن التركيز سيكون حول التنفيس من خلال الغضب، أو ربما، الانتقام. العملية هنا هي العقاب. لكن إن كانت التربية تدور حول شخص الله المستاء مما يحدث، فالتركيز هنا يكون على استعادة الموقف إلى وضعه الصحيح. الوظيفة هنا علاجية. إنها مصممة لتتحرك بالطفل الذي عصى الله رجوعاً لطريق الطاعة. إنها تصحيحية.

التربية: تعبير عن الحب:

استمعت لمحادثة، أثناء حديث قصير خلال استراحة في مؤتمر للرعاة، كان هناك اثنان من الآباء يتحدثان عن أطفالهما ولم أستطع مقاومة الاستماع لهما.

قال الأب الأول: "إنني قاس عليهم جداً، أؤدبهم طوال الوقت. وعليَّ أن أفعل هذا، فزوجتي تحبهم جداً لتربيهم".

رد الأب الثاني: "أعتقد أنك تحتاج أنت وزوجتك إلى إيجاد نوع من التوازن".

الأب الأول: "نعم، نحن نحتاج لبعض التوازن ما بين التأديب والحب".

استغرقت متأملاً أثناء تناولي للكعكة! التوازن ما بين التأديب والحب؟ فكرت في (الأمثال ٣: ١٢) "... *لأن الذي يحبه الرب يؤدبه وكأب بابن يسر به*" وقفزت الآية التي في (أمثال ٣: ١٩) سريعاً إلى ذهني: "*من يمنع عصاه يمقت ابنه ومن أحبه يطلب له التأديب*" أما في سفر (الرؤيا ٣: ١٩) فيقول: "*إني كل من أحبه أوبخه وأؤدبه ...*". كيف يمكن التوازن بين التأديب والمحبة؟ التأديب هو تعبير عن المحبة.

لم تكن تلك المناقشة التي استمعت إليها غريبة أو غير شائعة. يفتقر الكثير من الآباء

إلى النظرة الكتابية للتأديب. إنهم يميلون إلى الاعتقاد أن التأديب نوع من الانتقام – متساوين في هذا بما يعتقده الأطفال. توضح لنا الرسالة إلى العبرانيين، الأصحاح ١٢ أن التأديب ليس عقاباً، وإنما تصحيح. يدعو الرسول في (عبرانيين ١٢) التأديب كلمة تشجيع يخاطب بها الأبناء. يقول إن التأديب يجعلنا نتعرف على الله كأب. يؤدبنا الله لأجل المنفعة لكي نشترك في قداسته. يقول إن *"كل تأديب في الحاضر لا يُرى أنه للفرح بل للحزن وأما أخيراً فيعطي الذين يتدربون به ثمر بر للسلام"*. ليس التأديب بحاجة للتوازن مع المحبة، إذ أنه أعمق تعبير عنها.

يقدم لنا الرب مفهوم التأديب. إن وظيفته ليست عقابية بالدرجة الأولى. إنه تصحيحي. الدافع الأول للتأديب ليس الانتقام، وإنما التصحيح. تأديب الطفل هو رفض الأب لأن يكون طرفاً في موت الطفل أدبياً (أمثال ١٩ : ١٨).

ما الذي يجعل هذه الفكرة صعبة التحقيق؟ إنها صعبة بسبب ما ناقشناه من قبل. إننا لا نرى أنفسنا كوكلاء لله. لذلك، نحن نصحح أطفالنا عندما يثيروننا. وحين لا يكون سلوكهم مثيراً لنا لا نصححهم. وهكذا، فإن توجيهنا ليس إنقاذ الأطفال من طريق الخطر؛ وإنما هو تنفيس عن إحباطنا. نحن الذين نقول لهم: "أنت تجعلني أستشيط غضباً. سأضربك، أو سأصرخ في وجهك، أو سأجعلك تجلس على كرسي منعزلاً عن الأسرة حتى تصحح ما أخطأت فيه".

ما شرحته الآن ليس تأديباً، وإنما عقاب. إنها إساءة شريرة للطفل. تترك هذه المعاملة الطفل عابساً وغاضباً عوضاً عن أن تثمر براً وسلاماً. فلا عجب أن يقاوم الطفل رغبة شخص ما يتحرك ضده فهو قد أغضبه.

إن التأديب كتوجيه إيجابي، والعقاب السلبي لا يتحكمان تماماً في النتائج أو السلوكيات النهائية. النتائج والسلوكيات النهائية هي حتماً جزء من طريقة يستخدمها

الرب ليؤدب شعبه. يوضح لنا الكتاب المقدس قوة النتائج السليمة لإظهار بركات الطاعة، كما تحدث عن الدمار الذي تجلبه الخطية والعصيان، وسنتحدث في هذا الأمر لاحقاً.

إنه أمر حقيقي أن الأطفال المؤدبين هم مصدر فرح لآبائهم (أمثال ٢٣: ١٥-١٦، ٢٤)، وكوكلاء لله لا تستطيع أن نؤدب أولادنا لمجرد اهتمامات ذاتية أو اقتناعات شخصية. يجب أن يكون تأديبك مرتبطاً بمبادئ ومطلقات كلمة الله. إن قضايا التأديب هي قضايا نمو الشخصية وتمجيد الله. إنها مقاييس الله غير القابلة للتفاوض التي تعطي طاقة للتصحيح والتأديب.

إن هدفك في التربية هو أن تتحرك نحو أطفالك، وليس ضدهم. أن تتحرك نحوهم بتوبيخات وتوسلات الحياة. تحمل التربية هدفاً تصحيحياً، إنها علاج، وليست جزاء. إنها مصممة لتقديم النمو وليس الألم.

هناك قضايا آبائية أخرى يجب أن نهتم بها. يجب مثلاً أن تدرك أكثر معنى أن تكون وكيلاً لله. يجب أيضاً أن تهتم أكثر بطبيعة التربية . يجب أن يكون الآباء متوجهين نحو الهدف. في الفصل القادم سنوضح قضية أهداف الأبوة. وما هي الأهداف الكتابية للأبوة؟ ما هي الأشياء التي اكتسبناها من ثقافتنا التي يجب أن نقيمها ونتوجه إليها؟

أسئلة تطبيقية للفصل الرابع:

(١) في رايك ما هي طبيعة سلطانك كأب؟ وكيف يتضح هذا من وجهة نظر كتابية؟

(٢) كم مرة كان تأديبك لأطفالك يصل إلى الجدال الشخصي عوضاً عن تأكيد سلطان الله على أطفالك؟

(٣) ما هي بعض الأشياء التي يمكن أن تقوم بها لتحتفظ بتأديبك مركزاً على توجيه

أطفالك إلى طرق الحياة؟

(٤) كيف تقدم سلطانك لأطفالك؟ هل تجد نفسك يوماً ما تقول أشياء مثل: "أنا أبوك / أمك، وطالما كنت حياً، يجب أن تسمع لي؟"

(٥) كيف تشرح وظيفتك كوكيل لله للتأديب؟ كيف تغير نظرتك لنفسك كوكيل لله طرقك في التربية؟

(٦) هل ترغب في أن تجلس وتحلل الأمور الآتية لأطفالك: الأهداف التدريبية، قائمة نقاط الضعف ونقاط القوة، الأهداف قصيرة المدى وطويلة المدى، استراتيجيات الأبوة؟



الفصل الخامس

افحص أهدافك

كان يوماً خريفياً بارداً، مفعم بالحياة. وبالرغم من برق سقوط المطر، كان يوم احتفال غربي بالحصاد في بنسيلفانيا. كانت الفرقة الموسيقية تعزف الموسيقى، وكانت كل مجموعة، بدءاً من مجموعة "فلاحين المستقبل الأمريكيين" إلى مجموعة "المحاربين القدامى للحروب الأجنبية"، يسيرون في مسيرة الاستعراض. كنا نشعر بالبرد ونحن واقفون تحت مظلتنا، ولكن من ذا الذي يستطيع أن يترك كل هذه التسلية العائلية؟ في نهاية الاستعراض. كانت هناك فرقة مسرحية من صغار السن، تتراوح أعمارهم ما بين ٣ سنوات و٥ سنوات. جذبت واحدة منهم في المؤخرة نظري، كانت تبدو أصغر من ٣ سنوات. كان زيها الهزيل يكشف جسمها، وكانت تبكي. بينما كانت الفرقة تسير تحت رزاز المطر، ظلت خارج الصفوف – وجرت إلى أمها. لم يكن هناك راحة، ظلت والدتها تدفعها مرة ثانية لمكانها في الموكب. لن أنسى أبداً الإحساس باليأس والحيرة اللذين رأيتهما في عيني تلك الطفلة الصغيرة وهي تسير باكية.

كان تصرف هذه الأم يتضمن هدفاً معيناً للأمومة. ربما أرادت أن تكون ابنتها جميلة ومطلوبة. ربما كانت تتطلع لإنجاز أحلام طفولتها هي. كان هذا مهماً للأم، ولا يحتاج الأمر إلى الكثير من الخيال لتعرف ما تملأ به الأم جدول أعمالها، أو لتتخيل كيف تقضي هذه الطفلة طفولتها.

أنا لا أعرف الأم، ولست متأكداً من أهدافها الخاصة، أو إدراكها الذاتي للأمور التي

جعلتها تدفع ابنتها لتقدمها مضحيةً، لتسير في هذا الموكب، منكسة الرأس، وهي تحث طفلتها لتحمل عصا الاستعراض بصورة صحيحة وتظل سائرة في الصف. ولكنني متأكد من هذا: كان لديها أهدافها الخاصة بابنتها. مثلنا جميعاً، هناك أهداف تقود اختياراتنا ونحن نربي أولادنا. قد يعبر البعض عن أهدافهم، وقد تكون الأهداف الأخرى متضمنة في الاختيارات التي يصنعها الآباء.

الأهداف غير الكتابية

يرغب الآباء أن يكون أبناؤهم ناجحين فيستطيعون أن "يبلون بلاءً حسناً" ويعيشون حياة مريحة سعيدة. هذه الرغبة في النجاح لها شكل مختلف وتعريف مختلف عند مختلف الأشخاص، ولكن كل أب وأم يرغبون في أطفال ناجحين سعداء. نحن نتمنى لهم حياة ممتلئة بالفرص غير المقيدة بالمشاكل عندما يكبرون. مهما كان تعريفنا للنجاح نحن نتمناه لأطفالنا. نحن ندرك جيداً أن تربيتهم لها دور كبير في نجاحهم في المستقبل.

هناك الكثير من الطرق التي يحاول بها الآباء تحقيق هذا النجاح. إن مساعدة الآباء في إنتاج اطفال ناجحين هو هدف تربوي. إن الكتب التي تزعم تقديم طرق للنجاح كثيرة. هناك برامج يتم تسويقها. وخبراء علم النفس، واللاهوت، والتعليم، والرياضة البدنية، والدوافع استنزفوا أنفسهم ومستمعيهم. دعونا ننظر إلى طرق عديدة يمكن أن يستخدمها الآباء في إعداد أبنائهم ليكونوا ناجحين.

تكوين مهارات خاصة:

يشرك بعض الآباء أبناءهم في أنشطة متنوعة، فيدفعونهم نحو كرة السلة، وكرة القدم، والهوكي، والجمباز، والسباحة، وفصول الرقص، ودروس البيانو. هذه المهارات ليست شريرة وقد يكون لها مكان في حياة أطفالنا، ولكن هل مقياس الآباء هو عدد

الأنشطة التي يدبرونها للطفل؟ هل مقياس الطفل هو عدد المهارات التي كونها؟

حتى إذا ثبت أن هذه الأنشطة مفيدة، ألا تهتم كأب مسيحي بالقيم التي تتضمنها تعاليم مدربين ومعلمين هذه الأنشطة للأطفال؟

هل الاشتراك في هذه الأنشطة له معنى كتابي؟ هل يستقبل أطفالك التعاليم الكتابية بصورة ذاتية دقيقة، وبروح رياضية، وبولاء، واتزان، وثبات ومثابرة، وأمانة، وألفة، وإنصاف، ومنافسة، واحترام للسلطة؟

يجب أن تدرك بكل وضوح ما هو النجاح. هل يعتمد النحاج الحقيقي على المهارات التي تعلمها هذه الأنشطة؟ ما هو التعريف الكتابي للنجاح؟

الانضباط النفسي:

يتطلع البعض الآخر من الآباء لأجل المزيد من الأهداف النفسية.إنهم مشغولون بأحوال أطفالهم النفسية منقادين بذكريات حية من طفولتهم الخاصة. تقود كتب ومجلات هؤلاء الآباء، فيصلون إلى أحدث الطرق النفسية – التي خاطت خيوطها لتزعج الآباء والأمهات. هؤلاء المرشدون يعدون بتعليمك كيف تبني احترام النفس في أولادك. هل لاحظت أنه لا يوجد أي كتاب يعد بالمساعدة في تكوين أطفال يحترمون الآخرين؟

كيف تُعلم أطفالك أن يؤدوا وظيفتهم في ملكوت الله، حيث يكون القائد هو الخادم، إذا كنت تعلمهم كيف يجعلون الناس في عالمهم يخدمونهم؟

يخاطب بعض علماء نفس الطفل إحساسك الخاص بانك تستخدم، ومن ثم يقدمون سياسات لتعليم أولادك كيف يكونون مؤثرين مع الناس (حيث تصبح المعالجة سهلة). مازالت خبرات الآخرين، التي تقودك إلى الخوف من الإفراط في تدليل

أطفالك، تعد بأطفال غير منحرفين. هناك كثير من الكتب والتي ويشتريها الآباء بالملايين، خاضعين للخبرات التي تخبرهم بالتدريبات التي يحتاجها أطفالهم. هذا هو السؤال الذي تحتاج أن تسأله: هل هذه الأهداف السيكولوجية صالحة للمسيحيين؟ ما هو الشاهد الكتابي الذي يقودك لهذه الأهداف؟

الأطفال المخلَّصون:

تقابلت مع بعض الآباء الذين لا شاغل لهم سوى الوصول بأولادهم إلى الخلاص. إنهم يجعلون كل اهتمامهم أن يصلي طفلهم "صلاة الخاطئ". إنهم يريدون طفلهم أن يسأل يسوع أن يأتي إلى قلبه، فيأخذونه إلى الكنيسة ومدارس الأحد، والمعسكرات الصيفية أو إلى أي مكان آخر حيث يقوده آخر إلى قرار الثقة في المسيح.

إنهم يعتقدون،أن ابنهم إذا قبل الخلاص، ستنتهي كل مشاكل الحياة. بعض الآباء يفضلون هذه الطريقة، لأن الخلاص، بحسب خبرتهم، هو نبع روحي،لذا يريدون لأطفالهم هذه الخبرة أيضاً.

يجب أن تقترن هذه القضية الحساسة بحقيقتين:

١) لا تستطيع أن تعرف بصورة مؤكدة إن كان طفلك قد نال الخلاص أم لا، فالكثير من المقاطع مثل "يارب، يارب" في نهاية الموعظة على الجبل (متى ٧: ٢١-٢٣) تشير إلى أن الشخص قد يسير في طريق طويل من الإيمان الزائف. وقد يخدعه القلب نفسه.لذا، يحذرنا الكتاب من مخاطر خداع النفس ويحثك على اختبار نفسك لترى إن كنت في الإيمان أم لا.

٢) لا يغير إيمان الطفل بالمسيح القضايا الأساسية لتربية الطفل، فأهداف الآباء كما هي، والأشياء التي ندعو الطفل إليها ما زالت كما هي. إنه يحتاج إلى نفس

التدريبات التي كان يحتاجها من قبل. ستكون له أوقات يتمتع فيها بالحنان، وأوقات من البرودة الروحية. لا تتغير مهمة الآباء عندما يصنع الطفل القرار.

هناك فقرات عديدة تعلم عن الاحتياج للرعاية، والتدريب، والتوجيه، وتربية طفلك. ولا تدعو إحداها الطفل لـ "صلاة الخاطئ" أو تركز عليها.

العبادة العائلية:

يقتنع بعض الآباء بأن الأسرة التي تصلي معاً، تظل مترابطة، فيقررون أن يكون لهم أوقات يومية لقراءة الكتاب المقدس. ويجب أن يكون كل أعضاء الأسرة حاضرين. ولديهم الضمير الحي تجاه الاحتياج للعبادة الروحية اليومية. ولكن، كما أن العبادة الأسرية لها قيمتها، إلا أنها ليست بديلاً للحياة الروحية الشخصية الحقيقية.

أعرف أسرة لا تفوتها العبادة الأسرية. إنهم يقرأون الكتاب المقدس ويصلون كل يوم. ولكن في الحياة العائلية والقيم الأسرية لم يكن هناك ارتباط بين العبادة الأسرية الروتينية والحياة. بينما تعتبر العبادة الأسرية ثمينة، إلا أن هذه العبادة الأسرية للعائلة التي شرحناها تعكس خللاً روحياً.

الأطفال الذين يسلكون حسناً:

يستسلم البعض لضغطة تربية أطفال يسلكون حسناً. نحن نساعدهم على هذا، نريد أن يمتلك الأطفال مهارات اجتماعية، وأن يكونوا قادرين على القيام بالضيافة. نريدهم أن يكونوا قادرين على الاستجابة تحت الضغوط للنعمة. نحن نعلم أن هذه المهارات ضرورية للنجاح في عالمنا، ونشعر بالفرح حين نرى هذه المهارات الاجتماعية في أطفالنا.

أنا راعي ربيت ثلاثة أطفال. لكني لم أكن واقعاً تحت ضغطة، أهمية تربية الأطفال ليكونوا حسني السلوك. إن الأطفال حسني السلوك ليسوا هدفاً في حد ذاته، وإنما هذا فائدة ثانوية لتربية الأطفال بحسب مبادئ الكتاب المقدس.

لا يمكنك أن تستجيب لأطفالك لكي ما تُسعد أشخاصاً آخرين. إن الإغراءات للقيام بهذا كثيرة. لقد واجه كل أب وأم الضغوط لتصحيح مسيرة ابنهم أو ابنتهم لأن آخرين اعتقدوا أن هذا أمر ضروري. قد تكون جالساً وسط مجموعة حين جاء طفلك الصغير وفعل أو قال شيئاً أدركته وشعرت بالارتياح له، ولكنه كان بالقطع غير مفهوم للآخرين في نفس الحجرة. إن طعنك بخناجر الاستهجان التي لديهم، تجعلك تشعر بالاحتياج لتوجيه طفلك لأجل الآخرين. إذا خضعت، فسيصبح هدف أبوتك هو السلوك. هذا يحجب التعامل كتابياً مع قلب حديث السن. وتصبح القضية الساخنة هي فيما يفكر فيه الآخرون عوضاً عن البحث عن ما يفكر فيه الله.

إن الضغط الشديد لتغيير السلوك يجعل التوجيه الجيد يُستبعَد. إن كان هدفك هو طفل ذو سلوكيات جيدة، فإنك تفتح باباً لمئات الإغراءات.

ماذا يحدث للطفل الذي تربى على أن يفعل كل الأشياء الملائمة؟ عندما تقدم التصرفات الحسنة من منطلق كتابي في إطار الخدمة، فإن التصرفات تصبح أداة أنيقة للعلاج. فيتعلم أطفالك كيف يعملون مع الآخرين ببراعة ولكن على أساس خدمة ذاته. بعض الأطفال يصبحون عابثين بالآخرين ومزدرين بالناس. وآخرون نشاهدهم من خلال التصنع والرياء، يصبحون قابلين للكسر ورافضين بشدة لتقاليد المجتمع. في أوخر الستينات وأوائل السبعينات، كان هناك الكثير من الأبناء البالغين الرافضين لآداب السلوك في محاولة ليصبحوا تلقائيين وغير متصنعين. إن رد الفعل هذا عبارة عن تصرفات مريضة بعيدة عن المبدأ الكتابي.

التعليم الجيد:

أثناء سنوات عملي كمدير لمدرسة، تقابلت مع العديد من الآباء الذين كانت أهدافهم لأطفالهم هو التعليم الجيد. هؤلاء الآباء مُسيَّرون، فسيعملون مع أبنائهم لساعات كل ليلة، يدربون ويحثون، يشجعون ويحذرون، لن يتوقفوا حتى ينجح طفلهم. إن هدفهم رؤية طفلهم يتمم الدراسة الجامعية ويتمتع بالمعرفة العلمية. إنهم مقتنعون أن التعليم يأتي بالنجاح. ولكن للأسف، هناك أعداد كبيرة من الأشخاص المجروحين وخائبي الأمل من المتعلمين. من الممكن أن تكون متعلماً بصورة عالية، ومازلت لا تفهم الحياة.

السيطرة:

لا يوجد لدى بعض الآباء أهداف نبيلة على الإطلاق؛ ولكنهم ببساطة يرغبون في السيطرة على أطفالهم.هؤلاء الآباء يريدون أطفالهم أن يفكروا، ويسلكوا، ويصبحوا صالحين، ولطفاء. إنهم يذكرون أطفالهم دائماً كيف كانت الأمور وهم صغار. إنهم يوظفون مراراً وتكراراً مبدأ "مُجرب وحقيقي" في التأديب – أياً كان ما فعله آباؤهم والذي كان يبدو فعالاً. إنهم يريدون أطفالاً خاضعين. يريدونهم أن يفعلوا الأمر الصحيح (أياً كان هو في هذه اللحظة). إن الخط الأساسي هو التحكم في أطفالهم.

ولكن التحكم غير مُوجه تجاه أهداف تنمية صفات محددة. إن الاهتمام هنا هو بالملائمة الشخصية والمظهر العام.

التحذيرات الكتابية تجاه التأثير الثقافي:

يعرف أي دارس للعهد القديم أن الله كان مهتماً بقابلية شعب بني إسرائيل للتأثر

بشعب كنعان. لذا أمرهم بسحق كل الأمم، دون إظهار أي رحمة. كان الرب يعرف أنه إذا عاش شعب كنعان جنباً إلى جنب مع شعب إسرائيل، فإنهم سيضلون.

وأنت تماماً مثل إسرائيل في العهد القديم، تخضع للتأثير القوي من ثقافة مجتمعك. ومثل إسرائيل يجب أن ترفض الأشياء التي في مجتمعك المكروهة من الرب إلهك.

من المهم، أن تدرك الأهداف غير الكتابية مثل التي ذكرناها، وأن تنتبه للأهداف الروحية. هناك مناطق كثيرة تتطلب التوجيه في حياة الأطفال. ما هو الهدف المرن بكفاية والمتسع بكفاية ليكون مناسباً لكل مراحل نمو الطفل؟

ما هي الأهداف الكتابية العامة التي تقود وتركز نظرتك للحياة ومن ثم تدريبك لأطفالك؟ ما هو الهدف الكتابي ذو القيمة؟

س – ما هي النهاية الرئيسية للإنسان؟

ج – النهاية الرئيسية للإنسان هو تمجيد الرب والتمتع به إلى الأبد.

هل هناك أهداف أخرى ذات قيمة؟ هل ترغب في البدء هنا مع أطفالك؟ يجب أن تهيء أطفالك للقيام بوظيفتهم في الحياة وسط ثقافة تركت معرفة الله. إن علمتهم أن يستخدموا قدراتهم، ومؤهلاتهم، ومواهبهم، وذكاءهم، لكي ما تجعل حياتهم أفضل، دون الرجوع لله، فأنت تبعدهم بعيداً عن الله. إذا كانت أهدافك هي أي شيء بخلاف "أن تكون النهاية الرئيسية للإنسان أن يمجد الله ويتمتع به للأبد"، فأنت تعلم أطفالك أن يعيشوا في ثقافة مجتمعهم على علته.

كيف نفعل هذا؟ نحن ننقاد لرغباتهم وأمنياتهم. نعلمهم أن يجدوا سعادتهم في الذهاب لأماكن معينة والقيام بأشياء معينة. نحاول أن نشبع شهواتهم للإثارة. نحاول

أن نملأ حياتهم الصغيرة بالابتعاد عن الله. نعطيهم الأشياء المادية ونسعد من خلال بهجتهم بالمتلكات، ثم نرجو بعد ذلك أن يكون هناك شيئ خفي يعلن لهم أن الحياة التي تستحق أن نعيشها هي فقط في معرفة الله وخدمته.

وبتعبيرات مبدأ "التوجه نحو الله"، فإننا ندربهم في وثنية المادية. إن السنوات التي قضيناها متجاهلين أهمية الاقتناع الراسخ بالحقائق الكتابية، لن تفضي إلى تقوى وخشوع خلال فترة المراهقة أو المراحل الأولى للبلوغ.

لا عجب إذاً أننا نفقد أطفالنا. نفقدهم بسبب فشلنا في التفكير بوضوح تجاه "النهاية الرئيسية للإنسان". إن "النهاية الرئيسية للإنسان" هي أن يمجد الله ويتمتع به للأبد؛ لذا، فإن هدفك في كل وقت يجب أن يكون تأسيس نظرة كتابية للعالم عند أطفالك. منذ أيامهم الأولى، يجب أن يتعلموا أنهم مخلوقون على صورة الله – ومخلوقون لله. يجب أن يتعلموا أنهم لن "يجدوا أنفسهم" إلا عندما يجدون الله. يجب أن يكبر طفلك ليرى أنه يختبر الحياة الحقيقية عندما يقف أمام الله ويقول: "*من لي في السماء ومعك لا أريد شيئاً في الأرض*" (مزمور ٧٣: ٢٥). إن كان هذا هو ما ترغب فيه لأطفالك، فمن الواجب أن تتأكد أن مكونات حياتك اليومية تحقق هذا الهدف.

الإشارات المتداخلة

يؤكد (مزمور ٣٦) أننا لا نرى النور إلا من خلال نور الله. لكننا، على أية حال، نقدم لأطفالنا عالماً مختلفاً. في محاولتنا لمساعدتهم للتكيف مع المجتمع الذي لا يعرف الله، نقدم أهدافاً غير كتابية، وطرقاً غير كتابية لحل مشاكل الحياة. وبالتالي، ندربهم على التفكير بصورة غير كتابية. هذه النماذج غير الكتابية من الأفكار والعادات والسلوكيات هي ذات غرض في اتجاه معاكس للحياة لمجد الله.

على سبيل المثال، إذا علمت طفلك أن يطيع وينجز لإرضائك وإرضاء الآخرين، فأنت تقدم هدفاً غير كتابي. يقول الرب، إنه يجب أن تفعل كل شيء لمجده، لأن عينيه علينا، وهو يجازينا بعدل. إن الناس يستجيبون حسناً للطفل المطيع، ولكنك لا تستطيع أن تجعل هذه الفائدة الثانوية للطاعة السبب الأولي لها.

مثال آخر قد يكون مفيداً. ما هي النصيحة التي تعطيها لطفلتك عندما تتواجه مع أطفال متعسفين في أتوبيس المدرسة؟ يحث الكثير من الآباء أطفالهم على مقابلة الشجارة بالمشاجرة، أي أن يتبعوا مبدأ مقابلة الشر بالشر. ويعلم بعض الآباء طفلهم أن يتجاهلوا المؤامرة. ولكن هل هذا نصيحة كتابية؟ ليس حقيقياً، فالله يقول: أن نقابل الشر بالخير، ونستودع أنفسنا لحماية الله الذي يقول: *"لي النقمة أنا أجازي يقول الرب"* (رومية ١٢: ١٩).

تقود المشورة الكتابية أطفالك ليستودعوا أنفسهم لرعاية وحماية الله. إنها تعلمهم الحساسية تجاه احتياجات الأشرار. *"فإن جاع عدوك فأطعمه"* (رومية ١٢: ٢٠). إنها تذكرهم أن الله يقول أن تبارك هؤلاء الذين يلعنوننا. باختصار، إنها المشورة الوحيدة التي يمكن أن توظف مع الرؤية الكتابية. هذه المشورة تقود الطفل لله، وليس لمصادره الخاصة.

في الفصل التالي سنعيد التفكير في هذه الأهداف في ضوء "النهاية الرئيسية للإنسان".

أسئلة تطبيقية للفصل الخامس:

(١) كيف تُعرِّف النجاح؟ كيف يكمل طفلك هذه الجملة: "ما يريده أبي وأمي مني أن أفعله هو ....."

(٢) أنـت مدفـوع ومـنجذب بالأشياء المدونة تحت مسمى "الأهداف غير الكتابية". أي من هذه الأهداف غير الكتابية تؤثر في تربيتك لأولادك بصورة عكسية؟

(٣) تذكـر، أنـت مؤثـر تشكيلي لأطفالك. ما الذي يجعلك تخطط؟ ما الذي يمكنك أن تقـول إنـه يقـودك يوماً بيـوم؟ ممـا تخاف، ماذا تحب، ما الذي تقلق منه؟ ما هي القيم التي يتم تعليمها في منزلك؟

(٤) مـثل إسـرائيل في العهـد القديم، أنت تتأثر بالمجتمع الذي حولك. كيف يؤثر المجتمع في نظرتك لأطفالك وأهدافك لأجلهم؟

(٥) هـل أنـت في توافـق مع فكرة الحياة لمجد الله؟ هل هذه الفكرة تنبض أمامك، أم أنها فكرة دينية ركيكة؟

(٦) مـا هـي الطرق البارعة التي هناك إغراء أن تعلمها لأطفالك ليعيشوا في المجمتع على علته؟

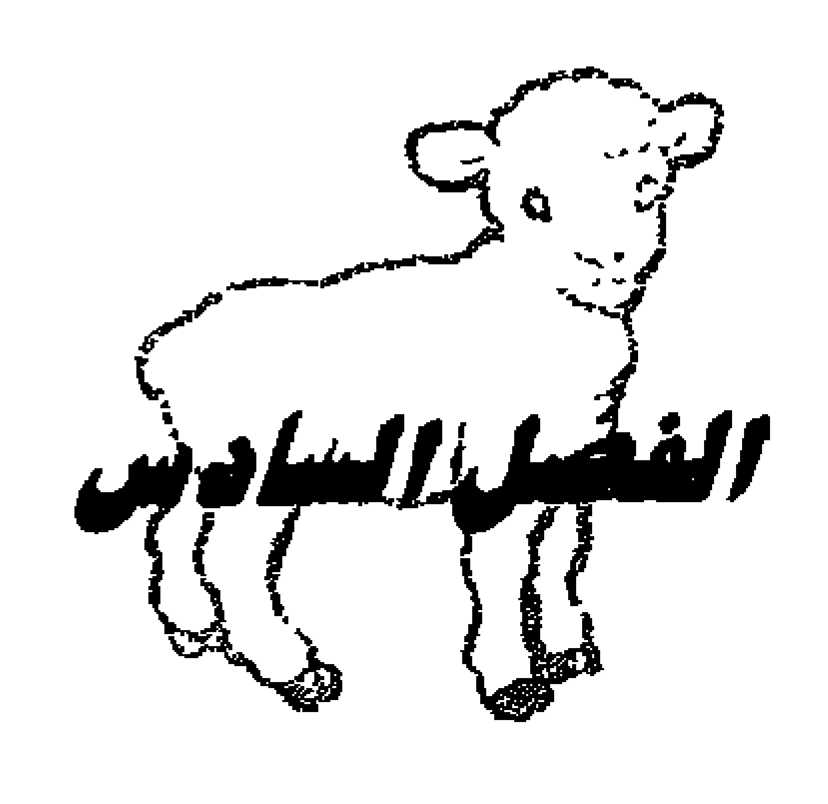
(٧) ما هي الإشارات المتداخلة التي ترسلها لأطفالك؟ أمثلة:

أ – كـل مـا أهتم به هو أن تفعل كل ما بوسعك / لا أريد أن أرى أية إشارات فشل في تقاريرهم المدرسية.

ب – إن الحيـاة لا تـتألف مـن الوفـرة في الممتلكات / انتظر حتى ترى ما أحضرته لك.

(٨) الـرعاية الـروحية الحقيقيـة هـي قضـية تـربوية. كيـف يؤثـر إرشـاد أطفـالك للخلاص فيما تفعله معهم؟

(٩) هـل الحقـائق العائـلية الخاصـة بـك المعلـنة وغـير المعلـنة تتمشـى مـع الحياة الروحية الحقيقية، أي الحياة لمجد الله؟



الفصل السادس

إصلاح أهدافك

أول خطوة في بناء منزل هو الحفر. إن مهمة القائم بالحفر هو إعداد الموقع. إنه يدفع بالفرشاة الأشجار الميتة والنفايات غير المرغوب فيها لإعداد مكان البناء. كان الفصل السابق بمثابة تمهيد وإعداد للموقع؛ فتخلصنا من الأشجار اليابسة. والآن نحن مستعدون هنا للبناء.

اعادة التفكير في الأهداف غير الكتابية

إن كانت الأهداف في الفصل السابق لا تستحق، دعنا نعيد التفكير في أهدافنا في ضوء نهاية الإنسان الأساسية – تمجيد الله والتمتع به للأبد.

تنمية مهارات خاصة:

ما هي المشكلة في اشترك أطفالك في عدة أنشطة؟ هناك الكثير من الآباء الذين لا يسمحون لأبنائهم بدخول مدارس حكومية، ويرسلونهم إلى فصول لتعلم الرقص. إنهم يرفضون تأثير الاتجاه الإنساني المدني في المدرسة ولكنهم يلقون أبناءهم لأفكار غير كتابية عن الجمال في فصول الرقص هذه.

عندما أسأل بعض الآباء، لماذا يرسلون أطفالهم لهذه الفصول؟ يوضحون أنها ساعدت على تنمية إحساس الطفل بقيمته الذاتية. هل هناك أية مقاطع كتابية تشير

إلى أن تنمية الإحساس بالقيمة الذاتية هو هدف كتابي ضروري؟ ألا يجب أن نكون أكثر اهتماماً بالإحساس الدقيق بالذات؟ هل هو أمر كتابي أن نبني في الطفل إحساسه بقيمته الذاتية على أساس قدرته على تنمية مهاراته البدنية؟ ألا نشجع الكبرياء الناتج عن براعة الإنجاز؟ أغلب المدربين الرياضيين لا يعلمون الصغار الذين يتركون منازلهم، أن يشكروا الله على الوقت والتناسق الضروريين لإتمام مثل هذا الإنجاز البارع.

تُعلم الكثير من هذه الأنشطة الأطفال أن يثقوا في أنفسهم، بينما يخبرنا الكتاب أن الذين يثقون في أنفسهم هم حمقى لأن قلوبهم بعيدة عن الله. إن محبة الذات والثقة فيها التي يقدمها مجتمعنا دائماً ما تحول القلوب بعيداً عن الله.

ما هي القيم التي تعلمها من خلال الجهد المطلوب للتدريب كل يوم؟ أغلب العائلات التي يوجد لديها الوقت للتدريبات الرياضية ليست قادرة على تنظيم حياة أسرية مواظبة على قراءة الكتاب المقدس والصلاة. ما هي القيم التي يتم تعلمها؟ ما هي القيم التي يتم تعليمها عندما يكون وقت العبادة يوم الأحد في المرتبة الثانية بعد التدريب على لعبة البيسبول وتدريبات السباحة؟ كل هذا لأن الأطفال يحتاجون لتنمية احترامهم للذات!!

تعلمنا النظرة الكتابية أن نعلم أطفالنا الرياضة والاهتمام بأجسادهم كتعبير عن وكالتنا على عطايا الله. يجب تطوير القدرات والمواهب لأن الله أعطانا الوكالة عليها. يجب تطوير القدرات لأن الله أوكلنا على الملكات والمهارات الخاصة. يجب تشجيع المهارات التي تجعل من أطفالك أكثر قدرة على فتح قنوات لخدمة الآخرين.

يمكن أن تكون الأنشطة الرياضية وسيلة قيمة لتنمية الوحدة الأسرية والانسجام، عوضاً عن تفتيت الأسرة عن طريق السماح لكل عضو بأن يسير في طريقه الخاص لتحقيق لياقته البدنية، يمكن أن تكون مثل هذه الأنشطة عاملاً لتعليم الأسرة الولاء في

مشاركة اهتمامات بعضهم البعض في المباريات والألعاب.

إن الأنشطة الشاقة مفيدة للجسد للمحافظة عليه في صحة جيدة. يجب أن تهتم بالقوة والقدرة على التحمل لأجل حياة تخدم الله. إن الأنشطة التي توفر المرونة والقوة والصحة للقلب والدورة الدموية ضرورية للنفع في ملكوت الله.

لقد وجدت أسرتنا أن رحلة لمسافة ١٠٠٠ كم بالدراجات يتخللها معسكرات يمكن أن تمثل تحدياً بدنياً، وذهنياً، وروحياً يمكن تركيزه بسهولة على أهداف كتابية. لقد أدرك ابننا – تيد – سريعاً أن محبة العائلة أملت عليه تغييراً في أسلوب قيادته للدراجة. فإن كانت رحلة الدراجات قد أصبحت شأناً عائلياً، فلا يجب أن يتقدم كثيراً على راكبي الدراجات ذوي المهارات الضعيفة. إن اشتياقه للخدمة جعل الرياضة لا تصبح فقط لأجل الرياضة في حد ذاتها.

التكيف النفسي:

ماذا عن الاهتمام بالتكيف النفسي؟ دعونا نفكر من خلال مثل اجتماعي. ماذا تفعل في مواجهة محبي الشجار والعنف؟ الكثير من الآباء يفضلون مساعدة طفلهم في تعلم "فن الرجولة في الدفاع عن النفس". إنهم يحاولون تعليم أبنائهم كيف ومتى يتشاجرون. لقد سمعت آباء مسيحيين يعطون أبناءهم هذه النصيحة: "لا تبدأ أبداً بالشجار، ولكن إن بدأ أحدهم بالمشاجرة معك، يجب أن تنهيها" بعبارة أخرى: "لا تكن المهاجم، ولكن إن احتاج الأمر، يجب أن تصد هجومه عنك" نصيحة كتابية؟ كيف يمكن للآباء أن يتحولوا من مبدأ "صد هجومه عنك" إلى "اطلب مساعدة الله"؟ فهل نصلي للرب لكي ما يساعدنا على أن نصد الهجوم؟

من خلال الرؤية الكتابية، يجب أن توجه أطفالك لكي ما يستودعوا أنفسهم لدى

الله عـند مواجهـتهم لأيـة معامـلة غير عادلة. يجب أن تعلمهم المبادئ الكتابية. يعلمنا الكـتاب في (روميـة ١٢ : ١٧-٢١) أن السـلاح القـوي الوحيـد الـذي يمكن أن نهزم به الشـر هـو الخـير. لقـد تلقيـنا الكثير من الوعظ الذي يخبرنا بأن نترك الانتقام لله، وهو سـيكون عادلاً. يساعدنا إنجيل (لوقا ٦: ٢٧-٣٦) على فهم كيف نحب أعداءنا ونفعل الخـير لهـؤلاء الذيـن يكرهونـنا. إنـه يعدنـا أن نكـون أبـناء لهـذا الحـنان تجاه الناس الجـاحدين والأشـرار. أمـا رسـالة بطرس الأولى (٢: ٢٣) فتخبرنا أن نواجه الظلم بدون انـتقام، ونسـتودع أنفسنا لله. يجب أن تشجع أطفالك على رؤية احتياجات المحيطين بهـم. يجـب أن تسـاعدهم أن يكونوا صانعي سلام. يجب أن تعلمهم أن الجواب اللين يصـرف الغضـب. درب أطفـالك عـلى تحمـل الأذى ليتعـلموا كيف يحبون الله لتعميق ثقتهم وإيمانهم في الله.

الأطفال المخَلَّصون:

دعونـا نعيد التفكير في الأمر الخاص بالوصول بأطفالنا للتمتع بالخلاص. ربما تكون إحـدى مشاكل هذه الرؤية، أنها تبحث عن حدث روحي كبير للخلاص وتفتقد العملية الـروحية في تنشـئة أطفـالك. إنهـا مهمتـنا أن نعـلم أطفالـنا بأمانة طرق الله. إنها مهمة الـروح القـدس أن يعمـل مـن خلال كلمة الله لكي يغير قلوبهم، حتى عندما يضيء لهم الروح ويسرع بهم للحياة، فهي حياة نمو تصاعدي.

مـا يحـتاجه أطفـالك هـو الـنمو الروحي. إنهم يحتاجون أن يتعلموا طرق الله. إنـهم يحـتاجون للـتوجيه لمعـرفة طـبيعة الله فيستطيعون أن يتعلموا جيداً مخافة الرب. إنـهم يحـتاجون لإدراك أن كـل مـا في الحيـاة يسير نحو اليوم الذي نقف فيه أمام الله ونقدم فيـه حسـاب وكالتـنا. إنهـم يحتاجون أن يتعلموا عن العواقب الوخيمة لسقوط البشـرية.

يحتاجون إلى إدراك قساوة الشر في قلوبهم. يجب أن يدركوا خطورة الثقة في أنفسهم. إنهم يحتاجون إجابات على مشاكل الحياة العظمى. يجب أن يدركوا الفرق بين التواكل والنظريات التجريبية. باختصار، إنهم يحتاجون للتوجيه.

نربيهم، نشجعهم بحنو على الثقة في الله. إنهم يحتاجون أن يثقوا فيه ليس فقط لأجل الخلاص، وإنما لأجل الحياة اليومية. علمهم كيف أن معرفة الله تؤثر على اختبارات العنف التي تحدث في فناء المدرسة. هذا سيصنع اختلافاً في تفاعلهم مع فشلهم ونجاحهم. ستصنع معرفة الله اختلافاً عندما يكونون خائفين، غاضبين، متألمين، خاطئين، أو مخطئاً في حقهم. معرفة من هو الله، ستناسبهم في أوقات التجربة. ستؤثر معرفة الله على الأهداف طويلة المدى في حياتهم. يجب أن تساعد أطفالك لكي ما يدركوا الغنى العظيم في الحياة في حيوية قوة يسوع.

يجب أن تقدم دائماً لأطفالك عمل المسيح الفدائي الشامل وضرورة التوبة عن خطيتهم ووضع إيمانهم في يسوع المسيح. التوبة والإيمان ليسا طقوساً الدخول في المسيحية. التوبة والإيمان هما الطريق للعلاقة مع الله. ليسا التوبة والإيمان أفعالاً تتم مرة واحدة لكي ما تصبح مسيحياً. إنها اتجاهات قلب تجاه أنفسنا وخطيتنا. ***ليس الإيمان مجرد طريق الخلاص؛ إنه محور الحياة المسيحية.***

يجب أن يفهم أطفالك ماذا تعني التوبة، ليس فقط "عن كل خطاياي" بصورة عامة، وإنما عن خطايا معينة لأوثان في القلب. إنهم يحتاجون معرفة غفران الله المُطهر والمنعش، ليس مرة واحدة لكي ما يخلص، وإنما كحدث يومي. يجب أن يفهموا أن الحياة المسيحية ليست مجرد الحياة تبعاً لشفرة كتابية، وإنما الحياة بالإيمان، والتعهد والعلاقة مع الإله الحي.

العبادة العائلية:

يجب أن تتم العبادة العائلية في الإطار الغني والشامل الذي شرحته في الفقرة السابقة. من السهل أن تتغير الوسائل والأهداف. إن ممارسة العبادة العائلية وسيلة، وليست غاية. إنها وسيلة للوصول في النهاية لمعرفة الله. إن اسم العملية ليس "العبادة العائلية اليومية"، وإنما "معرفة الله". الغاية هي معرفة الله، والوسيلة التي نصل بها لهذا الهدف هي العبادة العائلية.

تحتاج للعبادة العائلية التي تربط بين أطفالك وحياتهم. يجب أن تكون مبدعاً ومرناً في التأكد من أن العبادة العائلية في أسرتك تخدم مهام الرعاية والتنشئة التي ذكرناها سابقاً.

إن قراءة سفر الأمثال يومياً له فائدة عظيمة للفتيان والفتيات. كان من عادتنا اليومية أن نقرأ مع أولادنا ثلث أصحاح من سفر الأمثال قبل اليوم المدرسي كل يوم. وكان هذا مصدراً غنياً للحكمة ولتشجيع أطفالنا. لقد رأيناهم يتعلمون ويحفظون في قلوبهم المبادئ الواردة في هذا المقطع التعليمي من كلمة الله. لقد كان سفر الأمثال شبيهاً بكتيب التعليمات الخاص بالحياة. يجعل هذا السفر الطفل في مواجهة مع كل نواحي الروحانية الحقيقية.

عندما كان أطفالنا صغاراً، كنا نقرأ مقاطع من العهد القديم ونمثلها. فكنت أمثل دور جليات (بمساعدة كرسي)، واختبأنا في كهوف (تحت المائدة) مع داود وهو يهرب من شاول. إن قراءة بعض من المزامير الخاصة بالاضطهاد في هذه الحالات تجعلها تصير حية في أولادنا. يوماً ما، جمعنا حاجاتنا وبدأنا، فتحدثنا عن إبراهيم الذي ترك "أور" دون أن يعرف أين يذهب، لا يعرف سوى أن الله يذهب معه. حاولنا أن

نـتخيل مسيرنا بعيداً عن منزلنا ونحن نعرف أننا لن نعود إليه ثانية. حاولنا أن نتخيل أننا لا نعرف إلى أين نذهب.

لـماذا كـل هذا؟ السبب البسيط، لكي ما نجعل الحقائق الكتابية حية لأطفالنا. تذكر دائمـاً أن هـدف العـبادة العائـلية هـو معـرفة الله. عندما تفقد رؤية هذا الهدف، تصبح العـبادة العائـلية طقسـاً فارغاً. تحتاج فقط لقراءة (إشعياء ١) لترى كيف يشعر الله تجاه الطقوس الفارغة.

الأطفال ذوو السلوك الحسن:

مـاذا عـن الـنموذج الأول لتنشـئة طفـل يسـلك سلوكاً حسناً؟ لا يمكنك أن تستخدم مدخـل مسـز "مانـرز" لأنـه وسـيلة لسـلوك اجـتماعي طيب. من منظور كتابي، مبادئ مانـرز هـي تعبير وتطبيق لوصية محبة قريبي كنفسي. إنها وسيلة تعليم الأطفال الاقتداء بالرب يسوع في بذل نفسه، كما جاء في فيلبي الأصحاح الثاني.

عـندما نقول إن "من فضلك" و"شكراً" هي أساساً تعني الاهتمام بما يسعد الآخرين، فهي أيضاً تعبير عن المحبة الكتابية. الانتظار عند تناول الطعام حتى يتم حضور الجميع ليس مجرد تقليد اجتماعي فارغ؛ إنها طريقة إظهار الاعتبار والاهتمام لمن حولك. يجب أن يكـون السـلوك الجيـد مؤسسـاً على هذه الخواص النادرة التي رآها بولس الرسول في تيموثاوس: "على أني أرجو في الرب يسوع أن أرسل إليكم سريعاً تيموثاوس لكي تطيب نفسي إذا عرفت أحوالكم، لأن *ليس لي أحد آخر نظير نفسي* يهتم بأحوالكم بإخلاص، إذ الجميع يطلبون ما هو لأنفسهم لا ما هو ليسوع المسيح" (في ٢: ١٩-٢١).

التعليم الجيد:

مـاذا عن الأهداف الأكاديمية؟ يضغط الآباء دائماً على الأطفال لكي ما يحصلوا على درجـات مـرتفعة خـلال الامـتحانات الدراسية. هـل الدرجات التعليمية الجيدة هدف كتابي؟ ما هي المقاطع الكتابية التي تعضد هذا الهدف؟

قـد يضـيف الآبـاء للأهـداف غير الكتابية بعض الحوافز غير الكتابية. "سأدفع لك جنيهاً على كل درجة امتياز تنالها في الاختبار" أو ربما يقول الآباء: "إن عملت بجدية، يمكـنك أن تجـد عمـلاً جيـداً وتكسـب الكـثير من الأموال عندما تكبر". هل هذا هدف كتابي؟ بجدية! يقول سفر الأمثال (٢٣: ٤) العكس: *"لا تتعب لكي تصير غنياً"*.

أنـا لا أنكر بأية حال أن هؤلاء الأمناء سيُجازون بغنى.بالطبع هذا حقيقي، ولكن لا يمكن للشخص أن يعمل فقط لأجل هذه المجازاة كهدف.

بـالعكس، يجب أن لا يكون هناك ضغط أبداً للوصول إلى المراحل التعليمية الجيدة. هـذه المـراحل والدرجـات غـير مهمـة، الشـيء المهـم هـو أن يتعلم طفلك أن يقوم بعمله باجـتهاد لأجـل الـرب. لقـد وعد الرب أنه سيُجازي الأمناء المخلصين. حين نعرف أن المواهـب والقـدرات هـي وكالـة مـن الـرب، فإنـه يجـب أن يكـون هـدف طفـلك هـو الإخـلاص. تحـتاج أن تـدرب طفـلك أن يجـد في المسيح القوة والسلطان في العمل لمجد الله. يدربه أي شيء آخر على التفكير والتصرف بصورة غير كتابية.

الإجابة على الاعتراضات

أسـتطيع أن أسمـع اعـتراض قـارئ: "مـاذا لو أن أطفالي ليسوا مؤمنين؟" سنتطرق لهـذا الأمـر لاحقـاً، ولكن نتساءل الآن: هل تفترض أننا يجب أن نعلم غير المؤمنين أن لا يطيعـوا شريعة الله؟ أليسـت مقـاييس الله قابلة للتطبيق للكل، بصرف النظر عما إذا

كانوا مؤمنين أم لا؟ هل نجرؤ على إعطاء تقنيات الداخل التي تساعدهم على تعلم كيفية مواجهة عالمهم بدون الله؟ ستقودهم مثل هذه الأشياء فقط بعيداً عن المسيح.

إذا قدمت بكل أمانة قوانين الله، فأنت تحافظ على وجود ناموس الله أمامهم الذي هو بمثابة المعلم الذي يأخذهم للمسيح. وعند المطالبة بأن يكونوا لطفاء مع من يسيئون إليهم، لن يجدوا مكاناً آخر يذهبون إليه سوى الله، الذي يعرف وحده كيف يجعل الشخص يستجيب بمحبة. عندما يرغب قلب طفلك في الثأر، عندما يجب عليها أن تحب عدواً لها، عندما يتطلب إيمانها أن تترك مكاناً لعدل الله، في كل هذه المواقف، لن يكون هناك مكان تذهب إليه سوى إلى الصليب. لن تكون قادرة على اعتناق هذه الأفكار بدون الإيمان بالمسيح ومحبته. لذا، عليك أن تشير دائماً للمسيح وعمله، وقوته، ونعمته.

كان الحصول على مساعدة من المسيح أمراً واضحاً بقوة في حياة ابنتنا. كطفلة في الصف الثالث الإعدادي، كادت تأخذ الاتجاه الخاطئ تجاه معلمة اللغة الأسبانية. خلال أربع سنوات في المدرسة الثانوية تصارعت مع الشعور بالغضب تجاه الخطأ إليها من قبل هذه المعلمة. لقد قضينا عدة ساعات نتحدث عن كيفية الاستجابة. ناقشنا استحالة محبتها لهذه السيدة بعيداً عن نعمة الله. وشجعناها على إيجاد الرجاء، والقوة، والتعزية والراحة في المسيح. عندما كانت أكبر، شاهدت زوجتي ملاحظة على هامش الكتاب المقدس الخاص بها تطبق (رومية ١٢) على علاقتها بمعلمة اللغة الأسبانية. لقد عملت من خلال التدريب الروحي الضروري لمعرفة مساعدة المسيح في هذا الصراع اليومي.

إن تعليم أطفالك أن يحيوا لمجد الله يجب أن يكون هدفك الأعظم. يجب أن تعلم أطفالك هذا لأجلهم، كما لكل البشرية، توجد الحياة في معرفة وخدمة الإله الحي

الحقيقي. إن الهدف الوحيد للحياة الذي يستحق هو تمجيد الله والتمتع به للأبد.

إن قبلت هذا الهدف على أنه الوحيد الذي يستحق انتباهك ومجهودك، فما هي الطرق التي يجب أن توظفها لتساعد على تطبيق هذا الهدف في الحياة؟ سندرس هذه الطرق في الفصل القادم.

أسئلة تطبيقية للفصل السادس:

هذه الأسئلة مماثلة للأسئلة التي طرحناها في نهاية الفصل الخامس. كيف تغير فهمك لهذه القضايا من خلال كلمة الله؟

(١) كيف تُعرِّف النجاح؟ كيف يكمل طفلك هذه الجملة: "ما يريده أبي وأمي مني أن أفعله هو ....."

(٢) أنت مدفوع ومنجذب بالأشياء المدونة تحت الأهداف غير الكتابية. أي من هذه الأهداف غير الكتابية يؤثر في تربيتك لأولادك بصورة عكسية؟

(٣) تذكر، أنت مؤثر تشكيلي لأطفالك. ما الذي يجعلك تخطط؟ ما الذي يمكنك أن تقول إنه يقودك يوماً بيوم؟ مما تخاف، ماذا تحب، ما الذي تقلق منه؟ ما هي القيم التي يتم تعليمها في منزلك؟

(٤) مثل إسرائيل في العهد القديم، أنت تتأثر بالمجتمع الذي حولك. كيف يؤثر المجتمع في نظرتك لأطفالك وأهدافك لأجلهم؟

(٥) هل أنت في توافق مع فكرة الحياة لمجد الله؟ هل هذه الفكرة تنبض أمامك، أم أنها فكرة دينية ركيكة؟

(٦) ما هي الطرق البارعة التي هناك إغراء أن تعلمها لأطفالك ليعيشوا في المجتمع

على علته؟

(٧) ما هي الإشارات المتداخلة التي ترسلها لأطفالك؟ أمثلة:

أ – كل ما أهتم به هو أن تفعل كل ما بوسعك / لا أريد أن أرى أية إشارات فشل في تقاريرهم المدرسية.

ب – إن الحياة لا تتألف من الوفرة في الممتلكات / انتظر حتى ترى ما أحضرته لك.

(٨) الرعاية الروحية الحقيقية هي قضية تربوية، كيف يؤثر إرشاد أطفالك للخلاص فيما تفعله معهم؟

(٩) هل الحقائق العائلية الخاصة بك المعلنة وغير المعلنة تتمشى مع الحياة الروحية الحقيقية، أي الحياة لمجد الله؟



الفصل السابع

التخلص من الوسائل غير الكتابية

جذبت انتباهي طفلة صغيرة، كانت طفلة جميلة. نطقت كل ملابسها وهندامها بالغنى. كانت هي ووالدتها تنتظران الطائرة مثلي.

كان جمال هذه الطفلة خارجياً، كانت سيئة الخلق. كان ظاهراً للعيان أن والدتها – والتي كانت تشعر بالتعب من السفر – كادت أن تفقد أعصابها.

ضجرت الطفلة، كانت تطلب هذا وذاك، وترفض الهدوء. حاولت والدتها أن تهدئها، ولكن الطفلة كانت عنيدة، حتى حدث أن التفتت الأم إليها ساخطة وقالت: "لقد سئمت منك، إنني أكرهك، اذهبي بعيداً، ابحثي عن شخص آخر تصرخي في وجهه، أنا لا أريدك، لم أعد أستطيع الصمود أمامك، ابعدي عن وجهي!" ولوحت بيدها.

ثم جمعت أمتعتها وتحركت بعيداً عن ابنتها.

قد تستطيع الطفلة الصغيرة أن تقف أمام هذه القوة في الظروف العادية، ولكن هنا، في مطار بلد أجنبي، شعرت بالخوف.

فتحركت نحو أمها قائلة: "آسفة، ماما، أنا أحبك يا ماما"

"اذهبي بعيداً عني، أنا لا أعرفك ..."

ردت عليها الطفلة هذه المرة بإحباط: "أنا آسفة، يا ماما".

فردت الأم: "اذهبي بعيداً، أنا أكرهك ..."

وهنا سمعت نداء رحلتي. فنظرت إليهما لآخر مرة، كانت الطفلة الصغيرة مازالت تتوسل والأم مازالت تُحاضر وتوبخ.

إذا نظرنا للأمر من إحدى وجهات النظر، قد يقول أحدهم "هذه هي الأم الناجحة" فقد تواجهت هذه الأم بطلبات غير منطقية كثيرة من طفلتها، ولكنها استطاعت في لحظات قليلة أن تغير من سلوك ابنتها. ولكن من وجهة نظر أخرى، كان أسلوب الأم خاطئاً. بينما كانت الأم قادرة على تغيير سلوك ابنتها، إلا أنها فعلت هذا بتكلفة عالية، فكان العلاج أسوأ من المرض نفسه.

لا يمكننا أن لا نختلف على المنهج. كتابياً، الوسيلة مهمة تماماً كما الهدف. إن الله يتكلم عن الأمرين (الوسيلة والهدف). إنه لا يهتم فقط بما نفعله، ولكن أيضاً بكيفية أدائه.

لا تقدم لنا ثقافتنا نماذج كتابية. هنا ونحن نتحدث عن الأهداف يجب أن نعرف ونرفض الاتجاهات غير الكتابية التي تجذب انتباهنا. تتطلب الأهداف الكتابية اتجاهات كتابية – الأسلوب الإلهي فقط هو الذي يأتي بمجد الله.

الوسائل غير الكتابية

تأتي إلينا المداخل غير الكتابية من خلال عدة طرق. تتحدث الكتب والمجلات عن تربية الأطفال بصورة منتظمة. هناك دائماً سوق للتوجيهات التي تعد بالأمل في النجاح. وتستضيف برامج المحاورات التلفزيونية الخبراء. أحياناً نستعين بالطرق المألوفة التي تربينا بها.

تشترك المداخل المختلفة في أمر واحد: التفكير البشري هو الأساس. قد نفكر: "لا يوجد شيء خطأ فيما فعله أبي ...". وقد يكون تفكير الآخرين: "د. (س) في حديث الراديو أيد هذا وهو يبدو جيداً لي ...". يفهم ضمناً في كل هذه الأمثلة أن هناك إيماناً بالعقل البشري كمرجع كافٍ.

دعونا نُعرِّف الوسائل المنتشرة.

"أنا لم أنشأ بصورة سيئة":

للأسف، لا يُفكر الكثير من الآباء من خلال المنهجية. إنهم فقط يغضبون، ويصرخون. وعندما يتواجهون بمشكلة، يهددون، ويصيحون، ويضربون أطفالهم ويصبحون مُحبطين. أحياناً يتم هذا تحت مُسمى التنشئة الكتابية. على أية حال، إنهم لا يريدون أن يصبحوا آباء متسامحين مع أطفالهم غير المؤدبين، يكون رد فعلهم في التحدي هكذا: "والدي صرخ فيَّ، وكان دائماً يضربني، لم أكن أحب هذا، ولكنني نشأت جيداً".

ما الذي فعله هذا الأب؟ إنه قبل تماماً وطبق نفس وسيلة التربية التي استخدمها والده. لم يبحث إن كانت كتابية أم لا. ولم يقيم إن كانت ذات تأثير جيد عليه أم لا. إنه ببساطة أخذ من بقائه ما يضمن إنها لم تكن أمراً سيئاً.

في المثال السابق، كانت وسيلة "أنا لم أنشأ بصورة سيئة" تحمل مواجهة وتعسفاً. قد لا تحمل تطبيقات أخرى لهذه الوسيلة مواجهة وتعسفاً. ربما كان الآباء متسامحين. ربما أصبحوا يعالجون الأمر بسهولة. الفكرة هي أن الكثير من الآباء يستخدمون تماماً نفس الوسائل التي استخدمها آباؤهم معهم من قبل. عندما يربون أطفالهم، فإنهم ببساطة يرددون صدى كلمات آبائهم ونبراتهم.

علم النفس الشعبي:

سمعت مؤخراً حديثاً لضيف في الراديو يناقش قضية النهوض بدوافع الطفل. كانت معالجته للمشاكل تنطوي على طريقة الرشوة. كانت فكرته هي أن تعقد اتفاقيات، استخدم قوتك كشخص ناضج لتصنع رشاوي تشجع الطفل على السلوك الذي ترغب فيه.

مثلاً، إذا كان طفلك لا ينظف حجرته، قدم له رشوة. في كل أسبوع ينظف فيه حجرته، اشتر له لعبة جديدة، أو قدم له مبلغاً من المال. كل ما عليك القيام به أن تكون خلاَّقاً بكفاية لتجد الرشوة التي تصلح مع كل طفل من أطفالك.

هناك شكل آخر لهذه الوسيلة وهو إبرام العقود. ابرم عقداً مع ابنتك، انطق باتفاق تتعهد فيه بإتمام أمر معين إذا أتمت هي أمراً معيناً. اصنع اتفاقيات تتضمن الأشياء التي ترغب في إتمامها (إننا سريعاً ما ننسى أن عقل الطفل يستطيع أن يتحايل على أية اتفاقية يمكن أن يتخيلها عقل الأب).

هذه الاتجاهات سطحية. إن فكرة تقديم الرشوة أو التعاقد هي الاهتمامات الذاتية تماماً، لا يتعلم الطفل كيف يهتم باحتياجات الآخرين واهتماماتهم. ولا يتعلم شيئاً عن كيف يكون تحت سلطان لأن الرب هو الله، والوالدان هما وكيلاه. لا يتعلم الطفل الأسباب الكتابية للأمانة، والمسئولية، أو حتى ترتيب حجرة الشخص.

لن تكون هذه الوسائل كافية للأب الذي يعرف أن القلب هو مصدر السلوك. مثل هذه الوسائل لا تتعامل كتابياً مع القلب. إنها فقط تهتم بشكل السلوك. ولسوء الحظ، فالقلب يُدرب، ولكن ليس على الدوافع أو الأهداف الكتابية.

تغيير السلوك:

تطبق بعض نظريات علم النفس الشعبي مبدأ "تغيير السلوك". والفكرة بسيطة. كافئ السلوك الجيد بطرق ملموسة؛ وتجاهل أو ربما عاقب السلوك السيء. بالرغم من أنني لست ضد مدح الأطفال عندما يقومون بأمر صائب، إلا أنني أرفض فكرة أن الطفل يجب أن يُجازى لقيامه بمسئولية طبيعية.

في خطة "تغيير السلوك"، هناك مجازاة عشوائية لما يُعتقد أنه جيد أو صالح. فعندما يقوم الشاب بالأعمال المنزلية الروتينية، يستطيع أن يخرج لشراء الأيس كريم. وإن فشل في قيامه بأحد المهام، فإنه يعاقب ببعض الحرمان. الأمل هنا أن يستجيب الطفل للمجازاة والحرمان ويصبح سلوكه صحيحاً.

وبما أن القلب والسلوك مرتبطان بشدة ببعضهما البعض، فإن كل ما يغير السلوك حتماً سيؤثر على القلب. يتدرب القلب على الجشع والاهتمامات الأنانية والعمل لأجل المجازاة. إن التوسل هو لجشع الطفل. يحيا الطفل حياة منقادة بالشهوة، حيث ينجز المطلوب منه لأجل الأيس كريم والجوائز الأخرى، يبدو أن الخطة نجحت. إن طرقنا حتماً ترشد القلب – فالقلب يقرر السلوك.

أعرف إحدى الأسر التي استطاعت أن تصل إلى برنامج سلوكي ماهر. في كل مرة يستجيب فيها أحد الأطفال لأمر ما بصورة صالحة، يكتبون اسم الطفل على قطعة من الورق ويضعونها في إناء، فإذا غسلت الطفلة أسنانها، أو ساعدت في غسيل الأطباق، أو ترتيب حجرتها، أو ترتيب المائدة، أو قامت بعمل شيء ممدوح، يوضع اسمها في الإناء. أما إذا قامت بأمر خاطئ، فإن اسمها يُستخرج من الإناء، وفي نهاية كل أسبوع يتم سحب اسم من الإناء والطفل الفائز يحصل على جائزة.

وسريعاً ما أدرك الأطفال هدف اللعبة. ضع اسمك في الإناء كثيراً بقدر الإمكان. فكلما ازدادت عدد الأوراق التي تحمل اسمك ازدادت فرصتك في الفوز.

قد تتعجب كيف تؤثر، لقد كانت وسيلة عظيمة. كانت وسيلة فعالة لتعليم الأطفال أن يكونوا أنانيين، كما علمتهم أن يقوموا بالأشياء لأجل حوافز في غير محلها. لقد علمتهم كيف يكسبون استحسان الوالدين، وهكذا يضعون أسماءهم في الإناء. لقد تعلموا سريعاً ما الذي يمكن أن يضع أسماءهم في الإناء وكيف يزيدون عدد مرات وضعه بأقل مجهود ممكن. لقد أصبحوا مستخدمين للنظام. عندما لا تكون الأم في المنطقة بحيث تلاحظ السلوكيات الجيدة، لا يكون هناك أي هدف لنصبح صالحين. إن هذه الطريقة تحرك هذه الأسرة بعيداً عن التصرفات الكتابية النابعة من الحوافز الكتابية.

دعني أوضح أن هذه الحوافز الكتابية والمكافآت ليس نهاية في حد ذاتها، وإنما هي نتائج طاعة الله. هناك بركة مؤقتة ملحقة بالطاعة. الله الذي يعرف قلوبنا يدعونا للسلوك الصالح لأجل إكرام اسمه. فهو يكرم الذين يكرمونه (١صم ٢: ٣٠).

الانفعالية:

أسلوب آخر أدعوه "الانفعالية". وهو الأسلوب الذي استخدمته الأم في المثال الموضح سابقاً، فقد استخدمت خوف الطفلة من تركها وحيدة في مطار دولة أجنبية. كان الضغط على مشاعر ابنتها شديداً. كانت تعرف أن ابنتها لا يمكن أن تتعامل مع التهديد الانفعالي لتركها وحيدة في المطار.

يستخدم البعض نفس هذا الضغط الانفعالي بصورة "ألطف". لقد سمعت بعض الآباء يقولون: "إنني أشعر بالضيق عندما أسمعك تتحدث بهذه الطريقة. أنت تؤذي مشاعري .." هنا مرة ثانية، النقطة المرجعية هي المشاعر.

نـوع آخـر من الضغط الوجداني، هو فضح الطفل (أو جعله يشعر بالخجل). أعرف فـتاة صغيرة دائماً تشعر بالخوف أمام التهديدات بفضحها بسبب تصرفاتها التي تُفسد سمعـة والدهـا كقـائد اجـتماعي. الفكرة ليست الطاعة لأجل مجد الله. ولكن عوضاً عن هذا، الشحن الوجداني بالخوف من وضع مصداقية والدها في خطر بسبب سلوكياتها غير المقبولة.

أعـرف أسـرة اسـتخدمت شـكلاً آخـر للحرمان العاطفي بصورة منتظمة. لقد رفضوا التوبيخ بقسوة، بل وضعوا ابنتهم التي سلكت سلوكاً غير صحيح على كرسي بمفردها في منتصـف حجـرة المعيشـة لوقت معين. وطالما كانت الطفلة جالسة على الكرسي في وقت العقاب، لا يستطيع أحد من أفراد الأسرة أن يتحدث إليها أو يتواصل معها. إنها منعزلة عـن أفـراد الأسـرة، الذيـن يتصرفون كما لو كانت غير موجودة. سألت هذه الطفلة ذات السبعة سنوات عن أكثر شيء جعلها تشعر بالتعاسة، فأجابت: "أكثر شيء يحزنني هو وقت جلوسي على الكرسي، وبابا في المنزل، ولكنه لا يتحدث معي".

هـذا الاتجـاه ليس فقط قاسياً، وإنما غير فعال في توجيه القلب كتابياً. لا تتعلم هذه الطفلة الصغيرة أن تفهم سلوكها كتابياً. إنها لا تتعلم أن تنظر لقضايا القلب الخاصة التي يعكسـها سـلوكها. إن مـا تتعـلمه هـو كيـف تتجـنب الحـرمان العاطفي بوجودها على الكرسي. لقد تدرب قلبها، ولكن ليس على معرفة الله ومحبته. إنها تتدرب على التعامل مع الخوف من الحرمان العاطفي.

يمكنـنا أن نتوقع أن يكون هناك تأثير على المدى الطويل لهذه الطريقة، بينما تكون الطفـلة قـد بـدأت تتصـلب تجـاه هذه الطريقة من التربية. قد تنساق وراء اشتياق طويل لتسـعد والديهـا وتـأمن استحسانهما. وقد تبتعد داخلياً عن والديها لكي ما تتجنب أذى أكثر. سواء كانت مطيعة أم متمردة، فإنها لا تتعلم كيف تحيا من خلال اشتياقها لمعرفة

وخدمة الله.

التصحيح العقابي:

يستخدم بعض الآباء والأمهات المدخل العقابي. يستخدم هؤلاء الآباء التهديد بالعقاب لكي ما يضبطوا أطفالهم. وهناك تنوع كثير في هذا الموضوع، فقد يكون العقاب مثل الضرب أو الصراخ في الوجه. وقد يكون بسيطاً كالحرمان من شيء يرغب فيه الطفل. الهدف هو أن نحافظ على الطفل منضبطاً من خلال الاختبار السلبي للعقاب. أنا لا أنكر الاستخدام الكتابي للعصا، لكنه لا يعني استخدام الرد القهري للإحباط الغاضب.

قد يكون المنع أكثر شكل شائع للحرمان. فيُمنع الأطفال من دراجاتهم، أو التليفون، أو من الخروج، أو من مشاهدة التلفاز، أو من الحديث مع الأطفال الآخرين، أو حتى مع أعضاء الأسرة. وبينما أنا أكتب، أتذكر طفلاً ذا ١٠ سنوات عوقب بجلوسه في حجرته لعدة أسابيع. فلم يكن يترك حجرته سوى للذهاب للمدرسة، أو لتناول الطعام، أو للذهاب للحمام.

المشكلة هنا هي أنه لم يتم علاج أية قضية كانت سبباً في العقاب والتي سببت السلوك السيء. سألت أقاربه عما يقدمه هذا العقاب له من وجهة نظرهم. فنظروا إليَّ محدقين بلا إجابة، انظر، إن هذا العقاب لم يُبتكر لكي يقدم شيئاً للطفل، وإنما لكي يقدم شيئاً ضده.

إن هذا العقاب ليس تصحيحاً، وإنما هو انتقام، إنه لا يعالج قضية القلب الذي يعكس السلوكيات الخاطئة للطفل كتابياً. إنه ببساطة يعاقب لفترة معينة من الوقت، فلم يتعلم صديقي الصغير أي شيء مما كان يجب أن يعرفه. إنه يتعلم كيف يتغلب عليه، أما أسلوبه وشخصيته فلا تتغير. إنه لا يتعلم كيف يدرك مراوغة قلبه، ولا يتعلم طرق

الله. فلا يؤخذ للمسيح، الذي يستطيع وحده أن يقود طفلاً له من العمر عشر سنوات لكي يعرف كيف يخدم الرب.

كثيراً ما تعجبت لماذا أصبح هذا النوع من العقاب شائعاً بصورة عامة؟ أعتقد لأنه سهل، فهو لا يحتاج إلى تفاعل عال. إنه لا يتطلب مناقشة متطورة، ولا يقيم ما يحدث في داخل الطفل. ولا يتطلب تعلم الصبر والتوسل.

إنه سريع، وحاد، وبسيط. "أنت معزول لمدة شهر. اذهب لحجرتك".

ربما لا يعرف الآباء شيئاً إيجابياً أكثر يفعلونه. إنهم يشعرون بالإحباط، ويدركون أن هناك شيئاً خاطئاً في الطفل، لا يعرفون كيف يصلون إليه. إنهم يشعرون أنه لابد أن يستجيبون بأية طريقة.

هناك أمر مؤكد هو أن الانعزال لا يوجه القلب بطرق كتابية. إن القلب يُوجَّه، ولكنه لا يُوَّجه بصورة صحيحة. سيتعلم الطفل كيف يتغلب على الانعزال، ولكنه قد لا يتعلم الأشياء الصالحة التي يشتاق الوالدان أن يتعلمها. يستطيع صديقي الصغير ذو السنوات العشر بالأحرى أن يجيب فلسفياً عنها: "إنها ليست سيئة، أستطيع أن ألعب وأشاهد التلفاز في حجرتي. فإذا كانت لا تزعجني، فهي ليست سيئة". لقد تعلم أن يحيا في الحبس المنزلي.

الانتقاء الشارد:

هذا الاتجاه هو بالضبط ما يشير إليه العنوان. إنه شارد في تحركه. لا يوجد أي تماسك. إنه انتقائي، فيتم سحبه بحرية من عدة مصادر. لذا يأتي الآباء بلقطات من وسائل متنوعة. يتم أخذ بعض الأفكار من فكر القارئ في (السوبر ماركت) مع بعض الأفكار من جلسات المحادثة في حضانة الكنيسة. وهكذا تمضي الأمور، مثل كرة الثلج

التي تتدحرج وتجمع الثلج، فتُضاف الأفكار طوال الطريق.

لبضعة أسابيع يحاول الوالدان إبرام الاتفاقات مع أبنائهم، وهذا يجلب الملل، ولا يبدو أنه مفيد لهم مثلما كان فعالاً مع الآخرين. إنهم يسمعون عظة عن التوبيخ ويقررون أن هذا هو الاحتياج. من المحتمل أن يكونوا قد انتظروا طويلاً حتى يبدأوا هذا. فجربوا العزلة، ثم يحاولون الضغط الوجداني، ويستخدمون الرشوة مع الأبناء لبضعة أيام. وفي أغلب الأحيان، يشعرون بالإحباط، والخوف، ويصرخون كثيراً.

أما أطفالهم فحائرون. إنهم غير متأكدين مما يرغبا فيه. إنهم غير متأكدين تماماً من النظام المتبع الآن. وفي النهاية، إنهم في حال أسوأ مما لو أخذ الوالدان أي شيء وضربوهم به.

من المحتمل أنك ترغب في إضافة بعض وسائل التربية الأخرى المتاحة لهذه القائمة. هذه القائمة هي مجرد اقتراحات، أما نحن فنحتاج إلى منهج كتابي.

تقييم الوسائل غير الكتابية

إلى أين تأخذنا هذه الوسائل غير الكتابية؟ أية ثمار سنجنيها؟ لقد ناقشنا اتجاهات مختلفة ومتعددة، لكن كلها تقودنا لنفس المشاكل.

إنها تقودنا إلى أبوة سطحية، عوضاً عن رعاية قلوب أطفالنا. إنها توجه السلوك فقط لذلك، فهي تفتقد نقطة التربية الكتابية.

توجه التربية السلوك من خلال توجيه القلب. تذكر، القلب هو منبع السلوك. فإذا وجهت القلب بحسب الكتاب المقدس، فالسلوك سيتأثر حتماً.

إن التعامل مع السلوك عوضاً عن القلب يعني أن هذا الاحتياج العميق للطفل قد تم تجاهله. لا يمكنك أن تتجاوب مع صراخ "سوزي" في "جيمي" بأن تخبرها ببساطة أن

تتوقف عن الصراخ. ليست المشكلة في أنها تصرخ في أخيها. المشكلة هي الغضب والمرارة في قلبها التي توضحها بالصراخ. فإذا حاولت أن تغير سلوكها فقط، فأنت تفتقد القضية الرئيسية، وهي قلبها. إذا استطعت أن تتوجه للقضية الأساسية، ستُحل مشكلة السلوك.

الأبوة السطحية التي لا توجه القلب كتابياً تثمر أطفالاً سطحيين. يجب أن يتدربوا على إدراك وتفسير سلوكياتهم من منطلق دافع القلب. فإن لم يأخذوا أبداً هذا التدريب، فسينجرفوا في الحياة، غير مدركين أبداً الصراع الداخلي الذي يربض بين سلوكياتهم.

الأبوة التي تركز فقط على السلوك لا تخاطب توجه القلب. المشكلة هي أن القلب يتم توجيهه بصورة خاطئة. تغيير السلوك دون تغيير القلب يدرب القلب على ما تستخدمه كوسيلة لك. فإن كانت مجازاة، فالقلب يتدرب على الاستجابة للمجازاة. وإن كان استحساناً، فالقلب يتدرب على الاجتهاد لنوال الرضى، أو الخوف من عدم الرضى. عندما يقول لك الخبراء إنك يجب أن تجد ما يصلح مع كل طفل، فإنهم يقولون إنك يجب أن تجد أصنام القلب التي ستحرك هذا الطفل.

إن طفلك هو مخلوق عهد، والقلب هو نبع الحياة. توجيه قلب الطفل بصورة غير كتابية يلعب دوراً هاماً في إفساد قلبه فيصير القلب وثنياً، ويدبر له أصنام وظيفية والتي حولها ينظم حياته. في هذا المعنى، أي شيء تفعله يوجه القلب. عندما ذكرت سابقاً أن القلب غير موّجه، كنت أعني أنه غير موّجه كتابياً.

هناك مشكلة أخرى. إن وجّهت سلوك أطفالك فقط، فأنت لن تصل أبداً إلى صليب المسيح. إنه من المستحيل أن تصل من خلال الانشغال بالسلوك إلى بشارة الإنجيل. بشارة الإنجيل ليست رسالة لتأدية أمور صالحة. إنها رسالة عن كيف نكون خليقة جديدة. يقوم الرب بعمل جراحة قلب مفتوح، وليس عملية تجميل للوجه. إنه يأتي بالتغيير من الداخل للخارج. إنه يرفض الإنسان الذي يصوم مرتين في الأسبوع، ويقبل الخطاة الذين

يبكون طالبين الرحمة.

دعونا نتخيل أنك تتعامل مع مشكلة فشل الطفل في القيام بواجباته المنزلية. هنا نجد أموراً شائعة، ولكنها غير كتابية، اتجاهات تعمل على تغيير سلوك الطفل.

اتجاه الرشوة: "قم بواجبك كل الأسبوع وسآخذك إلى مباراة الكرة".

اتجاه الضغط الوجداني: "من فضلك قم بواجباتك. سأشعر بالضيق الشديد، إن لم تفعل. إنه يجعلني أشعر بالرغبة في البكاء. أتعجب ما الذي فعلته خطأ". أو "لقد استثمرت أمراً سيئاً في تعليمك، وتجعلني أشعر أنني أضعت أموالي".

الاتجاه التأديبي: "أنت لم تقم بواجبك، لذلك لن يكون هناك تلفاز لمدة أسبوع. وإن فشلت مرة أخرى لن يكون هناك تلفاز لمدة أسبوعين ...".

اتجاه تغيير السلوك: "لكل يوم تقوم فيه بعملك، سأضع قطعة ورق عليها اسمك في الإناء ...".

اتجاه "أنا لم أنشأ بصورة سيئة": "عندما كنت أتكاسل في عمل واجبي، كان جدي يضربني؛ لم يكن يؤلمني؛ لقد تعلمت أن أقوم بواجبي ..". أو ربما "عندما كنت أتكاسل في القيام بواجبي، كان يتركني بمفردي، وسريعاً تعلمت أن أتعلم دروسي، إنها مشكلتك ... ليست مشكلتي".

ما الذي قدمته كل من هذه الاتجاهات؟ كان التوقع أن يأتي كل اتجاه بالطفل لكي يقوم بعمله. يبقى السؤال هكذا: "كيف يمكن أن تنتقل من أي من هذه الاتجاهات إلى حقيقة الحياة الثمينة والتي تقول إن الله أرسل ابنه ليحرر الناس من الخطية؟ لا تقود الاتجاهات السابقة إلى رسالة الإنجيل. لقد تدرب القلب بعيداً عن المسيح وصليبه.

يتم تجاهل تنمية الشخصية هنا، ويكون التركيز على الآداء بالواجبات. لا يتم

تدريـب الأطفـال أن يقومـوا باخـتيارات أخلاقيـة كأشخاص مسئولين يحيون في مخافة الرب. إنهم يتعلمون كيف يتحايلون ويتجنبون عدم رضاك. إنهم يتعلمون أن يختاروا بناء على النفعية والملاءمة عوضاً عن المبادئ.

هناك تأثير آخر مدمر لهذا الاتجاه في التربية. إنه يصنع فجوة بين الوالدين والطفل. فسريعاً ما ينظر الأطال من خلال المعالجة الظاهرة والضمنية، وأخيراً يشعرون بالامتعاض مـن المحـاولات الشديدة للتحكم في سلوكياتهم ... إنهم يتعلمون لعبة القط والفأر معك، وفي نفـس الوقـت يفقـدون عمـق العلاقة والتواصل. وكلما كبروا واستطاعوا تخيل الحياة بـدون الاعـتماد عـلى الوالديـن، يصبحون أكثر مقاومة لأساليب المعالجة وربما يتمردون بصورة علنية.

حتى قصص نجاح الآباء في التربية غير الكتابية هي مخادعة. من المحتمل أن تكون قـد رأيـت تنشـأتك بهـذه الصورة. وقد تكون واحداً من الذين يقولون: "لم أنشأ بصورة سيئة" ربمـا لم تـتمرد أبداً بصورة علنية على أقاربك. قد تكون مثل صديقة لي، ذهبت للجامعة، وحصلت على الشهادة الجامعية، تزوجت وأنجبت أولاداً، ولا يبدو عليها من بعيـد أنهـا غير مرتبة، ولكنها تعرف الصراع الداخلي مع عدم ثقتها بنفسها. تعرف أن عـليها أن تحيـا مـع الخـوف من الإنسان. تتوق إلى الاستحسان، لم تتعلم أبداً أن تفهم سلوكها من خلال اتجاهات قلبها. لقد عانت من متاعب الخروج من مشاكلها إلى حياتها مع يسوع. لا تعني الحياة المسيحية شيئاً بالنسبة لها. لم تر في حياتها أية مشيرين، أو ذهـبت لآخرين كحالة بحث، إنها دُمرت بسبب أساليب التربية غير الكتابية والتعامل الوثني لقلبها مع هذه الاتجاهات غير الكتابية.

تذكر، الله لا يهتم فقط بـ "ما هي" الأبوة. وإنما يهتم بـ "كيف" نمارسها. يتحدث الكـتاب عـن موضـوع المـنهجية. ما هو الاتجاه الذي يعطيه لنا الكتاب للتعامل مع هذه

المواضيع؟ الفصل القادم سيجيب على هذا السؤال.

أسئلة تطبيقية على الفصل السابع:

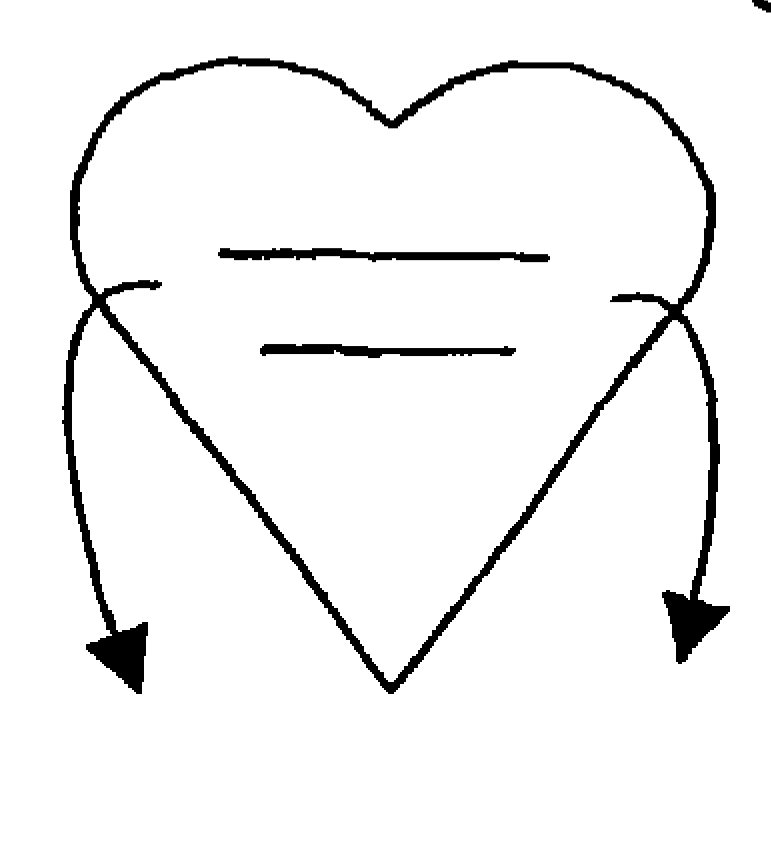
(١) هل فكرت بصورة كاملة فيما تفعله كأب؟ هل بحثت ما تقوله وما تفعله لطفلك لنقده كتابياً بموضوعية؟

(٢) أي وسيلة من الوسائل غير الكتابية التي ذكرناها رأيت نفسك تستخدمها؟ هل تستطيع أن تفكر في أية اتجاهات غير كتابية أخرى شائعة للتربية والتأديب؟

(٣) ما هو الخطأ بهذه الاتجاهات غير الكتابية؟ وضحها بأسلوبك وبما يناسبك.

(٤) كيف تفهم على هذه العبارة: سلوك أطفالنا ليس هو المشكلة – القضية الأساسية هي قلوبهم؟

(٥) هل تستطيع أن تضع عنواناً لهذا الشكل وتربطه بالفكرة الرئيسية لهذا الفصل؟



(٦) هل تستطيع أن تلخص الهدف من هذا الفصل في جملة واحدة؟



قبول الوسائل الكتابية: التواصل

يمل البائعون طعام المطاعم. وقد أدرك والدي هذا، لذا كان يستضيف البائعون في منزلنا للغذاء.

وخلال إحدى الأمسيات، كنا مترددين في أمر الطاعة. سألنا والدنا ليذكّرنا بواجباتنا: "ما هي أفسس ٦: ١"؟ وبدأنا نردد الآية في أذهاننا "*أيها الأولاد اطيعوا والديكم في الرب*" ثم أكملنا مهمتنا.

لقد أدهش ضيفنا التأثير القوي لهذا السؤال علينا. كان متأكداً أنه حصل على وسيلة جديدة تجعل الأطفال يطيعون. ومع نهاية المساء لم يعد يستطيع أن يكتم فضوله، فسأل أخيراً: "بالمناسبة، عما يتحدث أفسس ٦: ١؟ فأنا أريد أن أعلمه لأطفالي". مثل الكثير من الآباء، كان صديق والدي يريد وسيلة فعالة في التعامل مع أطفاله. كان يفكر أنه ربما كانت (أفسس ٦: ١) اتجاهاً يمكن أن يكون فعالاً مع أولاده".

إذا رفضنا الوسائل التي قيمناها باختصار في الفصل السابق، إلى أي شيء نتجه؟ ما هو الضوء الذي تلقيه كلمة الله على اتجاهات الأبوة؟ إن كلمة الله لا تعلمنا فقط أهدافنا، وإنما أيضاً الوسائل.

إن الوسائل والأهداف متكاملة. أنت تريد طفلك أن يحيا لمجد الله. ترغب في أن

يدرك طفلك أن الحياة التي تستحق الحياة هي حياة تحت ربوبية يسوع المسيح. يجب أن تظهر رسائلك الخضوع لنفس هذا الرب. إن الوسائل التي صُممت لكي ما تنتج أطفالاً ناجحين منضبطين لن تكون فعالة لأن هدفك ببساطة ليس هو النجاح والانضباط

يُربط المدخل الكتابي للأطفال بعنصرين تنسجهما معاً. الأول هو التواصل التام الوافر، أما الآخر فهو العصا، في سفر الأمثال نجد هاتين الوسيلتين جنباً إلى جنب:

"لا تمنع التأديب عن الولد لأنك إن ضربته بعصا لا يموت تضربه أنت بعصا فتنقذ نفسه من الهاوية يا ابني إن كان قلبك حكيماً يفرح قلبي أنا أيضاً وتبتهج كليتاي إذا تكلمت شفتاك بالمستقيمات لا يحسدن قلبك الخاطئين بل كن في مخافة الرب اليوم كله لأنه لابد من ثواب ورجاؤك لا يخيب اسمع أنت يا ابني وكن حكيما وارشد قلبك في الطريق" (أم ٢٣: ١٣-١٩)

"اسمع لأبيك الذي ولدك ولا تحتقر أمك إذا شاخت" (أم ٢٣: ٢٢)

"يا ابني اعطني قلبك ولتلاحظ عيناك طرقي" (أم ٢٣: ٢٦)

تجمع هذه المقاطع ما بين العصا والتوسل بغنى، لقد ربط سليمان ما بين التواصل الشامل وبين العصا. كلاهما أمر جوهري في تربية الطفل بحسب الكتاب المقدس. الاثنان معاً يشكلان مدخلاً يسر الله ومشبعاً روحياً ومتماسكاً وموحداً للتربية، التوجيه، وتدريب الأطفال. يحافظ استخدام العصا على سلطان الوالدين ذي الجذور الكتابية. لقد أعطى الله الآباء السلطان بأن دعاهم ليتصرفوا كوكلاء له في تربية الأطفال. إن التركيز على التواصل الغني يمنع التربية الباردة، الاستبدادية. بل يقدم إطاراً للتواصل الأمين حيث يمكن معرفة الطفل ويتعلم الطفل كيف يعرف نفسه.

يجب دائماً أن يكون التواصل والعصا منسوجين معاً في الرعاية الفعلية للأطفال. يجب أن نفصلهما عن بعض كي ما ندرس كل منهما. والآن نلقي نظرة أولاً على التواصل (أصحاحات ٨–١٠)، ثم على العصا (أصحاح ١١).

كانت لي هذه المناقشة مع أحد الآباء:

سألته: "اخبرني عن تواصلك مع ابنك"

أجابني: "نعم، نحن نتحدث جيداً، بالأمس أخبرني أنه يريد دراجة، وأنا قلت له أن يأكل وجبته من الفاصوليا".

لقد جعلني هذا التعليق أبتسم، ولكن وأنا أبدي هذا، أدركت أنه من المحتمل أن يكون هذا وصفاً دقيقاً للتواصل بين معظم الآباء وأبنائهم. الوالدان يخبران الأبناء بما يجب أن يفعلوه، والأطفال يخبرون آباءهم بما يحلمون وبما يرغبون.

التواصل هو حوار، وليس مونولوج

عادة ما نفكر في التواصل كقدرة على وصف أنفسنا، وتبعاً لهذا نفكر في أنفسنا حين نتحدث *لأطفالنا*. عوضاً عن هذا، يجب أن تبحث عن كيفية التحدث ***مع أطفالك***. إن التواصل ليس مونولوج، ولكنه حوار.

ليس الأمر مجرد القدرة على الكلام، وإنما أيضاً القدرة على الاستماع. يتحدث (أمثال ١٨: ٢) عن هذه القضية متغلغلاً فيها: *"الجاهل لا يُسر بالفهم بل بكشف قلبه"* يذكرنا (أمثال ١٨: ١٣) أن *"من يجيب عن أمر قبل أن يسمعه فله حماقة وعار"*.

ليس فن التواصل الممتاز أن تتعلم كيف تعبر عن أفكارك. وإنما هو تعلم كيف تخرج أفكار الآخرين. يجب أن يكون هدفك في التواصل فهم طفلك، وليس فقط أن

تجعل طفلك يفهمك. لا يتعلم الكثير من الآباء هذه المهارات. لم يكتشفوا بعد كيف يساعدون أطفالهم لكي ما ينسقوا أفكارهم ومشاعرهم.

هناك سخرية خاصة في كل هذا، عندما يكون الأطفال صغاراً، عادة ما نفشل في إدماجهم في مناقشة نافعة. وعندما يحاولون أن ننشغل بهم، نستجيب لهم بعدم اهتمام. وأخيراً، قد يدركون أننا غير مهتمين بما يحدث داخلهم. قد يتعلمون أن "الحديث الجيد" لنا هو "الاستماع الجيد" لهم. وعندما يصبحون في سن المراهقة، تتبدل المقاعد، حيث يتمنى الآباء أن يتواصلوا مع أبنائهم المراهقين، ولكن الأبناء يكونون قد صمتوا من وقت طويل.

و"ماري" هي أفضل مثال، فقد أتى بها والداها للمشورة. قالوا أنها رسبت، كانوا يعلمون أنها تمر بمشكلة، ولكنها لا تتحدث إليهم. كانت والدتها تصرخ كثيراً، وكان التواصل محدوداً على أوقات النشاط البركاني. فعندما تثور والدتها، فإن "ماري" تعلمت أن تتقي شرها. أما والدها فكان شخصية انطوائية، يفضل الابتعاد، نادراً ما يرتبط بأي شخص. فكانت ماري – ١٤ عاماً – غاضبة وهائجة داخلياً، ولكنها لم تتمتع أبداً بتدخلات من والديها بإدراك ووعي. ومن خلال المشورة الكتابية تعلمت أن تتحدث. أما والداها فتعلما كيف يخرجان ما لديها ثم يستمعان لما تقوله.

التركيز على الفهم

يجب أن يكون هدفك الأول في التوجيه هو إخبار أطفالك بما تشعر تجاه ما يفعلونه أو يقولونه. يجب أن تحاول أن تتفهم ما يحدث داخلهم. بما أن الكتاب المقدس يخبرنا أنه "من فضلة القلب يتكلم اللسان"، لذا يجب أن تشغل بأطفالك لكي ما يفهمون ما يحدث داخلهم.

ليس المهم في التربية هو التنفيس عن مشاعرك، أو غضبك أو ألمك؛ وإنما بالأحرى، هو تفهم طبيعة الصراع الذي بداخل طفلك. المهم هو فهم *"أسباب"* ما يُقال ويتم. أنت لا تحتاج فقط لفهم ما يحدث، وإنما ما يدور داخل طفلك. تذكر، أنه "من فضلة القلب يتكلم اللسان". يجب أن يكون سؤالك في التربية هكذا: ما هو المحتوى الخاص لداخليات القلب في هذه الظروف؟ ماذا كانت التجربة؟ وما هي استجابته لهذه التجربة؟ إن استطعت الفهم ومساعدة طفلك على فهم هذه الأمور، ستكون في طريقك لفهم *"أسباب"* ما حدث. ما يجب أن تفعله هو الانسلاخ خارج السلوك ورؤية العالم الداخلي لطفلك في هذه الحالة. وبينما لا تستطيع أن تفهم قضايا القلب بصورة سليمة، إلا أنها مازالت محاولة تستحق المجهود.

تخيل معي هذا السيناريو: يلبس طفلك حذاءه الجديد. كنت تعلم جيداً بالأمس وأنت تشتريه له أنه لم يكن سعيداً به، ولكنه الشيء الوحيد الذي يمكن أن تقدمه. والآن يبكي وهو يستعد للمدرسة. كيف ستتعامل مع هذا؟ إن كان هدفك هو أن تجعله يفهم ما تفكر فيه، يمكنك أن تقول شيئاً مثل هذا:

> *انظر، أعلم أن حذاءك لم يعجبك، ولكن هذا كل ما استطعت تقديمه. لا تكن طفلاً هكذا، ماذا يقول "جيرد" عنك عندما أخبره أنك كنت تبكي بسبب أمر مثل هذا؟ إنه سيتلف على أية حال، وخلال يومين لن يعرف أحد كيف كان يبدو. هل ما تهتم به هو هؤلاء الأطفال وما سيفكرون فيه تجاه حذائك؟ من الذي قال إنهم يفهمون على أية حال؟ يجب أن تكون شاكراً لأنك تمتلكه على أية حال. هذا الحذاء الذي لا يعجبك كلفني الكثير. انظر، يجب أن أذهب للعمل؛ فلدي أشياء أكثر أهمية من الاهتمام بحذائك ...*

أما إذا كان هدفك الأول هو فهم صراعات طفلك الداخلية، تستطيع أن تدير مناقشة مثل هذه:

الأب: تبدو مكتئباً بسبب حذائك، أليس كذلك؟

الطفل: نعم.

الأب: لم أشعر أنه لم يعجبك عندما اشتريناه لك بالأمس. ولكنك لم ترغب في أن تخبرني بهذا، أليس كذلك؟

الطفل: لا.

الأب: ما الذي لا يعجبك فيه؟

الطفل: إنه يبدو سخيفاً.

الأب: لا أعرف ماذا تعني.

الطفل: لقد أخبرني "جيرد" أنه سخيف.

الأب: متى قال "جيرد" هذا، لقد اشتريناه فقط الليلة الماضية.

الطفل: "كريس" لديه واحداً مماثلاً لهذا، و"جيرد" قال للكل في الفصل إنه سيء الشكل.

الأب: لماذا؟

الطفل: هذا الشريط الأحمر في الخلف. إنهم لا يضعون شرائط حمراء في الأحذية الجديدة. إنها موضة العام الماضي – لهذا السبب كان ثمنهم لا يتعدى ٨٧,٩٨ دولار.

الأب: نعم، فهمت. أنت تخشى أن يسخروا منك اليوم، أليس كذلك؟

الطفل: نعم.

الأب: إن هذا يجرح حقاً، أليس كذلك؟

الطفل: نعم. أنا لا أعلم لماذا يهتمون بشكل الأحذية، ولكني أعلم أنهم سيسخرون مني.

ما الذي تعلمته؟ إن طفلك يعاني من صراعاً يمكنك التعرف عليه. إن هناك ضغطاً حقيقياً يأتي عليه من فصله. إنه يشعر بأنه يجب أن يكون مقبولاً بين أقرانه. هذه الظروف تحدد آماله ومخاوفه أيضاً.

إن هدف تواصلك يمكن أن يُصاغ في خلال المبادئ التالية :

(١) السلوك الذي تراه هو انعكاس لما يحتويه قلب الطفل.

(٢) أنت تحتاج أن تفهم المحتوى الخاص لقلبه.

(٣) القضايا الداخلية للقلب هي دليل أعظم من سلوكيات معينة، طالما أنها هي التي تقود السلوكيات.

لكي ما نلخص ما قيل: أنت تحتاج أن تفهم صراعات طفلك الداخلية، وتحتاج أن تنظر للعالم من خلال عينيه. سيتيح لك هذا معرفة ما هي جوانب رسالة الإنجيل المعطية للحياة التي تناسب هذه المناقشة.

إن كنت تحاول أن تفهم وتساعد طفلك لكي ما يفهم نفسه، فإن هناك بعض المهارات التي يجب أن تطورها. يجب أن تتعلم كيف تساعد أطفالك كيف يعبرون عن أنفسهم. يجب أن تتعلم كيف تُسهل المناقشة. يجب أن تعرف كيف تفهم السلوك والكلمات. يجب أن تجتهد لفهم أمور القلب. يقول (أمثال ٢٠: ٥) "*الشورة في قلب الرجل مياه عميقة وذو الفطنة يستقيها*" وكأب، يجب أن تكون شخصاً متفهماً.

إنها فرصة رائعة لكي ما تجذب أطفالك. وأنت تتعلم صراعاتهم الداخلية مع

الخطيـة. لديـك طـريق داخـلي. فـأنت خـاطئ مثـلهم. تسـتطيع أن تسـتخدم فطنـتك وخبرتك مع طبيعة التجربة لكي ما تساعدهم كيف يفهمون التجارب .

في أي مـن المناقشـات الخياليـة التي سبقت يمكن أن تُقدم بشارة الإنجيل بقوة؟ إن الإجابـة واضـحة. عـليك أن تطـور المهـارة في جـس القـلب إن كنت تريد حقاً أن تفهم أطفالك. الكثير من الآباء يقومون بهذه المناقشة مع أطفالهم:

الأم: لماذا ضربت أختك؟

الابن: [يتوقف، محدقاً في الأرض] لا أعرف.

الأم: [ساخطة] ماذا تعني بـ "لا أعرف"؟

الابن: لا أعرف.

وهكـذا تمضـي، معـتمدة على طول فتيل الأم (مثل فتيل القنبلة)، وهنا يكون أفضل للابـن أن يعـرف سـبباً سريعاً! ما هي المشكلة هنا؟ هل هذا الابن ببساطة يرفض الكلام هـنا؟ حـتماً لا، إنـه ببسـاطة يُسـأل أسـئلة لا يعرف كيف يجيب عليها. إنه يفتقر إلى عمـق الفهـم والتعـبير عـن الذات لكي ما يكون قادراً على الاستجابة والتلاحم مع أسئلة والدته. إنه يحتاج أن يتم التركيز على القضايا بصورة مختلفة.

إن جمـلة "لمـاذا ..." في السـؤال لا تصـلح أبـداً مـع الأطفـال (ونـادراً ما تصلح مع الكبار). لدينا هنا بعض الأسئلة التي يمكن أن تأتي بنتيجة:

(١) "ما هو شعورك وأنت تضرب أختك"؟

(٢) "ماذا فعلت أختك وأغضبك"؟

(٣) "ساعدني على فهم كيف يمكن أن يأتي ضربها بنتائج أفضل؟"

(٤) "ما هي المشكلة فيما فعلته لك؟" (أنت تحتاج أن تنكر حقيقة أن طفلك أخطأ ضدها. بالطبع، هو أخطأ ضدها، ولكن دعه هو الذي يخبرك بهذا).

(٥) "ما هي الطرق الأخرى التي كان يمكن أن تستجيب بها؟"

(٦) "كيف تفكر في استجابتك هل تعكس ثقة أم عدم ثقة في قدرة الله على إعالتك وتدبير أمورك؟"

كل إجابة عن هذه الأسئلة يمكن أن تفتح بابا آخر لمحاولة فهم ما وراء سلوك الصغار.

هناك أسئلة مختلفة كثيرة يمكن أن تكشف خطيته وتساعده على فهم الصراعات الروحية لقلبه ليتوجه نحو الله معلناً احتياجه لنعمة المسيح وتحريره وفدائه. إن ما أعنيه هو هذا: يجب عليك أن تبدأ بطلب فهم طبيعة الصراعات الداخلية التي اتضحت في ضربه لأخته.

بينما يجيب على الأسئلة السابقة، يكون دورك هو مساعدته لفهم نفسه والحديث بكل وضوح وأمانة عن صراعه الداخلي مع الخطية.

هناك ثلاثة قضايا يجب أن يفحصها:

١) طبيعة التجربة. ٢) الاستجابات الممكنة لهذه التجربة. ٣) تجاوبه الخاطئ الخاص.

في هذه العملية أنت تقف في مكانة أعلى منه وبجانبه في نفس الوقت. أنت أعلى منه لأن الله قد دعاك أن يكون دورك هو التربية والتوجيه. وتقف بجانبه لأنك أنت أيضاً خاطئ تعاني من الصراع مع الغضب تجاه الآخرين.

عادة ما يقوم الآباء بأحد الدورين. يقف البعض متضافراً مع الطفل في فشله

ويتساءل، "كيف يمكن أن أوجهه وأنا أفعل نفس هذه الأمور؟") وهكذا يفشلون في التوجيه. ويقف الآخرون أعلى بكثير حتى أنهم يبدون مراءين بعيدين جداً عن أطفالهم. يجب أن تتذكر أنك مرتبط بأطفالك في هذه الطريق كوكيل لله. وهكذا، لديك الالتزام والحق في انتهار الشيطان. أنت تقوم بهذا وأنت شخص خاطئ يقف بجانبهم وقادر على فهم الطريقة التي تعمل بها الخطية في قلب الإنسان.

لقد رأيت أهمية التواصل كواحد من الوسائل الكتابية الأولية في تربية الأطفال. وسننتقل في الفصل التالي لكي ما نشرح أشكال أخرى للتواصل التي ذُكرت في الكتاب المقدس.

أسئلة تطبيقية على الفصل الثامن:

(١) هل أنت قادر على مساعدة أطفالك في التعبير عن أنفسهم؟

(٢) ماذا يجب أن يكون أول أهداف تواصلك في استجابتك لمشكلة يواجهها طفلك؟

(٣) ما هي الأسئلة الخمسة أو الستة لكي ما تعرف ما يفكر فيه أطفالك وبما يشعرون؟

(٤) أية تغييرات يجب عليك القيام بها في أسلوب محادثتك؟ إذا كنت ستقوم بعمل محادثة مثل النموذج الثاني في مثال الحذاء الجديد؟

(٥) اشرح بكلماتك الخاصة ماذا تعني هذه الجملة: "في عملية مساعدة طفلك في فهم خطيته، أنت تقف أعلاه وبجانبه في نفس الوقت"؟

(٦) هل تفهم التمييز الواضح في هذا الفصل بين "ما هو" السلوك، وبين "لماذا" قام بهذا السلوك؟



الفصل التاسع

قبول الوسائل الكتابية:

أنواع التواصل

عادة ما تُقلص مهمة الأبوة في هذه العناصر الثلاثة: القوانين، التقويم، التأديب. ويمكن أن توضع في هذه الصورة:

القوانين التقويم التأديب

صورة ٤: الأبوة

هذه هي طريقة عمل الأبوة. أنت تعطي أطفالك القوانين. ثم يأتي دور التقويم عندما يكسر الأطفال القوانين. وفي مرحلة التأديب تعلن الثمن الذي سيدفعونه نتيجة كسرهم للقوانين. تحتاج كل أسرة أن يكون لها قوانينها الخاصة، وطرق التقويم الخاصة بها، ووسائل تأديبها، ولكن بالنسبة للكثيرين هذا هو حد التواصل.

يشرح هذا الفصل البعد الغني للتواصل الذي يجب أن يكون أساس ودعامة كل ما تقول في تدبير القوانين، ودعوة أطفالك لقبول التقويم، والتجاوب مع التأديب المناسب. يجب أن يبدو الرسم البياني مثل التالي:

القوانين التقويم التأديب
التشجيع
التقويم
التوبيخ
التضرع
الإرشاد
التحذير
التعليم
الصلاة

صورة ٥: التواصل

في الكثير من الأحيان، كنت أسأل مجموعة من الآباء عن ما هو الجزء من تواصلهم التربوي الذي قاموا به من خلال القوانين والتقويم والتأديب عوضاً عن هذه الأشكال الغنية من التواصل. سريعاً ما يعترف معظم الآباء أن ٨٠-٩٠٪ من تواصلهم عبارة عن قوانين، وتقويم، وتأديب.

أنواع التواصل

يجب أن يكون التواصل متعدد الجوانب وغنياً في نسيجه. يجب أن يشمل: التشجيع، التقويم، التوبيخ، التضرع، الإرشاد، التحذير، التعليم، الصلاة. يجب أن يكون كل هذا جزءاً من تفاعلك مع أطفالك.

يرشدك بولس الرسول في رسالة تسالونيكي الأولى الأصحاح الخامس إلى أن تعدل من خطابك لكي ما يناسب احتياجات اللحظة: *"ونطلب إليكم أيها الأخوة انذروا*

الذين بلا ترتيب شجعوا صغار النفوس اسندوا الضعفاء تأنوا على الجميع" (تسالونيكي الأولى ٥: ١٤). كان هدف بولس هو أن الحالات المختلفة للمستمع تتطلب أشكالاً مختلفة من الحديث. أنت تقوم بإيذاء بالغ عندما تفشل في التبصر بما هو شكل التواصل المناسب في هذه اللحظة.

لقد تذكرت قيامي بخطأ التوبيخ الحاد لأحد أبنائي بسبب مظهره القذر. كان عمره ما بين ٧ و ٨ سنوات، بدا لي أنه ظهر هكذا كما لو كان دائماً أشعث الشعر. لم أكن مخطئاً في حديثي معه عن مظهره، ولكنني كنت مخطئاً في توبيخي له بينما كان يحتاج حقاً للتوجيه. لم يكن متمرداً. ولم يفعل شيئاً يستحق اللوم. لقد احتاج ببساطة توجيهاً بصبر. بعد أيام، أدركت أنني جرحته، فسألته الغفران لأجل توبيخي الذي لم يكن يستحقه.

دعونا نفكر من خلال بعض التعريفات البسيطة لأشكال متنوعة من التواصل.

التشجيع:

يحتاج الأطفال التواصل الممتلئ بالحث والرجاء والتشجيع. لقد تحدثت يوماً ما مع أحد الشباب الذي انفجر لتوه في الغضب في زملاء فصله. وعندما هدأ، كان قادراً على الحديث بمنطقية فقال: "لا فائدة، لا يجب أن ألعب. في كل مرة أفعل هذا، يأتي أحدهم ويجعلني أشعر بالجنون". كان واضحاً أنه لم يكن وقت توبيخ. فقد كان هذا الصبي يعرف أنه مخطئ. كان لديه الإحساس بعدم قدرته على تغيير الصفات الأساسية لشخصيته. كان هذا الصبي يحتاج للتشجيع ومعرفة أن المسيح جاء لأننا خطاة وبحاجة إليه. التوبيخ، أو حتى التوجيه، في غير محله في هذه اللحظة.

يعرف أطفالك ألم الفشل. إنهم، مثلك، وجدوا أشياء يبدو لا أمل فيها في بعض

الأوقات. يمكنك أن تساعدهم في تقييم أسباب الإحباط. وتحتاج أن تساعدهم لكي يفهموا وعود الله. تستطيع أن تشجعهم لكي ما يجدوا التشجيع، والرجاء، والحث من الله، الذي يأتي بالقرب من القلب المنكسر والمنسحق.

التقويم:

يحتاج الطفل أحياناً أن يأتي أحد به إلى التكيف المعتاد. يُعالج التقويم شيئاً خاطئاً. يعطي التقويم أطفالك البصيرة لما هو خطأ وما الذي يمكن القيام به لتصحيح هذه المشكلة. يساعد التقويم أطفالك على فهم مقاييس الله ويعلمهم تقييم سلوكياتهم أمام هذه المقاييس. يذكرنا الرسول في (٢تيموثاوس ٣: ١٦–١٧) أن التقويم هو أحد وظائف كلمة الله.

كان لزوجتي، مارجي، حوار مع ابنتنا في إحدى الليالي. لقد شعرت زوجتي، بإحساسها كأم، أن عاطفة ابنتها ليست تحت سيطرة عقلها. اختبرت مارجي شكها بسؤالها بعض الأسئلة الاستكشافية. سرعان ما أدركت احتياج "هيذر" للتقويم، لقد وجهت استجابة "هيذر" بعناصر (أمثال ٩). وبالمقارنة ما بين طريقة المستهزئ والحكيم في استقبال التقويم، أدارت التقويم، وهي تساعد "هيذر" أن تفهم مقاييس الله. كانت تقيم استجابتها للتقويم من خلال عناصر هذه المقاييس. لقد ذابت مقاومة "هيذر" سريعاً خلف سيل من الدموع. واستكملت المناقشة بصورة مربحة.

التوبيخ:

التوبيخ هو لوم السلوك. أحياناً يجب أن يختبر الطفل إحساسك بأن هناك خطراً، وصدمة، ورعباً مما يقوله أو يفعله. على سبيل المثال، علمنا أطفالنا دائماً أن هناك بعض الحدود الضرورية في الحديث الحر. يجب أن لا نخبر الناس أننا نكرههم، أو نتمنى موتهم أو أذاهم. مثل هذه العبارات يمكن أن تجلب توبيخاً صارماً. يجب أن

نقول بإنذار واضح وامتعاض: "خطأ أن تتحدث بمثل هذا الكلام. لا أريد أن أسمعك تتكلم بهذه الطريقة مرة أخرى" (يمكن أن يتبع هذا بالطبع أشكال أخرى من التواصل، مثل التوجيه، أو التشجيع والصلاة).

التضرع:

هذا النوع من التواصل جاد ومكثف. إنه يشمل المناشدة، والالتماس، والترجي، بل والتوسل أيضاً. إنه ليس، على أية حال، توسل الشحاذ. وإنما هو مناشدة شديدة من أب أو أم، ليساعد طفله على فهم طرق الله والخطر الحاضر. إنه يتضرع في توسل شديد لطفله لكي ما يتصرف بحكمة وإيمان. إنه نوع خاص من التواصل المحفوظ للاستخدام في الحالات ذات الأهمية العظمى.

إن المقطع الذي ذكرناه سابقاً من (أمثال ٢٣) يُفهمنا معنى التضرع. يستطيع الشخص أن يدرك التضرع الشديد خلف كلمات (أمثال ٢٣ : ٢٦) *"يابني، اعطني قلبك ..."*

لقد استخدمت هذا النوع من التواصل في الحديث لأبنائي عن أهمية تجنب الخطايا الجنسية الإباحية. تضرعت إليهم موضحاً مخاطر انفتاحهم على النجاسة. لقد تحدثت معهم عن كيف تشوه الخطايا الجنسية صورة الله فينا وتفشل في الاحتفاظ باسمه مقدساً وممجداً فينا. لقد حذرتهم من أن حياة عدم التوافق الجنسي هو ثمن مرتفع يتم دفعه للحظات لذة وقتية. لقد مزجت تضرعي بالتشجيع أن بهجة الجنس بحسب الكتاب المقدس تأتي من خلال الزواج، وهي أمتع من أي شرح. (ستجد مفتاح هذه الجملة في أمثال ٥–٧). من وقت لآخر يأتي التوسل في مثل القضايا الهامة بثمار جيدة.

الإرشاد:

الإرشـاد هـو عمـلية إعطاء درس، أو مبدأ، أو معلومات يمكن أن تساعد الأطفال في فهم عالمهم. وأنت كوالد، تتعامل مع شباب صغير لديهم ثغرات كبيرة في فهمهم للحياة. إنهم يحتاجون للمعلومات عن أنفسهم وعن الآخرين. إنهم يحتاجون لفهم عالم الحقائق الروحية ومبادئ ملكوت الله.

يحـتاج أطفـالك إلى هيكل وإطار يمكنهم من خلاله فهم الحياة. تُعتبر أمثال سليمان مصـدراً غـنياً للمعـلومات عـن الحيـاة. إن الطفـل الـذي يبدأ في فهم وصف سفر الأمثال للأحمق، والكسـلان، والرجـل الحكيم، والمستهزئ ... الخ. سينمي فطنته تجاه الحياة.

كـنت أشـعر بـالذهول وأنا أرى أطفالي يتعاملون مع دراستهم الثانوية بعمق وبصيرة وفهـم لم أدركـه وأنـا في مثل عمرهم. كانوا قادرين على تقييم استجاباتهم بطرق لم أصل إليها حتى كنت في منتصف العشرينات من عمري. ما هو السبب؟ إنه الإرشاد بطرق الله التي أعطتهم حكمة كتابية. وهذا ما يتحدث عنه (مزمور ١١٩):

" وصـيتك جعلتنـي أحكم من أعدائي لأنها إلى الدهر هي لي أكثر من كل معـلمي تعقـلت لأن شـهاداتك هـي لهجي أكثر من الشيوخ فطنت لأنـي حفظت وصاياك" (مز ١١٩: ٩٨-١٠٠)

" من وصاياك أتفطن لذلك أبغضت كل طريق كذب" (مز ١١٩: ١٠٤)

التحذير:

إن حياة أطفالك مشحونة بالمخاطر. تضعنا التحذيرات في موضع الحراسة ملاحظين أي خطر محتمل. إن التحذير هو عمل من أعمال الرحمة، وهو مساو في مكانته للوحات

إرشادية للسائقين عن كوبري مغلق. ينذرنا التحذير الأمين لخطر، بينما ما زال هناك وقت للهرب من الأذى. إن الوالد المنذر يعطي لطفله القدرة على كل من الهرب من الخطر والتعلم في نفس الوقت. التحذير يحفظ

يحتوي سفر الأمثال على تحذيرات للحكيم والمتبصر:

(أم ١٢ : ٢٤): "... *أما الرخوة فتكون تحت الجزية*"

(أم ١٣ : ١٨): "*فقر وهوان لمن يرفض التاديب* ..."

(أم ١٤ : ٢٣): "... *وكلام الشفتين إنما هو إلى الفقر*"

(أم ١٥ : ١): "... *والكلام الموجع يهيج السخط*"

(أم ١٦ : ١٨): "*قبل الكسر الكبرياء* ..."

(أم ١٧ : ١٩): "... *المعلي بابه يطلب الكسر*"

(أم ١٩ : ١٥): "... *والنفس المتراخية تجوع*"

إحدى الطرق القوية التي يمكننا أن نحذر أطفالنا بها هي أن نملأ أذهانهم باقتباسات ومقاطع كتابية.

كيف يعمل التحذير؟ إن التحذير ببساطة هو جملة تقول إن "أ" تقود إلى "ب". على سبيل المثال: الكسل يقود إلى العبودية. سينتهي الشخص الكسول إلى أحد أشكال العبودية. التحرير هو تطبيق مبدأ الزرع والحصاد الذي نجده فعالاً من خلال الكتاب المقدس. ليس تحذير أطفالك الصراخ بقوة وأنت تقول لهم أثناء تركهم للمنزل أن يذهبوا إلى أي مكان. إنه تعريفهم بمبدأ الزرع والحصاد الموجود بالكتاب. إنه قضاء الوقت معهم لمساعدتهم في فهم عدد الآيات التي تعلن أن "أ" تقود إلى "ب".

وأخيراً سيبدأون في الفهم واعتناق هذه الأشياء. بمجرد أن يبدأ أطفالك في إدراك مثل هذه الحقائق. فإن اتجاهاتهم وسلوكياتهم ستكون مؤثرة بقوة.

لقد قضت ابنتها سنوات دراستها الأولى في مدرسة مسيحية صغيرة، ثم ذهبت بعد ذلك إلى مدرسة ثانوية حكومية في مجتمعنا. عندما أخذناها للمدرسة في أول يوم شعرنا بمرارة في حلقنا. فعند دخولها هذه المدرسة، عرفنا أنها لا تعرف أحداً.

وبمرور الأيام، كانت تحذيرات وتشجيعات سفر الأمثال هي التي جعلتها قادرة على تكوين صداقات جيدة. إن تحذير (أم ١٤: ٧) عن الحمقى دعاها للبقاء بعيداً عنهم. إنها أيضاً تعرف الأحمق. الأحمق يظهر سخطه فجأة (أم ١٢: ١٦). إن من ينشر الشائعات هو أحمق (أم ١٠: ١٨). هذه التحذيرات وغيرها أعطتها كثيراً الأساسات لتمييز حكيم في تشكيل صداقاتها. بالرغم من أنها لم تكن أبداً في مدرسة كبيرة، إلا أن هذه المقاطع الكتابية أعدتها لاختيارات حكيمة.

كيف تؤثر هذه الطريقة عملياً؟ كانت هناك مناقشة مثل هذه:

تينا: أهلاً، أنت البنت الجديدة، أليس كذلك؟ ما هو اسمك؟

هيذر: "هيذر"

تينا: أهلاً، أنا تينا. تعال لنأكل الغذاء معاً. سأخبرك عن كل شيء خاص بهذه المدرسة.

هيذر: هيا بنا.

تينا: هل ترين هذه الفتاة الآتية في هذه الطرقة؟ إنها "كريستين". إنه مشهورة حقاً. إنها تظن أنها عظيمة لأن لها ملابس مهندمة وصديقها لاعب كرة قدم. أنا لا أستطيع أن أقف أمامها، هاي "كريستين"، هذه صديقتي "هيذر".

ما الذي تعلمته "هيذر"؟ إن تينا شخصية نمامة. فقد كسرت الثلج بينها وبين "هيذر"، إلا أنها شخصية لا تستطيع "هيذر" أن تثق بها. النظر من خلال سفر الأمثال قد أعدها لصنع تقييم مميز لهذه الفتاة. التحذيرات التي تلقتها وتشبعت بها كجزء من نظام تقييمها قد أعطتها التمييز.

التعليم:

إن التعليم هو عملية نقل معلومات. التعليم هو أن تجعل شخصاً يعرف شيئاً ما. أحياناً يحدث التعليم قبل أن يكون له احتياج. ولكنه عادة ما يُستخدم بقوة بعد الفشل أو حدوث مشكلة. كوالد صالح، فأنت لديك الكثير لكي ما تعلمه. استناداً للمعرفة الكتابية، يمكنك أن تعلم طفلك أن يفهم نفسه، والآخرين، والحياة، وإعلان الله، والعالم. لذا، يجب عليك أن تقدم المعلومات بصورة حيوية لأطفالك.

الصلاة:

بالرغم من أن الصلاة ليست تواصل مع الطفل، وإنما مع الله، إلا أنها عنصر الجوهري للتواصل بين الوالد والابن. ستأتي رؤيتنا لعمق أبنائنا عادة وهم يصلون. إن فهم ما يصلون به، وكيف يصلون عادة ما يكون بمثابة نافذة لداخل نفوسهم. بنفس الطريقة، فإن صلاة الآباء تقدم الإرشادات والبصيرة للطفل. أنا لا أقترح أن تصلي لأجل استهلاك طفلك، وإنما لكي تدرك أن سماعه لصلاتك سيوصل إيمانك بالله له.

الملخص

هذه هي النقطة: تواصلك مع أطفالك سيأخذ عدة أشكال. إن براعة وغنى الفروق الدقيقة في كل شكل من أشكال التواصل يجب أن تنعكس على تواصلك مع أطفالك.

كل من عناصر هذه القائمة المقترحة (بلا وسائل استنزافية) ستكون محبوكة مع الآخرين لتقديم نسيج غني متداخل للتواصل.

مثلاً، يمكنك أن تتوسل بطريقة تحذر أو تشجع. أو يمكنك أن توجه بطريقة توبيخ أو تقويم. إن عناصر التواصل يمكن أن تكون منسجمة معاً بعدة طرق.

أسئلة تطبيقية للفصل التاسع:

(١) أي عنصر من عناصر تواصلك توجد في أعلى قائمة الشكل ٥؟

(٢) عندما تجد مشاكل في المنزل، هل تتوقع أن تحلها بمجموعة قوانين وعقوبات، أم بشكل أغنى من التواصل؟

(٣) لخص كيف يمكنك أن تتحدث مع طفلك المراهق الذي يبدو أنه سرق بعض الأموال منك ولن يصارحك بهذا.

(٤) ما هي قضية "نوعية العلاقة" التي يجب أن تتوفر إن كنت قادراً على التوسل لطفلك بطرق حكيمة؟

(٥) كيف يمكنك أن تشجع طفلك الذي فشل بصورة بائسة ولكن يبدو أنه يشتاق لمعونة الله بصدق؟

(٦) في أي من الثمانية أشكال للتواصل التي تم ذكرها في هذا الفصل، تشعر أنك تتقنها تماماً؟ وفي أي منها تشعر أنك ضعيف؟

(٧) أخيراً، التواصل هو انعكاس للقلب. "فإنه من فضلة القلب يتكلم فمه" (لوقا ٦: ٤٥). ما هي قضية "فضلة القلب" التي تؤثر على قدرتك على التواصل بفاعلية؟



قبول الوسائل الكتابية:

حياة التواصل

في عـام ١٩٧٨ ، بـنت أسـرتنا منزلاً. وبينما نحن نعمل، تكلمنا عن أشياء يجب أن نقـوم بها عند الانتهاء من بناء المنزل. وخلال السنوات التالية، وضعنا إضافات، فأعدنا تصـميم الحمـام والمطـبخ، وتم الاستعداد لحفر المزيد من الإضافات. لم نتحدث فيما بعد عـن الانـتهاء مـن المـنزل. لقـد أدركـنا أنـنا سنستمر دائماً نطور في منزلنا. سيكون هناك دائماً بعض التطويرات التي يجب أن نقوم بها.

أصبح بناء منزلنا أكثر من مجرد حدث في حياتنا كأسرة، لقد أصبح أسلوب حياة! وهكذا أيضاً التواصل.

حياة التواصل

التواصـل ليس فقط التأديب، وإنما هو تلمذة أيضاً. إنها رعاية أطفالك في طرق الله. مـثل تعليم تثنية الأصحاح السادس. يحدث هذا التواصل في صورته الكاملة وأنت راقد، مستيقظ، واقـف، سـائر، جـالس ...، عادة ما يكون الآباء منشغلين عن الكلام إلا إذا كان هناك خطأ.

يمهـد عـادة الحديـث معـاً بصورة منتظمة الطريق للحديث في حالات الإجهاد. لن

تربح قلوب أطفالك إذا تحدثت معهم فقط عندما يكون هناك شيء خطأ.

رعاية القلب

لقد استخدمت عبارة "رعاية القلب" لتجسيد عملية إرشاد أطفالنا. هذا يعني مساعدتهم لفهم أنفسهم، وفهم أعمال الله، وطرقه، وكيف تعمل الخطية في قلب الإنسان، وكيف يأتي الإنجيل إليهم في مواقف أكثر احتياجات الإنسان عمقاً. تتضمن رعاية قلوب الأطفال أيضاً مساعدتهم على فهم دوافعهم، واهدافهم، ورغباتهم، وأمنياتهم، واشتياقاتهم. إنها تكشف الطبيعة الحقيقية للحقيقة وتشجع الإيمان بالرب يسوع المسيح. أنت تقوم بعملية الرعاية من خلال حالة تواصل غني، متعدد الأوجه، الذي رسمته هنا. في فصول لاحقة سنضيف الألوان والخلفيات لما رسمناه بالفعل باختصار في الفصول السابقة.

حساب التكلفة

إن التواصل الكتابي الأمين الدقيق الحقيقي عملية مكلفة. تأخذ المناقشة نافذة البصيرة، العميقة وقتاً. يحتاج الأطفال كلاً من الوقت والمرونة. لا يسكب الأطفال قلوبهم أو يكشفون أسرارهم حسب الطلب. يتحدث الأب الحكيم عندما يكون الأطفال في حالة مزاجية ملائمة. في كل مرة سيسألون سؤالاً، يقدمون تعليقاً، يكشفون عن القليل من جوانب القلب. في هذه الأوقات، عندما يتحرك الضمير، تحتاج أن تتكلم. قد يتطلب هذا إسقاط كل شيء آخر لضبط لحظة حرجة.

يجب أن تصبح مستمعاً جيداً. ستفقد فرصاً ثمينة عندما تكون نصف مستمع لأطفالك. أفضل طريقة لكي ما تدرب أطفالك لكي ما يكونوا مستمعين فعالين هو أن تستمع إليهم جيداً وبفعالية.

يعتقد بعض الأشخاص أن الاستماع هو ما تقوم به ما بين الأوقات والفرص التي تقول فيها شيئاً. خلال أوقات الاستماع هم لا يستمعون لأي شيء على الإطلاق، إنهم مقررون ما سيقولونه. لا تكن مثل هذا الأب، إن سفر الأمثال يذكرك أن الأحمق لا يُسر بالفهم، وإنما بكشف قلبه (أمثال ١٨ : ٢).

من الصعوبة بمكان أن تعرف متى تكون هادئاً وتستمع، ولكن لم يقل أحد إن الأبوة أمر سهل. قم بها، توقف في بعض الأوقات وفكر فيما سمعته. فكر، أيضاً فيما لم تسمعه. إن التوقف والاستماع يوفران الوقت لإعادة التركيز والابتكار في مناقشتك.

إن التواصل الجيد مكلف في مناطق أخرى. إن الطاقة البدنية والروحية التي يتطلبها البحث أثناء المناقشة عادة ما تكون كبيرة. أحياناً يفقد الآباء فرصاً عظيمة لأنهم يشعرون بالتعب فلا يستطيعون المتابعة.

لقد بدأنا نختبر هذا البعد البدني بكل وضوح عندما أصبح أطفالنا مراهقين. لقد اعتدنا أن على أن نضع الصغار في السراير في المساء المبكر. لقد أعطانا هذا وقتاً للمناقشة. ولكن مع المراهقين كنا نمتد إلى وقت متأخر في المساء. لم أكن متأكداً لماذا، ولكن في أوقات كثيرة كانت الفرص العظيمة للتواصل تكون في الوقت المتأخر من الليل. الأب الحكيم يتحدث عندما يكون أطفاله مستعدين للكلام!

يتطلب التواصل الجيد صفات عقلية جيدة. يجب أن تحافظ على أفكارك مركزة. يجب أن تتجنب إغراء تعقب الأمور غير المهمة. يجب أن تُطرح الأسئلة التي لم يتم الإجابة عنها بطرق جديدة وحيوية.

يجب أن يكون تفاعلك مع أطفالك متكاملاً. أنت تمثل ديناميكية الحياة المسيحية لأطفالك. يجب أن يروا فيك البنوة للآب. يجب أن تريهم التوبة. اعترف بأفراحك

ومخاوفك وكيف تجد التعزية والراحة في المسيح. عش حياة التوبة والشكر بصورة مشتركة. اعترف بخطيتك وضعفك. اقر بخطأك. كن مستعداً أن تطلب الغفران عن خطيتك تجاه أطفالك. يجب عمل فحص وتقييم أمين لأطفالك، لا تعتمد على رغبتك في أن تفعل هذا الشيء لأجل نفسك.

حديثاً، حكى أب لثلاثة أبناء حالة أخطأ فيها ضد ابنه. لقد تحدث بشكل قاس وضرب ابنه بصورة مؤذية. كان يبدو أنه نادم على خطئه. سألته عما قاله ابنه عندما طلب منه الغفران، لكنه قال لي إنه لم يطلب الغفران. لن يكون لهذا الأب تواصل مفتوح أبداً مع ابنه حتى يرغب في أن يتضع ويعترف بخطيته. فإن لم يفعل هذا، فإن الرغبة في الحديث عن أمور الله ستكون وهمية.

حساب بركات دفع التكلفة

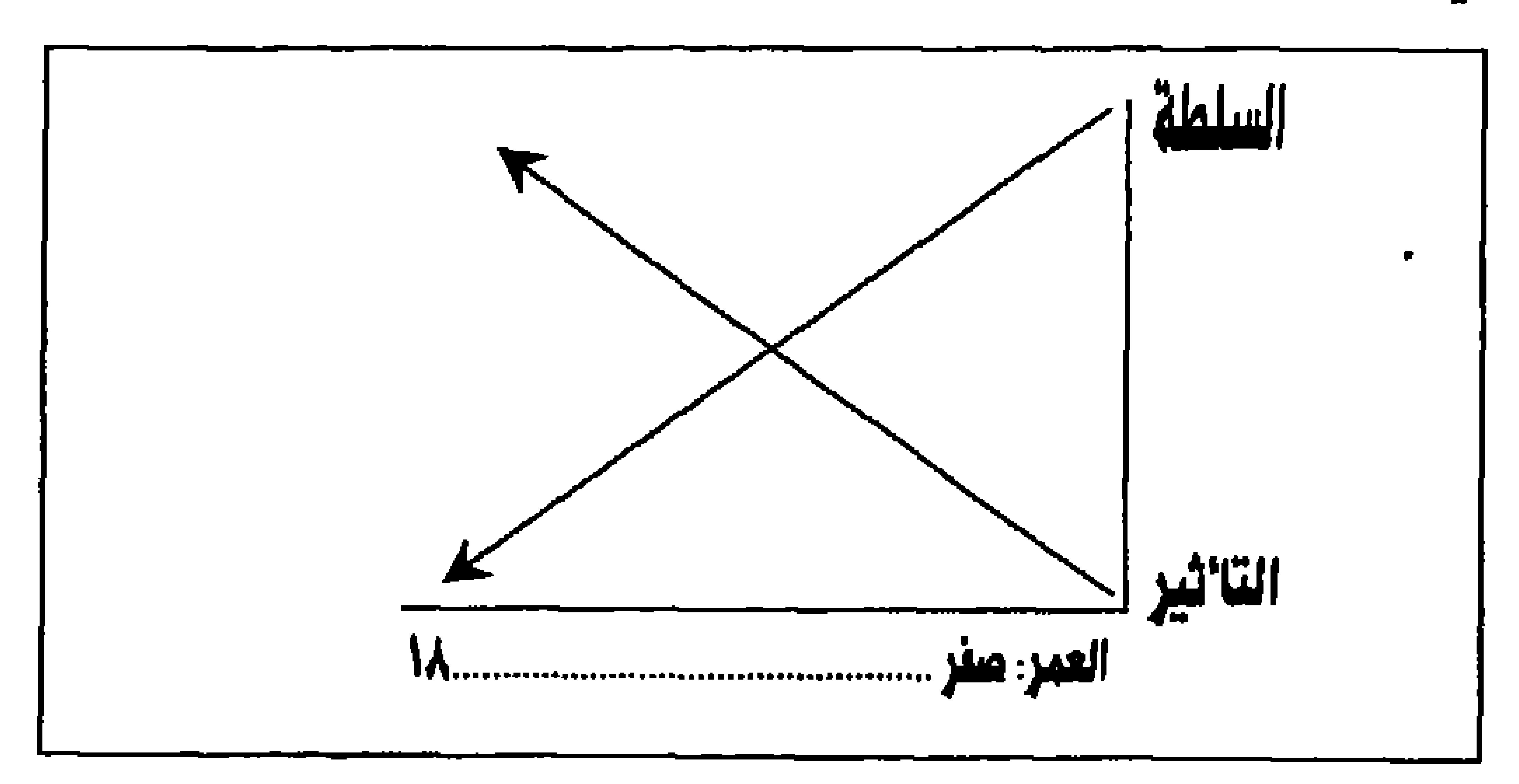
في مجال الأعمال، من المعتاد تقييم الفائدة مقارنة بالتكلفة. القصد من هذا التحليل هنا هو التأكد من أن المنفعة (التي هي في حالتنا هذه – البركات) هي عظيمة بكفاية لتبرر التكلفة. دعونا الآن نفكر في بعض البركات الحقيقية التي تجلبها هذه التكلفة.

علاقة الأب – بطفله:

إن التواصل في صورته الشاملة، المتعدد الأوجه، الغني، هو كالأسمنت الذي يمسك الأب والابن معاً. يوفر التواصل الإطار لوحدة نامية مع أطفالك. يعرف الأطفال متى يقيمون علاقة مع ناس حكماء وقادرين على التمييز، الذين يعرفونهم ويفهمونهم، الذين يحبونهم ولديهم التزام نحوهم. سيعرفون إن كنت تعرف طرق الله، وتفهم الحياة والناس في العالم، مستعداً لعمل علاقة تتميز بالشمولية والأمان. سيكون هناك أوقات عدم اتفاق وصراع، ولكن عدم الاتفاق يمكن أن يُعالج في علاقة من التواصل المفتوح.

تدفع ضغوط سنوات فترة المراهقة الأطفال بعيداً عن المنزل. هذا هو الوقت الذي ينمون فيه صحبتهم بمن "يفهمونهم". إنهم يبحثون عن علاقات بشخص يعرفهم، ويفهمهم، ويحبهم. لا يجب أن يترك أطفالك المنزل لأجل هذا. يمكنك أن تدبر علاقات أسرية يشعر أطفالك فيها بأنهم مفهومون ومقبولون. يشتاق الأطفال لأن يكونوا معروفين، ومفهومين، وتابعين، ومحبوبين.

إنني أفكر في التربية الكتابية من خلال العناصر التالية:



صورة ٦: السلطة/ التأثير .. العلاقة البيانية

إنني أستخدم اصطلاح "السلطة" بطريقة مختلفة قليلاً هنا. يدل لفظ "السلطة" هنا على ما يمكنك إنجازه مع طفلك لأنك أقوى، وأسرع، وأكبر ... وهكذا. إن ما ينجزه الآباء مع الأطفال حديثي الولادة هو ببساطة بسبب أنهم في موضع مسئولية، هم المسئولون – إنه أمر دائم. إنهم يصيحون في كل المواقف، قد يبكي الطفل محتجاً، ولكن البادرة تأتي من الأب والأم. حتى الطفل الصغير يمكن أن يخاف من الحجم. ويدعم الآباء هذا بتعليقاتهم: "قلت لك اجلس" – وتجلسه بالفعل على كرسي. إن كلمات الآباء هي قانون لأن لهم القدرة البدنية لتحقيقها.

وبينما ينمو الطفل، فإن القدرة على التحكم فيه بهذه الطريقة تتضاءل. وكلما نما

حديث السن وتطور بدنياً وعقلياً، فإن ما تنجزه من خلال السلطة الأفقية تتضاءل.

تخيل السيناريو التالي: ذهبت إلى حجرة ابني – ١٦ عاماً – لأوقظه ليذهب للمدرسة فقال: "أنا لن أذهب"، ماذا يجب أن أفعل؟ وأنا قليل الحجم، وهو أقوى مني؟ حتى وإن كنت قادراً على الصراع معه خارج السرير، وإجباره على ارتداء ملابسه بالرغم من احتجاجاته. وجعله يركب أتوبيس المدرسة (كل هذا مشكوك فيه)، فما الذي أنجزته هنا؟ يمكن أن ينزل من الأتوبيس في المحطة التالية. وإن بقي، لا يوجد عندي الضمان أن يبقى في المدرسة.

أشعر بالامتنان لأن ابني لم يفعل هذا، ولكن ما أعنيه هنا: أنني لن أضمن بعد طاعة من خلال الحجم الأقوى. إن قدرتي على طلب الطاعة لأنني الأقوى تقل تدريجياً منذ يوم ولادته.

بينما أنا محدود فيما يمكن إنجازه من خلال الاستخدام الأفقي للسلطة، إلا أن ابني تحت تأثيري تلقائياً. في هذا الرسم البياني، يوضح التأثير رغبة الطفل في أن يضع نفسه تحت السلطة بسبب الثقة. هذه الثقة لها عدة عناصر. يثق الأطفال بك عندما يعرفون أنك تحبهم وملتزم تجاه خيرهم، عندما يدركون أنك تفهمهم، عندما يعرفون أنك تفهم مناطق قوتهم وضعفهم، عندما يعرفون أنك وضعت نفسك لتشجيعهم، وتقويمهم، وتوبيخهم، ومناشدتهم، وتوجيههم، وتحذيرهم، وتعليمهم، والصلاة لهم ومعهم. عندما يعرف الطفل أنك طوال حياته تنشد أن ترى العالم من خلال عينيه، سيثق فيك. عندما يعرف أنك لم تحاول أن تصنع منه نسخة منك أو نسخة من شخص آخر، وإنما فقط تطلب أن تساعده لكي ما يدرك إمكانياته بالكامل ككائن خلقه الله لكي ما يعرفه ويحيا في علاقة من التبعيه معه، عندما يعرف هذا سيثق بك.

النتيجة واضحة: كلماتك سيكون لها ثقلها. أي طفل يمكن أن يسير بعيداً عن مثل

هذه العلاقة؟ ستجد أن لك تأثيراً عليه. كل يوم تحياه مع أطفالك، ينمو تأثيرك عليهم. كأطفال يتعلمون عن الحياة، يتعلمون كيف يثقون في والدهم ووالدتهم أكثر وأكثر .. الأم تعطي التحذيرات بخصوص العلاقات وتعطي الاقتراحات الماهرة عن كيف تصبح رجل الله في عالم يتطلب الانسجام. إنهم يحاولون وينجحون لأن تأثيرك مؤسس على حكمة كتابية. كل يوم يعيشه الأطفال، ينمون في فهمهم للرعاية التربوية ومحبتهم لوالديهم.

تخيل أن تكون أكثر شخص موثوق به لكي ما ينصح رئيس الولايات المتحدة. تخيل أنه لن يصنع قراراً ولن يفعل أي شيء آخر بخلاف ما اقترحته. ما هي سلطتي في الحكومة؟ لا شيء. لا يوجد لدي مكتب انتخاب. لا يوجد من يحتاج أن يستمع إليَّ. ما هو مدى تأثيري؟ عظيم، وبالطبع أعظم من أي شخص آخر.

بينما أنت ترتبط بأطفالك بتواصل غني متكامل كما شرحنا سابقاً، فأنت لا تربيهم فقط، وإنما تنمي علاقة من الاتحاد والثقة.

الاعداد للعلاقات:

سيحتاج أولادك أخيراً إلى مهارات التواصل الدقيقة لكل علاقة سيدخلون فيها. كعاملين، سواء كانوا موظفين أو أصحاب عمل، يجب أن يفهموا الآخرين ويشرحوا أفكارهم لهم. وكأزواج وزوجات، تحتاجون لنفس القدرات. كعملاء، ومواطنين، وأعضاء في جسد المسيح، وكآباء – في كل مرحلة من مراحل الحياة، يجب أن يتعلموا كيف يتحدثون بدقة وبصورة محددة. يجب أن يكتسبوا إمكانية الإطالة في الحديث مع الآخرين.

التواصل هو فن توضيح ما في قلبي بطرق جيدة، مع الاستماع التام وتفهم ما يفكر فيه الآخرون ويشعرون به. البيت هو مكان نمو هذه المهارات. أي امتياز عظيم للطفل الذي

تعلم أن ينطق بأفكاره ويفهم الآخرين.

في كل يوم تخرج بكل حنان الأمنيات العميقة، والآمال، والأفكار، والاعتقادات، والاشتياقات خارجاً من أطفالك، تصبح فيه مثالاً في كيفية الخدمة في هذه المنطقة المهمة من العلاقات.

التفهم التام للحياة:

إن التواصل الحساس مع أطفالك يجعلهم قادرين على تفهم تعقيدات الحياة. إنهم يتعلمون أن الحياة تهتم بكل من عالم المشاعر، وعالم الأفكار. وهذا يعني فهم نفسك والآخرين. إن هذا يعني أيضاً أن تكون هناك رؤية طويلة المدى تماماً مثل الأهداف قصيرة المدى. إنه ليس فقط الاهتمام بـ "ماذا" أو بـ "ماذا يحدث"، وإنما أيضاً بـ "لماذا".

إن هذا يعني أن نمو الشخصية أهم بكثير من الإشباع القصير المدى. تظهر هذه القضايا الحياتية الهامة فقط من خلال التواصل الكتابي. كلما تحدثت أكثر مع أطفالك، وساعدتهم على فهم أنفسهم، وتجاربهم، ومخاوفهم، وشكوكهم، كلما أعددتهم أكثر لفهم الحياة في العالم.

الفداء يندمج بالحياة:

يعطي كل هذا التواصل الأطفال فهماً كتابياً للبشرية. إنه يعطيهم فهماً أفضل لأنفسهم. ويساعدهم على فهم مقاييس الله. إنهم يتعلمون أن الله غير محدود. وهو يقدم إرشادات من خلال الكتاب المقدس لفهم الحياة. إنهم يتعلمون أن يروا أن مشكلة الإنسان هي الخطية. كلنا خطاة، ونخطئ تجاه الآخرين. كلنا ضحايا ومجرمون في نفس الوقت. لهذا السبب، فإن الحياة بأكلمها يجب أن نراها من خلال فداء الله واسترجاعه للإنسان.

إنهم يرون كيف أن معرفة الله ومحبته – الموجودة في نعمته، وقوته، وملئه – يمكن أن تجيب على هذه الاحتياجات العميقة. يجب أن نحيا كل الحياة من خلال قوة ونعمة بشارة الإنجيل. إن المسيح له صلة بكل شيء في كل مكان.

بهذه الطريقة، تكون قد قدمت لأطفالك الإرشاد الذي يكون بمثابة مرشح (فلتر) لأحداث الحياة عندما لا تكون أنت هناك لتقديم التوجيه والتقويم. لقد تدربوا على أن يكونوا مستقلين، تدربوا على أن يقفوا بمفردهم بدون دعم من الوالدين. أي تدريب أفضل من أن يكون الطفل كفءاً لفهم الحياة من خلال إرشاد كتابي خلاصي؟

يستطيع الأطفال أن يذهبوا للكلية وينمون علاقاتهم التربوية مع كل من الطلبة والمجتمع المسيحي. يجب أن لا نتعجب؛ إنهم ببساطة يجدون علاقات جديدة مثل تلك التي استمتعوا بها في المنزل.

هل تستحق التكلفة؟

بلا شك، يمكننا أن نستنتج الفوائد الأخرى، وهي فوائد عظيمة. يرغب كل أب في الأشياء التي ذكرناها سابقاً لطفله. ولكن ماذا عن التكلفة؟

يجب أن تتأكد، أن هذه الأشياء لا تأتي بتكلفة رخيصة. التكلفة عظيمة. إنها تتطلب أن تكون متاحاً ومنشغلاً بالتمام بالأبوة.

هناك طريقة بسيطة لكي ما تنظر إلى التكلفة من خلال تواصل كامل عميق. يجب أن تنظر للأبوة كواحدة من أهم مهامك أثناء تواجد أطفالك بالمنزل. إنها دعوتك، يجب أن تربي أطفالك في مخافة الرب. أنت لا تستطيع القيام بهذا بدون استثمار نفسك في حياة من التواصل الحساس فيه تساعدهم على فهم الحياة وعالم الله. لا يوجد شيء أكثر أهمية. إن لديك فقط موسم مختصر في الحياة لكي ما تستثمر نفسك في هذه المهمة. لديك

فقط الفرصة لكي ما تفعل هذا، لا تستطيع أن تتراجع.

إنك تحيا في مجتمع حيث الفرص أمامك لتقوم بأشياء لم تُذكر في التاريخ. هناك فرص أمامك كل يوم متزايدة. هناك ما هو أكثر مما تستطيع أن تفعله. يجب أن تكون هناك الأولويات.

لكي ما تقوم بوظيفة الأبوة بصورة صالحة، يجب أن تكون هي مهمتك الأولى. إنها دعوتك الأولى.

ستعني الأبوة (والأمومة) أنك لا تستطيع عمل كل الأشياء التي كنت تعملها من قبل. إنها ستؤثر على الوقت الذي تعطيه لمهنتك. إنها ستغير نوع الصداقات التي كنت تمارسها. ستؤثر في نوع الخدمة التي ستشترك فيها. ستغير في مقدار الوقت الذي تقضيه في لعبة البولينج، أو الصيد، أو في مشاهدة التلفاز، أو في عدد الكتب التي تقرأها. إنها ستعني أنك لن تستطيع أن تنمي أية اهتمامات تأتي فيما بعد. التكلفة مرتفعة.

كيف يمكنك قياس التكلفة أمام المنافع؟ لقد قضيت الوقت مع آباء منكسرين. لقد رأيت الوجوه المنحنية لآباء عرفوا القلب المكسور عند رؤية أطفالهم يهربون من المنزل لأنهم لم يرتبطوا جيداً مع آبائهم. كما عرفت أيضاً الفرحة التي سمعتها من أطفال ارتبطوا بآبائهم من خلال الكتاب المقدس وهم يقولون: "والدي، إنني أتعجب كيف تم إعدادي بدقة للحياة. سأظل ممتناً لما فعلته أنت وماما لأجلي"

كيف يمكن للوالدين أن يثمنا هذا القول؟

إن الله يدعوك أن تستثمر نفسك بهذه الطريقة مع أطفالك. هذا النوع من التواصل ليس فقط مفيداً، إنه ضروري! إنه الطريق للبركات، لأنه طريق الطاعة. هل هذا النوع من التواصل مُكلِّف؟ نعم! ولكن الفائدة تفوق التكلفة.

في بدايـة الفصـل السـابع، ذكـرت وسـيلتين للتربية – التواصل والعصا. وفي الفصل القادم سننظر على مواضع العصا في التربية بحسب الكتاب المقدس.

أسئلة تطبيقية للفصل العاشر:

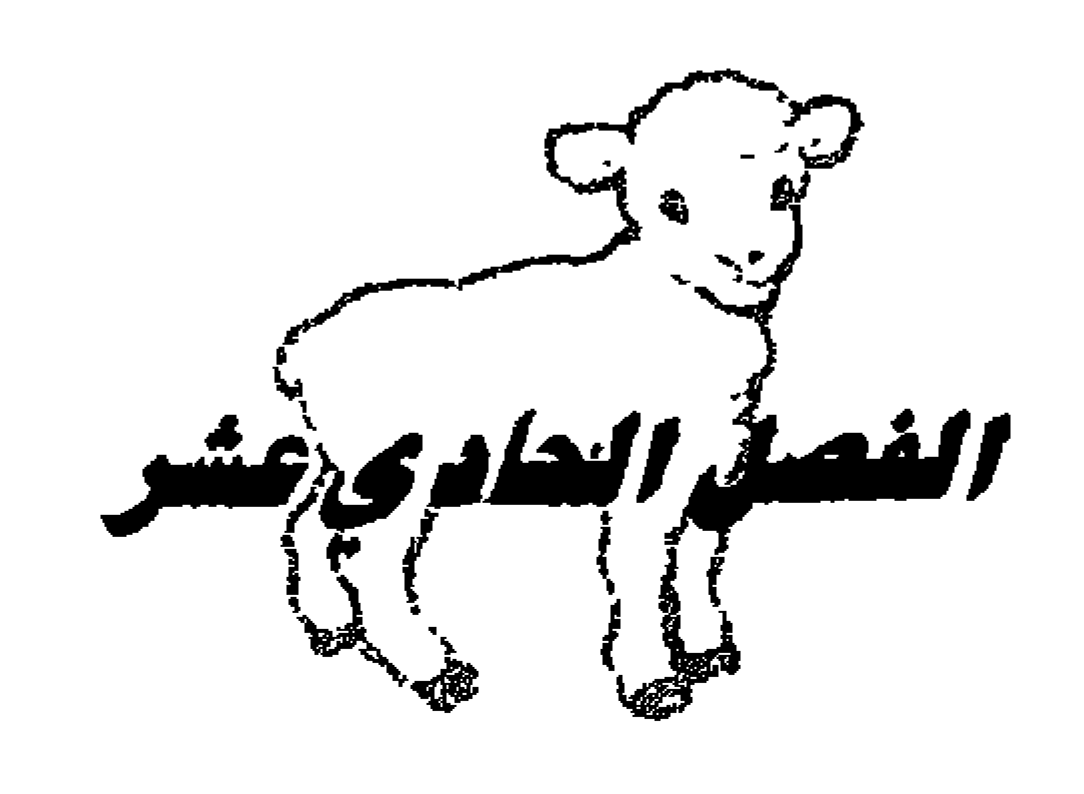
(١) إن كـنت تـريد هـذا الـنوع مـن التواصل مع أطفالك المذكور هنا، ما هي التكلفة بالنسبة لك؟ هل تتقبل بسرور أن تدفع هذه التكلفة؟

(٢) كيف حالك وأنت تستمع لأطفالك؟

(٣) هـل الاعـتراف بخطايـاك، حيـثما يكـون ملائمـاً، جزء معتاد من تواصلك مع أطفالك؟

(٤) مـا هـي القضايا التقديسية التي تحتاج أن توجهها لكي ما تقود أطفالك بالطرق المذكورة سابقاً بهذه الفصل؟

(٥) كيـف يمكـنك أن تسـاعد أطفـالك لكـي مـا تكـون لديهم الرؤية لهذا النوع من التواصل المذكور في هذا الفصل؟



الفصل الحادي عشر

قبول الوسائل الكتابية:

العصا

"عزيـزتي، أنـت تعـرفين مـا قالـته مامـا، وأنـت لم تطيعـي مامـا. والآن عـليَّ أن أتحـدث إليـكِ. أنت تعلمين، عزيزتي، أنني لست أشعر بالغضب منك، ولكنك يجب أن تتعلمي الطاعة".

لقـد صـمتت الطفـلة في مواجهـة الـتقويم، ولكـنها في الـنهاية دميـة. ومامـا كـانت "لورين" ذات الأربعة أعوام. أما من يتحدث خلف المتحدث فكانت بالطبع والدتها.

لقـد تعـلمت "لورين" كيف تؤدب دميها من خلال تأديب والدتها لها. إن "لورين" تقـلد مامـا. تعـرف والدتها أن "لورين" تمتلك قدرات لا توجد في الدمية. إنها تعرف أن سـلوك "لوريـن" لـه بعد أخلاقي. "لورين" ليست محايدة أخلاقياً، إن سلوكها الخاطئ وصـل بهـا إلى الصـراع مـع شـريعة الله. إن قلـبها يقايض في قضايا الخير والشر. وماما تفهـم، أيضـاً، أن قضـايا الـتقويم تجـاوزت الحاضر. تفترض كل العقوبات الأرضية أن هـناك يومـاً عظـيماً حين يتم معالجة العواقب بصورة أبدية. تريد والدتها منها أن تكون مستعدة لهذا.

عـندما اسـتمعت لهـذه الطفـلة ذات الأربـع سـنوات، تأثـرت بالتركـيبة الواضحة

والطريقة الرقيقة لجلسة التربية هذه التي كان هدفها دعم الإيمان. التمرين يتم بصورة جيدة. لقد سمعتهم "لورين" عدة مرات. لم يكن هناك غضب، ولكن فقط الثبات في صوتها، وهي تعد طفلها لما هو آتٍ. الهدف كان أيضاً واضحاً – "يجب أن تتعلمي الطاعة". لم يكن هناك شيء في ذهن هذه الممثلة الصغيرة لدور "ماما" فيه إيذاء للطفل. يعتبر مجتمعنا كل العقوبات البدنية نوعاً من الوحشية وإساءة المعاملة.

إن عالم الأفكار في تدفق مستمر. الأفكار لها أوقاتها التي تكون فيها لها شعبية، أو غير شعبية. مثل مزج الألوان الذي يدخل ويخرج من صراعات العالم حول الموضة والديكور، الأفكار أحياناً تكون مسايرة للموضة، وأوقات أخرى ليست بحسب الموضة.

العصا، كإحدى وسائل التربية، هي فكرة ليست بحسب الموضة في وقتنا الحاضر. إذا كنت قد كتبت هذا الكتاب في الخمسينات، كان سيأخذ فصل التواصل انتباه قليل من معظم الناس. لم يكن يتحدث أحد مع الأطفال وقتئذ.

اليوم، نحن نحيا في حقبة، أصبحت فيها مبادئ حقوق الإنسان وكرامته، مما جعل فكرة توبيخ الأطفال تبدو وكأنها عمل بربري. لقد أصبحنا حساسين تجاه إمكانية إيذاء الطفل. نحن لا نريد أن يشعر الآباء أن هذا هو حقهم أن يضربوا أطفالهم عندما يرغبون. اليوم، يتأسس التواصل على الأمانة والاحترام المتبادل، وهذا هو أكثر فكرة شائعة. لهذا، من الأسهل أن نكتب عن هذا.

الهدف من خلال العصا

يتدفق الكثير من الأسئلة حول توبيخ الطفل بقسوة إلى أذهاننا. ما الأمر الذي يجب إنجازه؟ هل هو حقاً ضروري؟ ألا يوجد طريق أفضل؟ ما هي الفكرة وراء هذا؟ هل هذا يجعل أطفالك يستاءون منك؟

جاء "نيك" و"أنجيلا"، وهما صديقان من الكنيسة، يزوراننا في أمسية الأحد. وخلال وجبة العشاء، كان أحد أبنائنا غير مطيع. فأخذته إلى حجرة جانبية بالطابق الأعلى لكي ما أتحدث إليه وأؤدبه.

فتساءلت "أنجيلا": "ماذا سيفعل معه؟"

فأجابت زوجتي بنوع من الواقعية: "قد يوبخه أو يضربه".

في هذه اللحظة أصبح صوت بكاء ابني مسموعاً من الطابق الأعلى. فخرجت "أنجيلا" مسرعة من المنزل وهي في حالة ثورة.

ماذا كانت مشكلتها؟ لم تفهم التوبيخ والضرب كتابياً، لذا شعرت بالاستياء والقلق لما يبدو بالنسبة لها أبوة متوحشة. لم يكن موقفها غريباً أو شاذاً.

طبيعة المشكلة:

ما هي طبيعة أكثر احتياجات الطفل الأساسية؟ إذا وُلد الأطفال محايدين أخلاقياً وأدبياً، فإنهم لن يحتاجوا للتقويم، وإنما يحتاجون الإرشاد. إنهم لا يحتاجون للتأديب؛ وإنما يحتاجون للتوجيه.

بالطبع، يحتاج الأطفال للتوجيه والإرشاد. ولكن هل يكون أهم المشاكل الأساسية هو نقص المعلومات؟ هل تزول المشاكل يوم أن يصبحوا قادرين على تعلم أشياء قليلة؟ بالطبع لا!

لا يولد الأطفال محايدين أدبياً وأخلاقياً. إن الكتاب يعلمنا أن القلب *"أخدع من كل شيء وهو نجيس من يعرفه"* (إر ١٧ : ٩). إن مشكلة الطفل ليست نقصاً في المعلومات. إن المشكلة هي أنه خاطئ. هناك أشياء في قلب الطفل الصغير اللطيف، إذا أعطيت الفرصة للإزهار والإثمار، تأتي لاحقاً بالدمار.

إن وظيفة العصا في هذا السياق، مرتبطة بأساس الاحتياج عند الطفل. هذه الاحتياجات لا يمكن مقابلتها بمجرد الكلام. يقول الكتاب في (أمثال ٢٢: ١٥) "*الجهالة مرتبطة بقلب الولد عصا التأديب تبعدها عنه*" يقول الرب إن هناك شيئاً خطأ في قلب الطفل. الجهالة أو الحماقة رابضة في قلبه. لابد من إزاحة هذه الجهالة لأنها تأخذ الطفل نحو الخطر.

عبر سفر الأمثال، تُستخدم كلمة الجهالة / الحماقة لكي ما تصف الشخص الذي لا يخاف الله. الأحمق هو الشخص الذي لا يستمع إلى أي لوم. الأحمق هو الشخص الذي لا يخضع للسلطة. الأحمق هو الشخص المستهزئ بطرق الله. يفتقد الأحمق للحكمة (مخافة الرب).

تسير حياة الأحمق بحسب شهواته ومخاوفه. ما تسمعه من أطفالك الصغار عبارات شائعة في مفرداتهم مثل: "أريد ..." أو "لا أريد ...". يعيش الأحمق بحسب تلقائية شهواته، ورغباته، وتوقعاته، وآماله، ومخاوفه.

إنه سؤال خاص بالسلطة. هل سيعيش الطفل تحت سلطان الله، وبالتالي تحت سلطان والديه، أم تحت سلطانه الخاص، منقاداً برغباته وعواطفه؟

إنها الحالة الطبيعية لأطفالك. قد تكون مختبئة خلف خصلة من الشعر الأجعد. قد تكون مخفية خلف ابتسامة طفل. في حالتهم الطبيعية، على أية حال، يحمل أطفالك قلوباً حمقى. لذلك، يرفضون التقويم. إنهم يحتجون على ما تحاول أن تحكمهم به. راقب الطفل وهو يصارع ضد ارتدائه القبعة في الشتاء. حتى الطفل الذي لا يستطيع أن يعبر عن ما يريد، يظهر تصميمه بأنه لن يحكمه أحد من خارجه. هذه الحماقة رابضة في قلبه، ويمكنها أن تأخذ مكانها وتنمو لمدة ١٤ أو ١٥ عاماً، وتنتج تمرد مراهق لن يسمح لأي شخص بأن يحكمه.

لقد رسم الرب استخدام العصا للتأديب في هذه الحالة. إن عملية الضرب (مُقدمة بصورة كتابية كما سيتم شرحها في الفصل الخامس عشر) تطرد الحماقة إلى خارج قلب الطفل. إن الصفعة تجعل الطفل العنيد لطيفاً. لقد رأيت هذا المبدأ فعالاً مرات لا حصر لها. الطفل الصغير الذي يرفض أن يكون تحت سلطان هو في موضع خطر عميق.

لقد أُعطيت العصا لهذا الموقف *"تضربه أنت بعصا فتنقذ نفسه من الهاوية"* (أمثال ٢٣ : ١٤). إن نفس طفلك تواجه خطر الموت – الموت الروحي. مهمتك هي حماية أطفالك من الموت. الاستخدام الأمين للعصا في وقتها هو وسيلة الحماية.

هذا يضع العصا في وضعها السليم. ليس استخدام العصا فكرة أب غاضب ينفس عن غضبه في طفل صغير عاجز. العصا طيعة في يد أب أمين، مدرك حالة طفله الخطرة، مستخدماً علاجاً مُعطى من الله. ليست القضية أباً يُصر على أن يُطاع. وإنما القضية هي احتياج الطفل للإنقاذ من الموت، الموت الناتج عن تمرد متروك دون مواجهة في القلب.

وظيفة العصا:

ماذا تفعل عصا التأديب في الطفل؟ كيف تعمل؟ يقول الرب في (أمثال ٢٩ : ١٥): *"العصا والتوبيخ يعطيان حكمة ..."*. في مكان آخر، يربط سفر الأمثال الحكمة بمخافة الرب. تأتي مخافة الرب واكتساب الحكمة من خلال العصا.

إن ربط العصا بالحكمة له أهمية عميقة. الطفل الذي لا يخضع لسلطان الأبوة يتصرف بحماقة. إنه يرفض صلاح الله، ويحيا حياته في سبيل إرضاء شهواته ورغباته. وأخيراً، إن رفض قوانين الله يعني أن يختار قوانينه الخاصة التي تؤدي للموت. إن هذا قمة الحماقة.

تـأتي عصا الـتأديب بالحكمة للطفل. إنها تقدم توضيحاً ملموساً لحماقة التمرد. إن توظيـف التأديب يجعل قلب الطفل متضعاً، خاضعاً لتوجيهات الأبوة. إنها تخلق جواً يجعل التوجيه سهلاً. يجعل الضرب الطفل طائعاً ومستعداً لاستقبال كلمة الحياة.

تُعبِّر الرسـالة إلى العبرانيين (١٢: ١١) عن هذا المعنى في هذه الطريقة: *"ولكن كل تـأديب في الحاضـر لا يُـرى أنـه للفرح بل للحزن وأما أخيراً فيعطي الذين يتدربون به ثمـر بـر للسلام"* إن عصا التأديب، رغم أنها تجلب الألم، إلا أنها تجلب أيضاً ثمر بر للسـلام. الطفـل الذي يتمتع بأبوين يستخدمان العصا في وقتها، بصورة مناسبة يتعلم أن يخضع للسلطة.

ألا يتعـلم كـل الأطفـال الطاعـة في الـنهاية؟ يقـول سـفر الأمثال: *"العصا والتوبيخ يعطيـان حكمـة والصـبي الطـلق إلى هـواه يُخجـل أمـه ... أدب ابنك فيريحك ويعطي نفسك لذات"* (أمثال ٢٩: ١٥، ١٧).

لقـد أمـرنا الله أن نسـتخدم العصـا في تأديب وتقويم الأطفال. إنه ليس الأمر الوحيد الـذي يجـب أن نفعلـه، وإنمـا يجب استخدام العصا. لقد أخبرك أن هناك احتياجات داخـل طفـلك تتطـلب استخدامها. إن كنت ستنقذ أطفالك من الموت، إذا كنت تريد أن تُقلع الحماقة من قلوبهم ، إذا كنت تريد أن تزرع حكمة، يجب أن تستخدم العصا.

ما هي العصا؟

إن العصـا هـي أب / أم، أمـين تجـاه الله، وأمـين تجـاه أطفالـه، يقـوم بمسئولية العقـاب الجسـدي بحـرص في وقـت ما، وبصورة محددة ومُسيطر عليها، لكي ما يؤكد على أهمية طاعة الله، وهنا يحمي طفله من الاستمرار في حماقته حتى الموت.

تدريب أبوي:

دعونا ننظر لعناصر هذا التعريف. في التعريف، العصا هي تدريب أبوي. كل المقاطع التي تحث على استخدام العصا تضعها في إطار الحماية في علاقة الأب بابنه. الأمر الكتابي "أدب ابنك" لا يمنح إذناً لكل البالغين لكي يستخدموا العقاب الجسدي لكل الأطفال. إنه عنصر في إطار واسع لأنشطة أبوية. إنه لا يقف بمفرده.

هذه إحدى المشاكل في صفع الأطفال في المدرسة.عندما يقرر مدرس استخدام الصفع، فإن عملية الصفع تُنزع من مكانها في العلاقة ما بين الأب وابنه. نفس الأب والأم اللذين يرعيان الطفل في مرضه، ويأخذانه إلى الحدائق الرائعة، ويتذكران يوم عيد ميلاده، هما نفسهما اللذان يضربانه. إن الصفع مختلف عندما يأتي من غير الأب والأم.

تصرف إيماني:

إن استخدام العصا هو تصرف إيماني، قرر الله ضرورة استخدامها. يطيع الأب، ليس لأنه يفهم تماماً كيف تؤدي وظيفتها، وإنما لأن الله أوصى بها. إن استخدام العصا هو توضيح عميق للثقة في حكمة الله ومشورته الرائعة.

تصرف مخلص:

العصا هي عمل من أعمال الإخلاص تجاه الطفل، من أب يدرك أنه في التأديب رجاء. إنه يقوم بمهمة رافضاً أن يكون طرفاً راغباً في هلاك طفله أبدياً. إنه تعبير عن المحبة والتواصل.

في حالات كثيرة، يرى أطفالي دموعي في عيني، عندما يحين وقت ضربهم. لم

أكـن أريـد أن أفعـل هـذا. قادتني محبتي لأطفالي لهذه المهمة. لقد عرفت أن الفشل في الضرب قد يكون عدم أمانة لنفوسهم.

مسئولية:

العصـا هـي مسـئولية. إنهـا ليسـت قـراراً أبوياً للعقاب. إنها قرار أبوي للطاعة. إن الأب، كـنائب لله، يقـوم بهـذه المهمـة لأجل الرب الذي دعاه لهـا. إنها ليست مهمته الخاصة، وإنما إتمام لمهمة الله.

العقاب الجسدي:

العصـا هـي اسـتخدام العقاب الجسدي بصورة حريصة محددة ومسيطر عليها، وفي وقـت مـا. ليسـت العصا أبداً تنفيس عن غضب الأب. إنها ليست ما يفعله الأب عندما يُحـبط، إنهـا ليست استجابة لإحساس أن الطفل قد قام بأشياء صعبة عليه. إنها دائماً محـددة مسـيطر عـليها. يعـرف الأب المقيـاس المناسب للقسـوة لطفل ما، في وقت ما. يعرف الطفل كم مرة ستأتي عليه ضربات عنيفة.

مهمة إنقاذ:

العصـا هي مهمة إنقاذ. إن الطفل الذي يحتاج للصفع هو بعيد عن والديه من خلال عـدم الطاعـة. صُـمم الصـفع لإنقـاذ الطفـل من الاستمرارية في حماقته. فإذا استمر، فإن هلاكه أكيد. وهكذا، الأب، منقاداً بمحبته للطفل، يجب أن يستخدم العصا.

تؤكـد العصـا أهميـة طاعة الله. تذكر، القضية ليست أبداً "أنت فشلت في طاعتي". السـبب الوحيد لطاعة الطفل لوالديه هو وصية الله. لذلك، الفشل في طاعة الوالدين، هو فشـل في طاعة الله. هذه هي القضية. قد فشل الطفل في طاعة الله. فشل الطفل أن يفعل

ما حتمه الله. وهذا ضروري لوضع الطفل بعيداً عن خطر عظيم.

تشويه مبدا العصا

طالما أن العصا كانت فكرة فاشلة في أوقات كثيرة في ثقافتنا، نحتاج أن ننقي أذهاننا من بعض الأفكار المشوهه عن العصا. لا أريدك أن تفكر أنني أؤيد إحدى المفاهيم الخاطئة الشائعة للعصا. هوذا بعض المفاهيم التي لا تُعبر عن مبدأ العصا:

ليست العصا الحق في مزاج بلا لجام:

ليس المبدأ الكتابي للعصا الحق في مزاج بلا لجام. عندما نناقش مبدأ العصا بصورة كاملة في الجزء الثاني، سنجد أننا يجب أن نستخدم العصا بصورة متأنية مدروسة، وبناء على مبدأ أخلاقي مُحكم لكي ما نتجنب إمكانية الأذى. لا يعطي الله الآباء الحق في أن يلقوا بشحنات عصبية على أولادهم في أي مكان. يعبر هذا الحنق عن عدم صلاح وشر. والكتاب يوبخه، ففي (يعقوب ١: ٢٠) يقول: *"لأن غضب الإنسان لا يصنع بر الله"*.

ليست العصا الحق في ضرب أطفالنا عندما نرغب:

المبدأ الكتابي للعصا، لا يعطينا الحق في ضرب أطفالنا عندماجنريد. تُستخدم العصا للتقويم والتأديب. مرة أخرى، إنها ليست الحق في استخدام القوة البدنية في أي وقت يرغب فيه الإنسان وبأية صورة. يحذرنا الرب من خطر غيظ الأبناء في (أفسس ٦). الأب الذي يؤذي أطفاله جسدياً فإنه بالتأكيد سيغيظه.

ليست العصا تنفيساً عن الإحباط:

ليس المفهوم الكتابي للعصا طريقة للوالدين لكي ما ينفسا عن إحباطهما مع

أطفالهما. لم يحدث أبداً أن قابلت أباً أو أماً لم تمر بلحظات من الإحباط مع أطفالها. هناك أوقات يجعلونك تشعر بالاحتداد، فيتركونك غاضباً وشاعراً بالأذى. ليست العصا طريقة تنفس بها عن غيظك وإحباطك الدفين.

ليست العصا عقوبة:

المفهوم الكتابي للعصا، ليس جزاء من الأب العنيف عن خطأ الطفل. إنه ليس أداء واجب الدفع. الكثير من الآباء لديهم الفكر العقابي. إنهم يرون أن التأديب عبارة عن دفع الطفل ثمن خطاياه. عوضاً عن أن يكون للتقويم الجانب الإيجابي وهو استعادة الوضع الصحيح، يكون له هدف سلبي وهو دفع الثمن. إنه مثل سجين يدفع ديونه للمجتمع بقضاء بعض الوقت في السجن. إنه ليس المبدأ الكتابي للتأديب.

العصا لا يرافقها الغضب:

هناك فكرة غير سليمة وهي أن العصا يجب أن تكون ممتزجة بالغضب. صفع صديق لي ابنه أثناء زيارته لأقاربه. أخذ طفله لحجرة خاصة، وتحدث معه، ثم صفعه. بعد قليل، أكد لابنه أنه يحبه. ابتسما معاً، وخرجا خارج الحجرة، وقد انتهت الصفعة. لقد استرد الأب علاقته بابنه. كانا كلاهما سعيدين يشعران بالسلام. أما الجدة، على أية حال، لم تكن سعيدة. لم تقلقها الصفعة، ما أزعجها أن صديقي لم يحمل معه بعض الغضب. قالت إن الصفعة لا تصلح إلا إذا كنت غاضباً. لقد رأت أن الصفعة يجب أن تؤدي إلى التباعد أكثر من التقارب.

اعتراضات شائعة على العصا

أحب أطفالي كثيراً فلا أستطيع أن أضربهم:

هـذا الاعـتراض مفهـوم بسهولة. أعرف أنه لا يوجد أصعب من ضرب أطفالي. إنه صـعب أن تحمل طفلك على ركبتيك وتكبده الألم عن قصد. أنت تشعر أنك تحبه كثيراً حـتى أنـك لا تسـتطيع القيـام بهـذا. ولكن اسأل نفسك هذا السؤال: من المستفيد إن لم تصـفع طفـلك؟ بالطبع ليس الطفل. يوضح المقطع السابق أن مثل هذا الفشل يضع الطفل في خطـر. مـن المنـتفع؟ أنـت. فقدْ تخلصت من القلق بخصوص صفع أطفالك. تخلصت مـن عـذاب تألم شخص عزيز عليك بسببك. تخلصت من الانزعاج والوقت المفقود الذي يتطلـبه الـتأديب الكـتابي. إنـني أؤمـن أنـه لهذا قال الكتاب في (أمثال ١٣ : ٢٤) "*من يمـنع عصـاه يمقـت ابـنه ومن أحبه يطلب له التأديب*" تبعاً لهذه الآية، الكراهية هي التي ستمنعني من صفع طفلي، وستجبرني محبتي على فعل هذا.

أخاف من أن أؤذيه:

عـادة مـا يسـتجيب الآبـاء المسـيحيين بسـلبية للمبادئ الكتابية عن "العصا" لأنهم تحمـلوا أذى مـن العقـاب الجسـدي في طفولتهم. يُحضر استخدام العصا لأذهانهم صورة آبـاء غاضبين يضربون أبناءهم بصورة غير مُتحكم فيها. مثل هذا السلوك ليس استخداماً كتابياً للعصا، إنه أذى للطفل.

بعـض الآبـاء قـلقون تجـاه أذى أطفـالهم. إنهـم يخـافون أن يحـدث بعـض الأذى الجسـدي الـذي قـد ينتج من استخدام العقاب الجسدي. يتوقع الكتاب في (أمثال ٢٣ : ١٣-١٤) هـذا الاعـتراض: "*لا تمـنع التأديب عن الولد لأنك إن ضربته بعصا لا يموت تضربه أنت بعصا فتُنقذ نفسه من الهاوية*".

التأديب الكتابي المتوازن لا يجلب أبداً الخطر الجسدي على الطفل.

أخاف من أن يجعله هذا ثائراً وغاضباً:

كأب، أنت تريد أن يحبك أطفالك ويقدروك. تريدهم أن يفكروا أن بابا وماما عظيمان. تريدهم أن يشعروا أنك محب وحنون. قد تخاف من أن يجعلهم الصفع يفكرون فيك كشخص قاس وخشن. قد تخاف أن يأتي التأديب بالأسوأ لهم. يخبرنا الكتاب في (أمثال ٢٩ : ١٧) بالعكس: "*أدب ابنك فيريحك ويعطي نفسك لذات*".

عوضاً عن أن تنتج التربية أطفالاً غاضبين وعابسين، تنتج أطفالاً يشعرون بالسلام معك. إنها ينتج أطفالاً تبتهج بهم.

ليست هذه حقيقة فقط على المدى البعيد، وإنما أيضاً على المدى القصير. توجيه الضرب بالصورة الموضحة في الفصل الخامس عشر – تنتج طفلاً سعيداً ملتزماً، حتى بعد الضرب مباشرة.

لن يؤثر:

يتطلب هذا الاعتراض مزيداً من الفحص من الآباء بصورة خاصة. جعلتني سنوات من خبرة الرعاية أقتنع أن حالات العصا التي لا تنفع يمكن أن تتلخص في الآتي:

(١) *استخدام غير ثابت للعصا*. فلن يعرف الطفل أبداً ما الذي يجلب الضرب بالعصا. وهكذا، فهو دائماً يمتحن الأب.

(٢) *الفشل في الاستمرارية*. لا يحاول بعض الناس الاستمرارية في أمر ما لمدة طويلة حتى يكون فعالاً. إنهم يعطون العصا فرصة يومين، فإن لم يتغير الأطفال بين يوم وليلة، فإنهم يتركونها بإحباط.

(٣) *الفشل في الفعالية*. لقد شهدت صفعات وكأنها حدثت من خلال طبقتين من الحفاظات لـلطفل الذي لم يتوقف عن الاستمرارية فيما يفعل طالماً أنه لم يشعر أنه تم صفعه. لم يكن الصفع فعالاً لأن الآباء لم يجعلوا العصا أبداً محسوسة.

(٤) *القيام بها أثناء الغضب*. أشعر بالذهول دائماً للإحساس الفطري بالعدل عند الأطفال. لن يستجيب الأطفال للتقويم في غضب غير مقدس. إنهم يرفضون روحياً إخضاع قلوبهم لآباء يستأسدون عليهم.

أخاف من القبض عليَّ بسبب أذية الطفل:

هناك شرعية لهذا الأمر. يجب أن تكون حريصاً لتتجنب ترك إصابات من جراء الضرب. لئلا تكون مراقباً من شخص لا يؤيد الصفع. يجب أن يتم الصفع في المنزل بخصوصية. لا يجب أن يكون أمراً شائعاً ومعلناً. إن كان الأجداد أو أقارب آخرين لا يؤيدون الصفع، انتبه أن لا تقوم بهذا في محضرهم.

وأخيراً، هذا السؤال هو سؤال إيمان. هل سأطيع الله حتى لو كانت هناك مخاطر تتبع هذه الطاعة؟

في حين أن المخاطر محدودة إلا أنها ليست مستبعدة. لذلك، يجب أن يكون الآباء متعقلين.

نتائج العصا

تنعكس ثمار العصا على السلوك. يُعلِّم الاستخدام الثابت للعصا أطفالك أن هناك نتائج محتومة على السلوك. يجب أن يتعلم الأطفال الصغار الطاعة. عندما تكون نتيجة عدم الطاعة مؤلمة، فإنهم يتعلمون أن الله يبني مبادئ الزرع والحصاد في عالمهم.

تظهـر العصـا سـلطان الله مـن خلال الوالدين. الأب الذي يستخدم العصا كنوع من الطاعـة هـو نمـوذج للخضـوع للسـلطة. إحـدى الأسـباب الـتي تجعل الأطفال يشعرون بالصعوبة مع السلطة هي أنهم لا يرون القدوة في مجتمعهم.

تُـدرِّب العصـا الطفـل أن يكـون تحت السلطة. حقيقة أن هناك عواقب معينة لعدم الطاعـة تعـلم أهميـة الطاعة. يتعلم الطفل وهو مازال صغيراً أن الله قد وضع كل شخص تحت سلطان، وأن تركيبة هذه السلطة سبب بركة.

تُظهـر العصـا محـبة والـتزام الآبـاء. يوضح الكتاب في (عبرانيين ١٢) أن العصا هي تعـبير عـن المحـبة. في عـدد ٥، الـتأديب هـو علامـة البـنوة. الأب الذي يؤدب يعلن محبـته لطفلـه. فهـو ليـس حزباً غير مكترث. إنه مرتبط ومشترك. إن التزامه عميق إلى حد يجعله يستثمر نفسه في تربية أبنائه بعناية.

العصـا تنـتج حصـاد بر وسلام. في (عبرانيين ١٢ : ١١) نقرأ: *"ولكن كل تأديب في الحاضـر لا يُـرى أنـه لـلفرح بـل لـلحزن وأمـا أخـيراً فيعطـي الذين يتدربون به ثمر بر للسـلام"*. الـتأديب بحـرص وفي وقـت معـين، بالـرغم من أنه غير مُسر، ومؤلم فإنه في نفسه الوقت، ينتج أطفالاً ناجحين، سعداء.

يحمـل مـبدأ العصـا ثمـاراً رائعة. كأب لأطفال بالغين، أشعر دائماً بالامتنان لرحمة الله لأجـل أسـرتنا، فإن أول اكتشافاتنا للأفكار التي وضعناها في هذا الفصل أتت عندما كـان لديـنا طفـل واحد فقط. لقد كان عنيداً في سنة ١٨ شهراً وكان في طريقه للمتاعب! أعطتـنا هـذه المبادئ طريقة للتعامل مع ابننا. لقد أتاحت لنا أن نقدم له التأديب الآمن. أتاحت له أن يجني ضبط النفس. لقد ساعدته على احترام ومحبة والديه.

يُشـجع مـبدأ العصـا عـلى وجـود جو من التقارب والانفتاح بين الأب وطفله. الأب

الذي يرتبط بطفله ويرفض تجاهل الأشياء التي تتحدى سلامة هذه العلاقة سيختبر الألفة مع طفله. عندما يُسمح للطفل أن يكون عابساً وغير مطيع، فإن المسافة تتباعد بين الأب والطفل. الأب الذي يرفض أن يسمح بفرصة للتباعد سيستمتع بالتقارب والعلاقة المفتوحة.

افضل كليهما

إذا ركزت، بصورة شاملة، إما على العصا أو التواصل، فستكون مثل سفينة وضعت كل حمولتها على جانب واحد، لن تستطيع أن تبحر جيداً، فكل من العصا والتواصل لا يمكنهما الاستمرار كوسيلة منفردة. إنهما صمما لكي ما يعملا معاً.

هذه هي النقطة في رسالة العبرانيين (١٢: ٥-٦): *"وقد نسيتم الوعظ الذي يخاطبكم كبنين يا ابني لا تحتقر تأديب الرب ولا تخر إذا وبخك لأن الذي يحبه الرب يؤدبه ويجلد كل ابن يقبله".*

يحتاج أطفالك أن يكونوا معروفين ومفهومين، لذا فإن التواصل ضروري، كما أنهم يحتاجون للسلطان. إنهم يحتاجون حدوداً واضحة وتقويم يمكن التنبؤ به – لذا فإن العصا ضرورية.

يُحافظ استخدام العصا على الجذور الكتابية للسلطان الأبوي. والتركيز على التواصل الغني يمنع التأديب البارد التعسفي.

بكل وضوح أقول إن تفوق إحدى الوسيلتين على الأخرى سيعتمد على أعمار أطفالك. سنركز على هذا بصورة أعمق في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

بعض الآباء لديهم براعة في استخدام كل من الوسيلتين، سواء التواصل أو العصا. من الجيد أن نكون حساسين للإعوجاج اللاكتابي لكل منهما. الشخص المستريح

للعصا يمكن أن يسقط في فخ التسلط. والأب الذي يكون التواصل بالنسبة له سهلاً وطبيعياً قد يتجه للتسامح. الآباء المتسلطون يميلون إلى افتقاد الحنو. أما الآباء المتسامحون، فيميلون إلى افتقاد الموقف الثابت. قيِّم أية تشويهات للتدريبات الكتابية التي تميل إليها. اجتهد للوصول لتوازن أفضل.

أسئلة تطبيقية للفصل الحادي عشر:

(١) ما هي المشكلة في حياة أطفالك التي تتطلب استخدام العصا؟

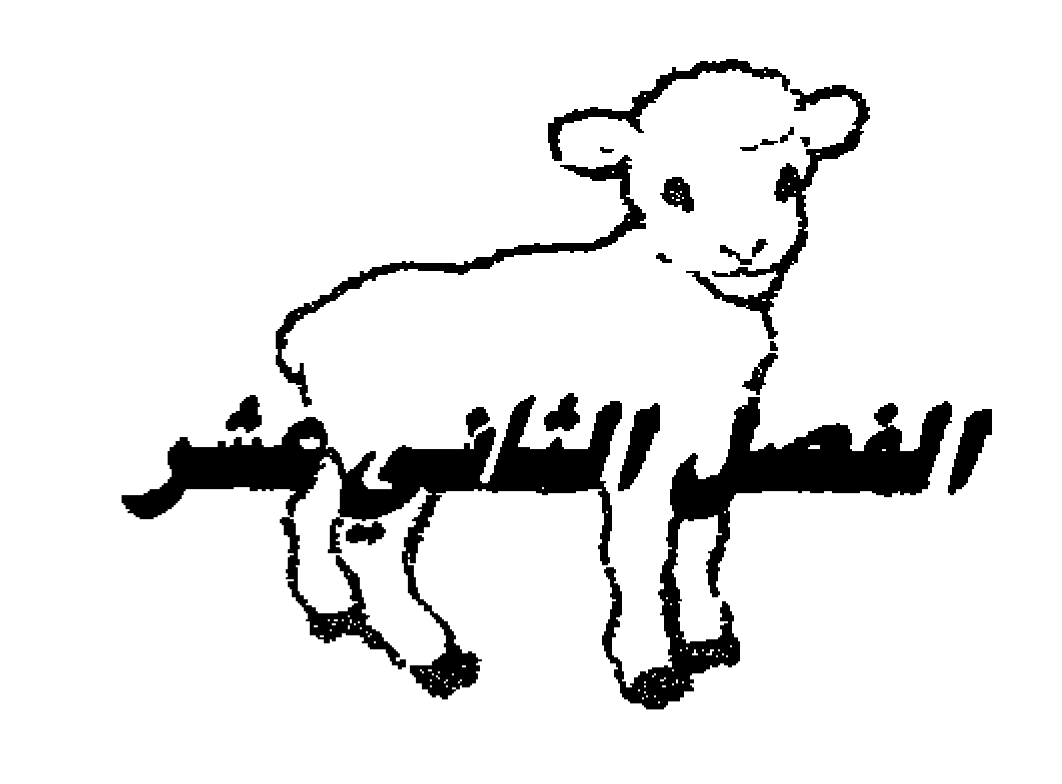
(٢) ما هي وظيفة العصا؟

(٣) من الذي أعطاه الرب السلطان لتأديب الأطفال بالعصا؟

(٤) راجع الاعتراضات الشائعة على العصا؟ هل أي من هذه الاعتراضات خاصة بك؟

(٥) اذكر بعض الانحرافات في مبدأ العصا.

(٦) كيف يمكن أن تشرح العلاقة بين التواصل والعصا؟ أي وسيلة أسهل بالنسبة لك؟



الفصل الثاني عشر

قبول الوسائل الكتابية:

مناشدة الضمير

لم يكـن بـرنامجاً سـريع الخطى. قد يكون لهذا جذب أنظاري. كان الوقت متأخراً وقـد مـر اليوم سريعاً فكان كافياً بالنسبة لي! لم يكن لدي أية شهية للميلودراما في حياة شـخص مـا. كان الرجل الذي في التلفاز يتحدث بصورة سطحية، وبصوت هادئ رتيب شرح حرفته. كان رساماً، وقد أتيت بينما كان يُعد لوحته.

ودنـدن قـائلاً: "لا يمكـنك أن تـبدأ الرسـم، قـبل إحضـار الألـوان، وقـبل إعـداد النسـيج، وقـبل إعـداد الأصباغ، يجب أن يضع الرسام "غسولاً" على النسيج. والغسول هو خلفية لكل أنشطة الرسم. يستلزم الفن الغسول.

هـذا الفصـل هـو عـبارة عـن "غسـول". شـرحت الفصـول السابقة التواصل والعصا. وتضمنا قضـيتين همـا: مناشـدة الضـمير والتركيـز على عمل الله الافتدائي. تعطي هذه القضايا شكلاً وبنياناً كتابياً لأبوتنا.

مناشدة الضمير

يجـب أن يجـد تقويمـك وتأديـبك علامـته في ضمير ابنك أو ابنتك. لقد أعطى الله الأطفـال القـدرة العقـلية الـتي تمكـنهم أن يميـزوا قضايا الصواب والخطأ. يذكرنا بولس

الرسـول أنـه حـتى هؤلاء الذين لا يعرفون شريعة الله تكون متطلباتها مكتوبة في قلوبهم عـند طاعـتهم للـناموس (رومية ٢: ١٢-١٦). إنهم إما التمسوا العذر وإما اتهموا أنفسهم في أفكارهم بسبب ضمائرهم.

إن الضـمير الـذي أعطـاه الله هـو حـليفك في الـتأديب والتقويم. إن أقوى مناشداتك ستختص بالضـمير. عـندما يـثور الضـمير المكـدر، يمكـن أن يجـد الـتقويم والـتأديب تأثيراتهما.

هـناك مـثالان كـتابيان يوضـحان هـذه القضـية. يـبرر سـفر الأمـثال الأصـحاح ٢٣ استخدام العصـا في الـتقويم. وأعـداد ١٣، ١٤ تقول: *"لا تمنع التأديب عن الولد لأنك إن ضـربته بعصا لا يموت تضربه أنت بعصا فتنقذ نفسه من الهاوية"*. العصا، على أية حـال، ليسـت أداة الـتدريب الوحيـدة في هـذا المقطـع. وإنمـا هـناك أداة أخـرى. إنها مناشدة الضمير. المناشدة المخلصة تملأ هذا الأصحاح من سفر الأمثال:

عدد ١٧: *"لا يحسدن قلبك الخاطئين بل كن في مخافة الرب اليوم كله"*

عدد ١٩: *"اسمع أنت يا ابني وكن حكيماً وارشد قلبك في الطريق"*

عدد ٢٢: *"اسمع لأبيك الذي ولدك ولا تحتقر أمك إذا شاخت"*

عدد ٢٣: *"اقتن الحق ولا تبعه والحكمة والادب والفهم"*

عدد ٢٦: *"يا ابني اعطني قلبك ولتلاحظ عيناك طرقي"*

يقطـر المقطـع بأكملـه حـلاوة، هـناك توسـل حنان يناشد الضمير. هل كان سليمان رحـيماً في اسـتخدامه العصـا؟ لا! ولكـنه لاحـظ حـدود العصـا. كـان يعـرف أن العصـا تجذب الانتباه، ولكن الضمير يجب أن يتم حرثه وزرعه بالحق بطرق الله.

يُقـدم تفـاعل يسـوع مـع الفريسـيين نموذجاً تصويرياً آخر لمناشدة الضمير. في (متى

٢١: ٢٣) تحدى رؤساء الكهنة والشيوخ سلطة المسيح، فتجاوب بقصة رمزية عن ابنين:

" ماذا تظنون كان لإنسان ابنان فجاء إلى الأول وقال يا ابني اذهب اليوم اعمل في كرمي فأجاب وقال ما أريد ولكنه ندم أخيراً ومضى وجاء إلى الثاني وقال كذلك فأجاب وقال ها أنا يا سيد ولم يمض فأي الاثنين عمل إرادة الأب قالوا له الأول قال لهم يسوع الحق أقول لكم أن العشارين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت الله لأن يوحنا جاءكم في طريق الحق فلم تؤمنوا به وأما العشارون والزواني فآمنوا به وأنتم إذ رأيتم لم تندموا أخيراً لتؤمنوا به"

في نهاية المثل. سألهم سؤالاً مباشراً موجهاً لمنطقهم فيما يتعلق بالصواب والخطأ. وقد أجابوا بصورة صحيحة.

لقد أعطاهم مثلاً آخر – مثل صاحب الكرم والمستأجرين.

"اسمعوا مثلاً آخر كان إنسان رب بيت غرس كرماً وأحاطه بسياج وحفر فيه معصرة وبنى برجاً وسلمه إلى كرامين وسافر ولما قرب وقت الإثمار أرسل عبيده إلى الكرامين لياخذ أثماره فأخذ الكرامون عبيده وجلدوا بعضاً وقتلوا بعضاً ورجموا بعضاً ثم أرسل أيضاً عبيداً آخرين أكثر من الأولين ففعلوا بهم كذلك فأخيراً أرسل إليهم ابنه قائلاً يهابون ابني وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم هذا هو الوارث هلموا نقتله ونأخذ ميراثه فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين قالوا له أولئك الأردياء يهلكهم هلاكاً ردياً ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين يعطونه الأثمار في أوقاتها قال لهم يسوع أما قرأتم قط في

الكتب الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية من قبل الرب كـان هذا وهو عجيب في أعيننا لذلك أقول لكم أن ملكوت الله يُنزع منكم ويُعطـى لأمـة تعمل أثماره ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عـليهم وإذ كـانوا يطلـبون أن يمسكوه خافوا من الجموع لأنه كان عندهم مثل نبي"

تذكر أن يسوع كان يناشد إحساسهم بالصواب والخطأ. كان يناشد ضمائرهم: *"متى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين"*؟

لقـد سألهم لكي ما يصنعوا حكماً. وكان الحكم صحيحاً. ثم أظهر لهم أنهم يتهمون أنفسهم. عدد ٤٥ يُظهر أنهم وصلوا للهدف، *"عرفوا أنه تكلم عليهم ..."*.

هذا هو النموذج. المسيح يناشد ضمائرهم فلا يستطيعون الهرب من خطيتهم. وهكذا، تعامل مع جذر المشكلة (أساسها)، وليس فقط سطحياً.

كـان سـؤالهم الرئيسـي في (متى ٢١: ٢٣) *"بأي سلطان تفعل هذا ومن أعطاك هذا السلطان"*، كـان يبدو مثل سؤال عن أساس سلطانه. كان هذا السؤال، على أية حال، تحديـاً لسـلطانه. أمـا إجابـته فقـد جذبت خطوط المعركة. لقد أكد أن سلطانه من الله. وبينما هم لم يقدموا توبة، إلا أن تحدي ضمائرهم كان قد ترك بصمته. لقد عرفوا أنه كان يتكلم عنهم. لقد أدانوا أنفسهم.

هـذه هي مهمتك في رعاية أطفالك. يجب أن تأتي إلى نقطة مناشدة الضمير. لكي ما تـراهم يتعاملون مع قضايا توجههم نحو الله، يجب أن تأتي بالتقويم من خلال السلوك لكـي تعـالج قضـايا القـلب. يجـب أن تخـاطب القلب بكشـف الخطية ومناشدة الضمير

كحكم مُعطى من الله للصواب والخطأ.

اقترب مني رجل بعد خدمة العبادة، وهو في حالة ثورة عارمة. فقد لاحظ أن صبياً صغيراً يسرق بعض الأموال من طبق التقدمة بعد خدمة الكنيسة. لقد شعر باهتمام حقيقي تجاه هذا الصبي. اقترحت أن يخبر والد الطفل فيستفيد الطفل من تقويم والده وتدخله.

بعد عدة دقائق كان الصبي ووالده يسألان عليَّ ويرغبان في رؤيتي. أتي الطفل بـ ٢ دولار، وقال لي إنه أخذهم من طبق التقدمة. كان يبكي، وهو يعلن عن أسفه ويطلب الغفران.

بدأت أتحدث معه: "شارلي، إنني سعيد أن هناك شخصاً رآك وأنت تفعل هذا. ترى كم رحمة الله الرائعة التي لم تجعلك تهرب! لقد جنبك الله صلابة القلب التي تأتي مع الخطية. ألا ترى كم كان الله رحيماً معك؟" نظر في عيني وهز رأسه.

أكملت: "أنت تعرف، شارلي، لهذا أتى يسوع. أتى يسوع لأن الشعب مثلك ومثل والدك ومثلي لهم قلوب تريد أن تسرق. أنت ترى، إننا نمتلك الجرأة والوقاحة لأن نسرق حتى من طبق التقدمة الذي يضع فيه الناس لله. ولكن الله لديه مثل هذه المحبة للصبية الآثمين وغيرهم لذلك أرسل ابنه ليغيرهم من الداخل، ويجعل منهم أناساً يُعطون وليس يأخذون".

وعند هذه النقطة، أجهش شارلي بالبكاء، وأخرج ٢٠ دولاراً آخرين من جيبه. عندما بدأ هذه المناقشة الموجزة استعد لكي ما يُرجع من خلال الإشارات، ٢ دولار قد أخذهم. شيء ما قد حدث وهو يسمعني أتحدث عن رحمة الله للخطاة الآثمين. لم يكن هناك اتهام في نبرة صوتي. ولم أكن أعرف أنا أو والده أن هناك المزيد من الأموال. ماذا

حدث؟ لقد فُتن ضمير شارلي ببشارة الإنجيل! شيء ما مما قلته قد طرق على الوتر الذي صنع صدى في قلبه السارق الصغير. إن بشارة الإنجيل تضع بصماتها في الضمير.

التقويم ببؤرة رئيسية هي الغداء

إن البؤرة الرئيسية في تربية ورعاية الأطفال هي أن نأتي بهم إلى تقدير واع لأنفسهم كخطاة. يجب أن يفهموا رحمة الله، التي قدمها في المسيح كتقدمة عن الخطاة. كيف يتم هذا؟ يجب أن تخاطب القلب كينبوع السلوك والضمير كقاض أعطاه الله للحكم على الصواب والخطأ. يجب أن يكون صليب المسيح هو البؤرة الرئيسية في رعاية أطفالك.

أنت تريد أن ترى أطفالك يحيون حياة مغروسة في التربة الغنية لعمل المسيح الرحيم. إن النقطة المركزية للتأديب والتقويم يجب أن تكون رؤية أطفالك غير قادرين على القيام بمتطلبات الله إلا إذا عرفوا قوته ومعونته. يجب أن تحمل تربيتك مقاييس البر بنفس الدرجة التي يحملها الله. إن مقاييس الله هي السلوك السليم النابع من قلب يحب الله، ويبحث عن مجد الله كقصد وحيد للحياة. إن هذا ليس طبيعة أطفالك (ولا آبائهم).

يكشف التأديب عن عجز طفلك عن محبة أخته من قلبه، وكذلك عجزه عن تفضيل الآخرين بصدق عن نفسه. يقود التأديب لصليب المسيح حيث ينال الخطاة الغفران. إن الخطاة الذين يأتون ليسوع بالتوبة والإيمان ينالون قوة لكي يحيوا حياة جديدة.

البديل هنا هو خفض سقف المقاييس التي يمكن توقعها إلى حد ما من أطفالك بدون نعمة الله. البديل هو أن يعطوا قانوناً يمكنهم الاحتفاظ به. هذه مقاييس أقل، وهي لا تتطلب نعمة ولا تجعلهم يعتمدون في شيء على المسيح، وإنما على مواهبهم الخاصة، تحركهم الاعتمادية على مواهبهم الخاصة بعيداً عن الصليب. إنها تحركهم بعيداً عن أي

تقييم للذات يمكن أن يدفعهم إلى الاستنتاج أنهم يحتاجون غفران وقوة المسيح بشدة.

لقد تحدثت مع الكثير من الآباء الذين يخافون من تربية مرائين صغار، متكبرين، مملوئين من البر الذاتي. إن الرياء والبر الذاتي هما نتيجة إعطاء الأطفال قانون يمكنهم المحافظة عليه وإخبارهم أنهم سيكونون صالحين. ومع الإحساس أنهم ناجحون، سيصبحون مثل الفريسيين، الناس الذين خارجهم نظيف، بينما الداخل مملوء بالقذارة والتلوث. كانت عبقرية الفريسيين أنهم اختزلوا الشريعة إلى مقاييس خارجية يمكن الالتزام بها، والتي يمكن أن يقوم بها أي شخص يتمتع بضبط النفس. في افتخارهم وبرهم الذاتي، رفضوا المسيح.

يجب أن يركز التقويم والرعاية على المسيح. في المسيح فقط، يمكن للطفل الضال، والذي اختبر تأنيب ضمير الخطية، يمكنه أن يجد الرجاء، والغفران، والخلاص. وقوة الحياة.

أسئلة تطبيقية للفصل الثاني عشر:

(١) لمن يشعر طفلك أنه يجب أن يقدم حسابه عندما يخطئ؟

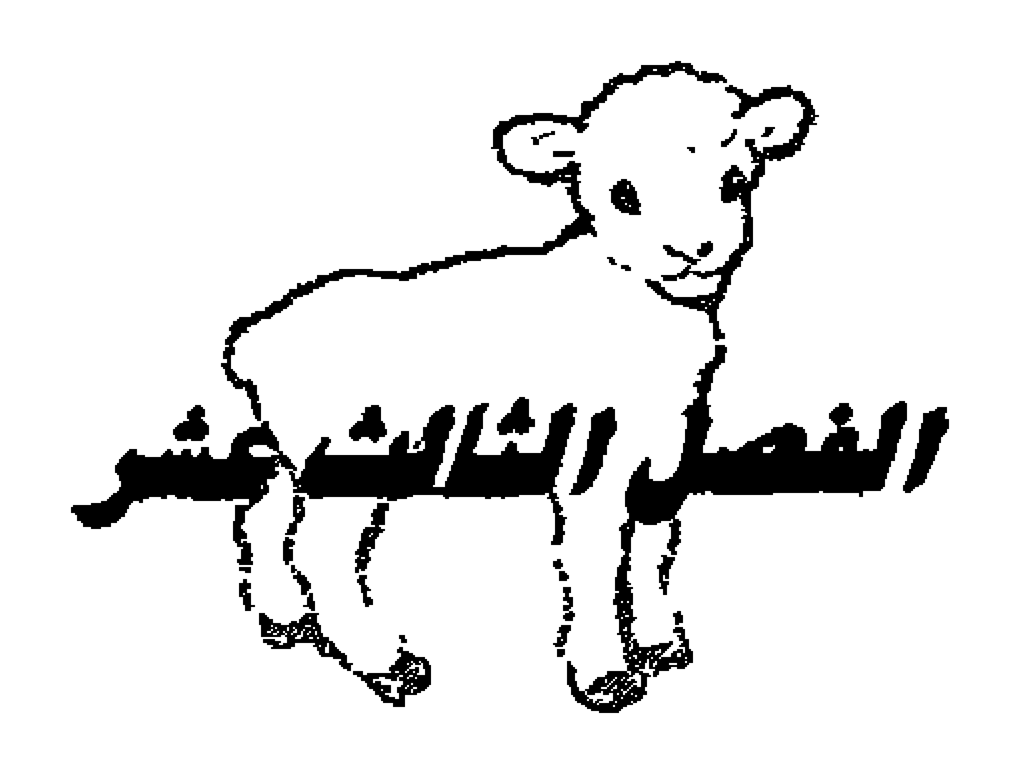
(٢) كيف تجعل أطفالك يُركزين على حقيقة أن طاعة الوالدين مبنية على وصية الله؟ هل وجدت نفسك تبني متطلباتك ببساطة على أساس اشتياقاتك ورغباتك؟

(٣) هل تركز تقويمك وتوجيهك على السلوك أم على اتجاه القلب؟ هل يفكر أطفالك في أنفسهم كخطاة بسبب ما يفعلون، أم بسبب ما هم عليه؟

(٤) كيف تختلف مناشدة الضمير عن توجيه السلوك؟ ما هي المنفعة من وراء مناشدة الضمير كمدخل أفضل من التركيز على السلوك؟

(٥) يوجد رجاء في المسيح للأطفال الخطاة. كيف تركز الرجاء لأطفالك في عمل المسيح؟

(٦) هل تجد نفسك تصرخ في أطفالك بصورة يستحيل معها أن تتوقف وتصلي للمسيح ليساعدهم؟



الفصل الثالث عشر

رعاية القلب

ملخص

في الجزء الأول من هذا الكتاب، وضعت أساسيات رعاية الأطفال كتابياً. هذا الفصل هو ملخص موجز لعناصر الجزء الأول:

(١) أطفالك هم نتاج شيئين. الأول – المؤثرات التشكيلية– أي تشكيلهم الجسماني وخبراتهم الحياتية. والثاني– التوجه نحو الله – وهو يحدد كيفية التفاعل مع هذه الخبرات.

تتضمن الأبوة: ١) تقديم أفضل مؤثرات تشكيلية تستطيع أن تقدمها. ٢) الرعاية الواعية لاستجابات أطفالك لهذه المؤثرات.

(٢) يقرر القلب السلوك. لذا، تعلَّم، أن تعمل لا من السلوك بل من القلب حيث الأساس. اكشف صراعات القلب. ساعد أطفالك لكي يروا أنهم قد خُلقوا ليكونوا في علاقة مع الله. إن عطش القلب يمكن أن ترويه المعرفة الحقيقية لله.

(٣) لك السلطان لأن الله جعلك وكيلاً له. هذا يعني أنك في مهمته، وليس مهمتك. مهمتك هي مساعدة أطفالك على معرفة الله. هذا سيجعلهم قادرين على معرفة أنفسهم.

(٤) بما أن النهاية الرئيسية للإنسان هي تمجيد الله والاستمتاع به إلى الأبد، لذا يجب أن تضع مثل هذه الرؤية للعالم أمام أطفالك. يجب أن تساعدهم على معرفة أنه فيه وحده سيجدون أنفسهم.

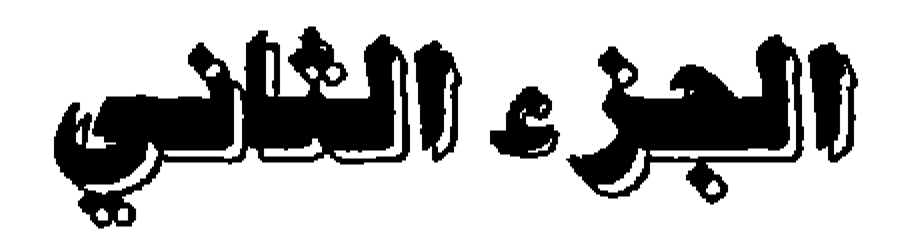
(٥) يجب أن تتم الأهداف الكتابية من خلال وسائل كتابية. لذلك، يجب أن ترفض الخضوع لوسائل مجتمعك الحالي.

(٦) لقد أعطانا الله وسيلتين لرعاية الأطفال. وهما:

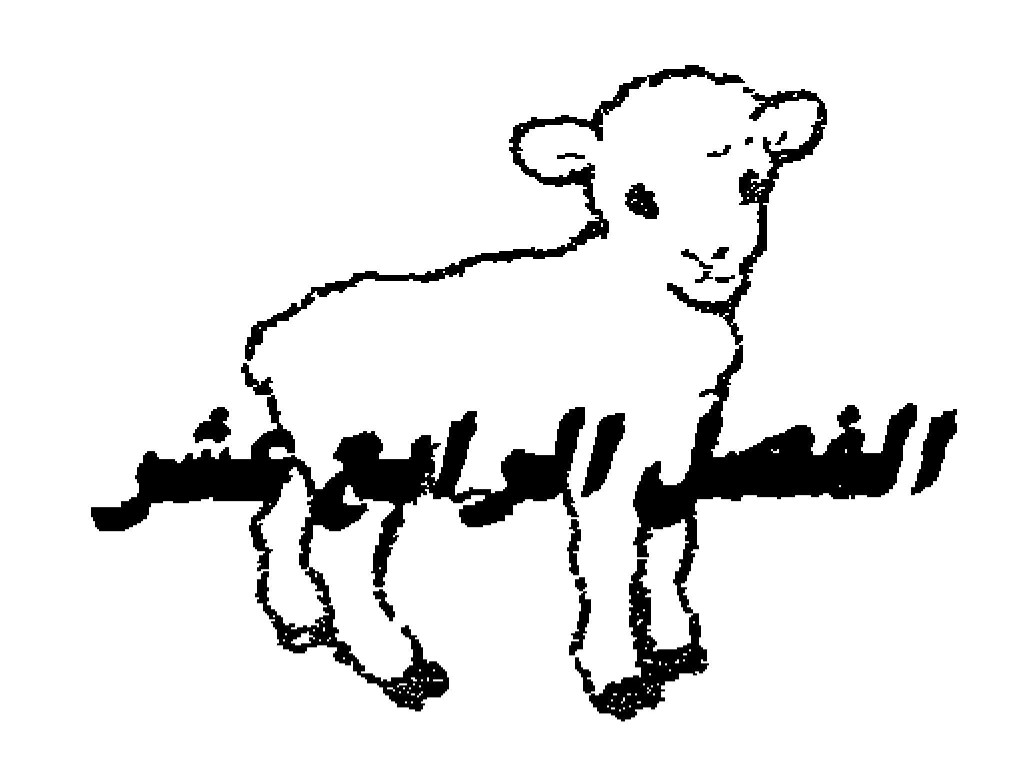
١) التواصل، ٢) العصا.

يجب أن تكون هاتان الطريقتان مغزولتين معاً في تدريبك. يحتاج أطفالك أن يكونوا معروفين ومفهومين. لذا، فإن التواصل الغني ضروري. كما يحتاجون للسلطة والحزم. لذلك، فالعصا ضرورية. إن وظيفة العصا هي التأكيد على أهمية الأشياء التي تتحدث معهم عنها.

في الجزء الثاني سنطبق هذه المبادئ على مواصفات الرعاية في مراحل متنوعة من مراحل الطفولة.



الرعاية عبر
مراحل الطفولة



الفصل الرابع عشر

من الرضاعة إلى الطفولة: الأهداف التدريبية

عاني ابن "هيوارد" من تلف بالمخ في سن الرضاعة. لم يكن "هيوارد" متأكداً من مقدار استيعاب ابنه. ورغم أن طفله يعاني من تأخر في نموه العقلي، إلا أن "هيوارد" كان يتحدث معه عن طرق الله. وعندما كان عمر ابنه ثلاث سنوات ونصف، لم يكن قد بدأ الكلام بعد. واستمر الوالدان في الحديث معه عن الله، والصلاة معه، وطلب رعايته كتابياً.

وفي أحد الأيام كان الصبي يتطلب التقويم والتأديب. شعر "هيوارد" بالارتباك وهو يحاول التوضيح، ولا يعلم إلى أي مدى يمكن لابنه أن يدرك ويعي. وبينما كانت خيبة الأمل تنمو مع عملية التواصل، تدخل الابن. تكلم! وكانت أولى كلماته: "صل، يا بابا".

هذا الطفل الصغير، المصاب بتلف في المخ، أدرك وفهم دروساً ثمينة طوال الوقت. لقد عرف عن إيمان أبيه في الله. عرف أن الشخص يأتي لله عند التجربة. عرف أن الله يستطيع أن يعين والده على التواصل. أي توضيح مثل هذا عن أهمية هذه السنوات الأولى في عمر الطفل!

الخاصية المميزة الأولية - التغيير

أولى مراحل النمو، من الرضاعة حتى الطفولة، تحمل بين طياتها الفترة من الميلاد حتى سن ٤ أو ٥ سنوات. هذه الفترة يمكن أن نصفها في كلمة واحدة: التغير. مع كل مرحلة من مراحل النمو، يُذهل الطفل والديه بتغير مذهل.

التغيير البدني:

فكر في التغيير البدني. لا يستطيع الرضيع الصغير الحركة، ولا يستطيع رفع رأسه، أو أن يتقلب، ولا يستطيع أن يجلس. حتى الآن القوى الكامنة مازالت تعمل فيه. وفي خلال عدة أشهر، يبدأ في أن يجلس، ويقف، ويحبو، بل وحتى يمشي، ثم يتعلم أن يجري، ويقفز، ويتسلق الأشجار.

إن مقدرته على معالجة الأمور تنمو. وسريعاً ما يستطيع أن يدير مقبض الباب ويفتحه ويطلق الأسرى. إنه يتعلم أن يُطعم نفسه. لا توجد فترة في حياته لا يكون التغيير فيها مذهلاً.

التغيير الاجتماعي:

إن التغير الاجتماعي هو أيضاً جذري. أولى العلاقات الاجتماعية تكون مع أمه. ثم سريعاً، مع دائرة الأشخاص المألوفين لديه، ثم تتسع لتشمل باقي أفراد العائلة. إنه يتعلم أسلوبه الخاص في العلاقات مع الآخرين. ويتعلم ما الذي يُقربه إلى الآخرين. يتعلم كيف يبحث عن القبول في عالمه من العلاقات الاجتماعية الذي يتسع. وفي سن ٤ أو ٥ سنوات، سيكون قد كوّن أصدقاء شخصيين له.

التغيير الذهني:

يكون التغير الذهني مذهلاً شديداً أيضاً. إن الطفل الصغير صانع معان. إنه يسمع اللغة ويُعمم قواعد النحو. حتى أخطائه تتبع نموذج النحو المنطقي.

كل خبرة هي خبرة تعليمية، يكثر الفضول، يتساءل لماذا تدور الأبواب على مفصلات؟ هل الأشياء تكون موجودة عندما لا أفكر فيها؟ لماذا تسقط الأشياء على الأرض؟ هل يستطيع الناس أن يروني عندما أغلق عيني؟ يتعلم الطفل أن يتحدث، وأن يحسب، وأن يضايق الآخرين، وأن يكون مرحاً، وأن يكون جاداً. إنه يتعلم القيم – ما هو مهم، وما هو غير مهم.

التغيير الروحي:

إنه ينمو روحياً. قد يُرعى النمو من خلال خطوط معرفة ومحبة الإله الحقيقي، أو قد يتم تجاهله. ينتج كلاهما نمواً روحياً. لانه مخلوق روحي، فإما أن يتعلم العبادة والاتكال على الإله يهوه، وإما أن يتعلم أن يسجد أمام آلهة أقل.

الملخص:

يعطي التغير السريع خلال هذه السنوات الأولى الآباء أفكاراً ضخمة عن أولادهم. يرى يقيناً الكثير من الآباء أن أطفالهم الذين في الحضانة عباقرة، بل يجب أن يكونوا هكذا. إنهم يفهمون جيداً، ويتعلمون الكثير في وقت قصير. الآباء متأكدون من أنه لا يوجد حدود لبراعة الطفل.

فهم السلطة

مع مثل هذه التغيرات المذهلة، والتي تحدث في وقت قصير، يكون من السهل

فقدان التركيز. أين يجب أن تضع طاقاتك؟ أنت تحتاج إلى هدف تدريبي أعلى، محدد بكفاية لكي ما يعطي اتجاه الثبات في مواقف صلبة، على أن يتسع بكفاية لكي ما يحمل بين طياته العالم المتغير لهذا الطفل الصغير.

درس واحد كبير:

إن أهم درس للطفل هو أن يتعلم في هذه الفترة أنه ***فرد، تحت سلطة***. قد خلقه الله وعليه مسئولية طاعة الله في كل الأشياء.

المقطع الكتابي الرئيسي لهذه الفترة هو:

" أيها الأولاد اطيعوا والديكم في الرب لأن هذا حق اكرم أباك وأمك التي هي أول وصية بوعد لكي يكون لكم خير وتكونوا طوال الأعمار على الأرض".

بؤرة التوجه نحو الله:

لاحظ أن الطاعة هي استجابة لله. يجب أن يتعلم الأولاد أنهم مخلوقون لله. عليهم واجب تجاهه. فهو لديه الحق أن يحكمهم. إنهم مدينون له بالطاعة.

لن يخضع أطفالك أبداً لك بدون فهم هذه الحقيقة. إنهم لن يروا الحياة من منطلق إعطاء المجد لله. سيكونون مشغولين بأنفسهم – التي هي الهدف الأولي للعبادة في عالمهم الخاص.

الخضوع للسلطان الأرضي هو تطبيق خاص لكونك كائناً تحت سلطان الله. قد يبدو الخضوع لسلطان الله بعيداً ونظرياً. بابا وماما، على أية حال، موجودان. تنعكس الطاعة لله في نمو إدراك الطفل لطاعة الوالدين.

اجعل أطفالك يتآلفون مع السلطان والخضوع بينما هم مازالوا رضعاً. يبدأ هذا التدريب من اليوم الذي تأتي بهم فيه إلى البيت من المستشفى الذي ولدوا فيه.

هذه الدروس، عندما تستقر بثبات في السنوات الأولى، ستنتج ثمارها خلال مرحلة الطفولة. أسس هذه المبادئ وستزيل الاحتياج للتساؤلات والاعتراضات المكررة حول السلطة.

عندما بدأ ابننا المراهق قيادة سيارتنا، أصبحت السيارة ظاهرة اجتماعية خارج نطاق تحكم الوالدين. لذا وضعنا خطوطاً واضحة، وقواعد ضد وجود ركاب لا يرضى عنهم بابا وماما. كما أن هناك قواعد في استخدامها. فكنا، بالطبع، نرحب بمكالماته التليفونية التي تناشدنا. يمكن أن تتغير الخطط دائماً؛ ولكننا فقط لم نكن نرغب في أن نفاجأ. لذا كنا سعداء عند استقبالنا مكالمات من حين لآخر تغير في تنظيماتنا. في عدة مرات كان ابننا يأخذ ركاباً، أو يسرع بالسيارة دون معرفتنا سلفاً. كان من الممكن أن يفعل هذا دون إخبارنا، ولكنه لم يفعل. فقد كان ممكناً أن نثق به، وذلك بسبب الدروس التي تعلمها سابقاً في مراحل طفولته الأولى.

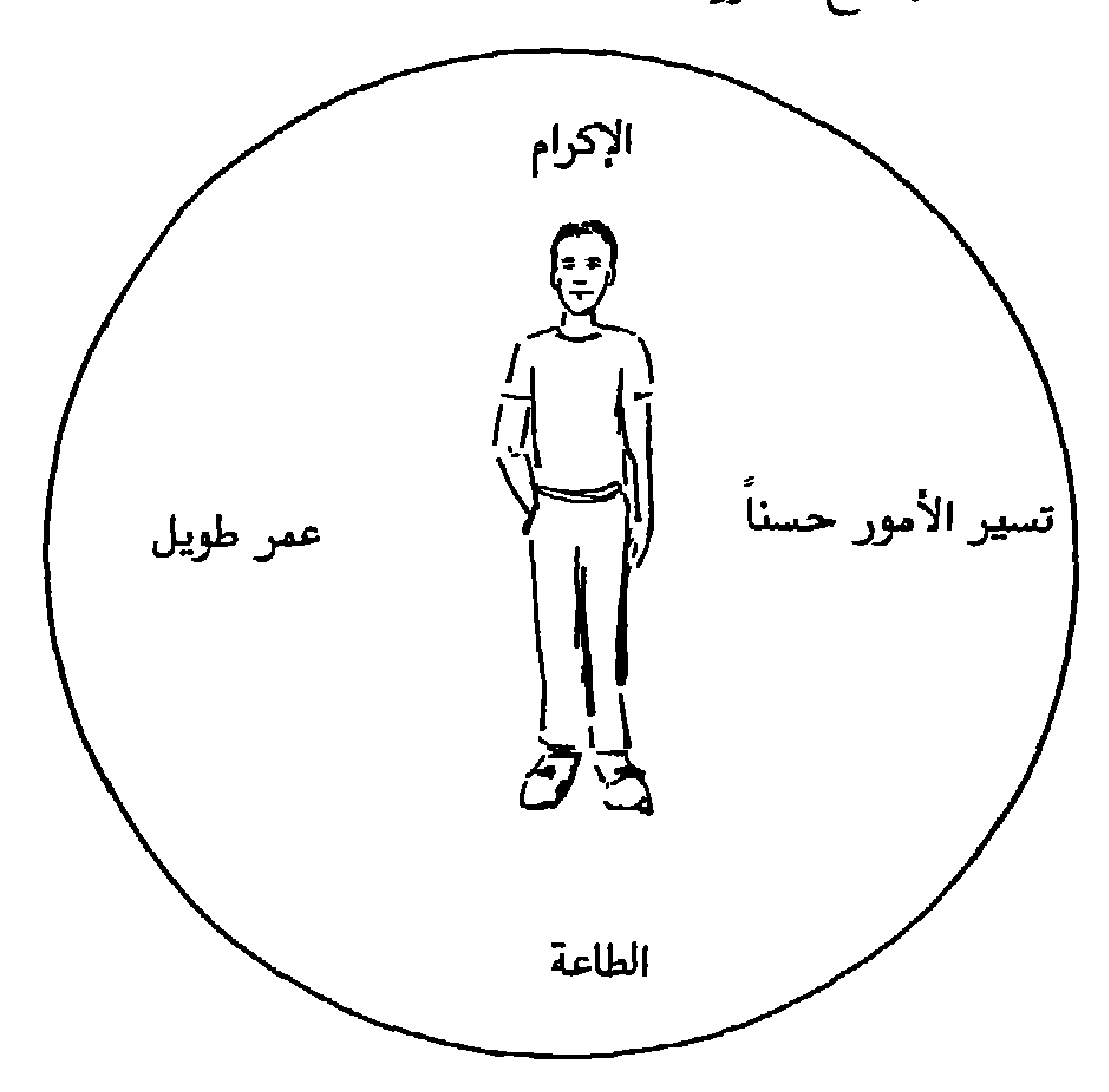
دائرة البركة

في (أفسس ٦: ١-٣)، رسم لنا الله دائرة من بركات عظيمة. يحيا الأطفال في دائرة من الخضوع لسلطان الأبوة. يعني الخضوع للوالدين الإكرام والطاعة. في باطن هذه الدائرة توجد أشياء ستمضي حسناً وسيتمتعون بها طوال حياتهم.

تمضي الأشياء حسناً:

إنه أمر إلزامي أن يتعلم الأطفال الإكرام والطاعة. ستمضي الأمور حسناً معهم. إن طاعتهم ليست مضمونة حتى أنك ستُطاع لأجل ذاتك. يجب أن تكون مُطاعاً لأجل

نواتهم! إنهم هم المستفيدون مباشرة من هذا إكرام وطاعة الوالدين. إن الطفل غير المطيع قد تحرك خارج مكان عهد البركة. لذا، يجب على الأب أن يستعيد الطفل سريعاً، يُعيده للعلاقة المناسبة مع الله ووالديه.



صورة ٧: دائرة الأمان

وبينما يعود الطفل إلى دارة البركة، فإن الأشياء ستعمل حسناً لأجله. وسيتمتع بطول العمر.

الأمان أكثر من الخطر:

إن دائرة الخضوع لسلطان الأبوة هو مكان الأمان. أن تكون خارج هذه الدائرة ضمنياً، فهذا مكان الخطر. إن طفلك في خطر إذا كان ثائراً وغير مطيع. وهكذا، يجب أن تتحرك بسرعة لكي ما ترده ثانية إلى دائرة الحماية والأمان.

وظيفة الإنقاذ:

إن وظيفة العصا والتواصل هي الإنقاذ. يجب أن تُحرك طفلك من دائرة التمرد وعدم الطاعة إلى دائرة الأمان. لم يكن الطفل فقط غير مطيع لماما وبابا. إنه لم يطع الله. لقد جعل نفسه معرضاً للتربية والتقويم الذي حدده الله للأطفال غير المطيعين. إن وظيفة التربية والتأديب هي إعادته لدائرة الأمان والحماية.

لقد رسمت هذه الدائرة لأطفالي عدة مرات، متوسلاً إليهم أن يرغبوا في الخضوع للسلطة، وموضحاً أن الأمر لم يكن تنفيساً لغضب بابا، وإنما بالأحرى، كان بابا في مهمة حماية. لقد سألتهم، "كيف يمكن أن أراكم في الهلاك ولا أطلب حمايتكم؟"

تعريف الإكرام

يعني إكرام وإجلال الوالدين أن تعاملهم باحترام وتبجيل بسبب موضع سلطانهم. فإن كان الطفل سيكرم أبويه، فسيكون هذا نتيجة لشيئين: ١) تدريب الوالدين له على هذا. ٢) يجب أن يكون الأب والأم مكرمين في سلوكه.

إنه ليس أمراً سهلاً أن تدرب الأطفال أن يكرموا والديهم. إحدى الطرق الواضحة لإظهار الإكرام هي طريقة حديث الأطفال للوالدين. لا يجب أن يتحدث الأطفال لهما بلغة الأوامر. أو كما لو كانوا يتحدثون إلى الند. يجب أن يتعلموا أن يعبروا عن أفكارهم بطريقة تظهر احتراماً لائقاً.

يمكن أن يحدث هذا بصورة حنونة من خلال كلمات مثل هذه: "آسف، عزيزي، ولكن لا يمكنك أن تتحدث إلي بهذه الطريقة. لقد جعلني الرب والدتك وقد قال إنك يجب أن تعاملني بإكرام. والآن، دعنا نرى إن كانت هناك طريقة أكثر احتراماً تُعبر بها عما ترغب في أن تقوله؟"

أو، "عزيـزي، أنـا لسـت واحـداً مـن أصـدقائك. قـد تتحدث مع أصدقائك بصورة وقحة، ولكنك لا يجب أن تتحدث معي بهذه الطريقة. والآن، ماذا كنت تقول؟".

أو. "عزيزي، لا يجب أن تعطي أوامر. يمكنك أن تطلب طلبات، ولكنك لا تعطي الأوامر. لأن الله أعطاني سلطاناً عليك"

لا تنـتظر حـتى يصـل أولادك إلى سن المراهقة لكي ما تتمم هذا التدريب. إذا فعلت هـذا، ستعاني مـن الإهانـة بسبب عدم احترامهم. تعامل مع هذا في سنواتهم الأولى. إن الأطفال الذين يحترمون والديهم، قد نشأوا هكذا عندما كانوا في سن سنة، أو ٢، أو ٣، أو ٤، أو ٥، وليس في سن ١٣، أو ١٤، أو ١٥، أو ١٦ (إن وجدت نفسك تواجه طفلاً مـراهقاً، لا يحترمـك، ضـع هـذه الأفكـار في ذهنك، وتحدث معهم عن كيف يمكن أن تربيهم).

لقد لاحظت المناقشة التالية:

الأب: عزيزي، أريدك أن تجلس الآن.

الطفل: (مع تكشيرة وقحة) لماذا؟

الأب: أعتقد أنك يجب أن تهدأ قليلاً.

الطفل: (مع نفس التكشيرة، وقليل من السخرية) لماذا؟

الأب: الطفل لأن .....

الطفل: لماذا؟

الأب: لأن .....

الطفل: لماذا؟

الأب: لأن .....

الطفل: لماذا؟

بعد عدة دقائق، اتجه والد الطفل نحوي موضحاً: "أحياناً لا أستطيع أن أحمله إلى الجدية"

كـان هـذا الصبي جـاداً. فهـو يعـرف أن والـده يحتاج التعاون معه. لم يكن ينوي الخضوع له. لا يمكن أن تكون الأمور أكثر جدية من هذا.

إن الاب المُتسـم بـالاحترام تجاه أبنائه ويعلمهم بمهابة واحترام سيكون محترماً من أولاده. لا يجـب أن تصـرخ في أطفـالك. ولا تصـنع مـنهم عبيداً لك. لا يمكن أن يكون شـعورهم بالمعانـاة بسبب الإهانات الصادرة منك جزءاً من الخضوع للسلطة. عندما يفشل إنسـان في أن يكـون محترمـاً أو لطيفـاً، أو إن كـان يخطئ في حق الآخرين، يجب أن يطلب الغفران. هناك مبدأ زرع وحصاد. ما تزرعه ستحصده. إنها حقيقة في رعاية الطفل كما هي حقيقة في أي أمر آخر.

تعريف الطاعة

إن الطاعـة أمـر غـير دارج في مجتمعـنا. مـن الصعب أن تجد فصولاً تعلم تدريبات خضوع! الطاعة هي رغبة في الخضوع لشخص له سلطان على آخرين. إن هذا يعني أكثر من مجرد أن يفعل الطفل ما تقوله. إنه يعني أن يفعل ما تقوله له:

بدون تحدي،

بدون اعتذار،

بدون تأجيل

عـادة، يعني الخضوع فعل ما لا يرغب شخص في القيام به، على الأقل ما لا يريد أن يقوم به في هذه اللحظة.

إن أيقظت أطفالك وأخبرتهم أنك ستأخذهم إلى منتزه رائع هذا اليوم، لن ترى تعاونهم على أنه خضوع. فإنهم يفعلون ما يرغبون. قد يتم هذا كاقتراح من والدهم، ولكنه ليس خضوعاً، لأنه أمر يرغبون في القيام به. ما أعنيه هو: الخضوع للسلطة يعني أن طفلك سيكون عليه القيام بأشياء لا يرغب في القيام بها.

إنك حتماً تدرب أطفالك على الطاعة. قد تدربهم على الطاعة فقط بعد أن تصرخ فيهم، وتناشدهم، أو تهددهم. وقد تدربهم على الطاعة فقط عندما يرغبون في هذا. وقد لا تدربهم على الطاعة على الإطلاق. حتى هذا الشكل هو أحد أشكال التدريب على الطاعة.

عندما تُقابل توجيهاتك بحديث عن لماذا ما سألته يعتبر غير عادل، فإن أطفالك لن يطيعوك. عندما تواجه باعتذارات أو تفسيرات، فإنهم لن يطيعوك. عندما يرفضون الاستجابة في الحال. فإنهم لن يطيعوا. يعني الخضوع للسلطة أنهم يطيعون بلا تأجيل، أو اعتذار، أو تحدي.

من السهل أن تفكر بغموض عن الطاعة. عندما تقول لطفلك: "عزيزي، أريدك أن تذهب لسريرك الآن". تكون هناك استجابة واحدة مناسبة، ليست هي: "سأذهب بعد أن أنتهي من تلوين هذه الصفحة"، وليست هي: "لماذا يجب أن أذهب للسرير مبكراً؟" وليست هي بالطبع تجاهلك تماماً.

هناك إجابة مطيعة واحدة فقط. وهي الذهاب للسرير بدون تأجيل. إذا قبلت أية استجابة أخرى، فأنت تدرب أطفالك على عدم الطاعة.

تذكـر أنـه لكـي تسير الأمور حسناً مع أطفالك ولكي ما يستمتعوا بعمر طويل، فإنه يجب أن يطيعوا ويكرموا الوالدين.

الدعوة للتماسك

يجـب أن يُعـد الوالـدان الجـادان للسباحة ضد التيار. لقد فقد مجتمعنا كل أشكال الخضـوع للسـلطة. يجـب أن تتمسـاك. يجب أن تدرب أطفالك على الطاعة من خلال التأديب الواعي والتوجيه الثمين. يجب أن تكون القواعد بلا تغيير في كل يوم.

إن كـان يجب عليهم أن يطيعوا، يجب عليك أن تتحدى عدم الطاعة وتصبر حتى يتعلموا دروس الخضوع. لا يأتي الانتصار في غفلة من القلب. نادراً ما تشاهد إصراراً قوياً مثل أن تجد رضيعاً قد قرر أن لا يطيع.

مـن الضروري أن يكون هناك توجيهات واضحة وتعزيز دقيق. لا تسمح لأطفالك أن لا يطيعـوا بـدون الـتعامل مـع عصيانهم. لـماذا لا يطيعـون؟ إنهم يتحركون خارج دائرة بـركات الله نحـو هـوة الهـلاك. فـإذا كـنت تـدرك مخافـة الرب، لن تسمح لطفلك أن يتجاهل شريعة الله دون أن تتدخل. إن تدخلك يحوله ثانية نحو دائرة البركة.

يجـادل بعـض الآباء قائلين: "إنه مجد أن نتجاوز عن الإهانة"، هذا تبرير للسماح بـبعض الـتمرد وعـدم الطاعـة. إنهـم لا يفهمـون القضية. ليست طاعة الآباء قضية طفل ووالـده. إن كـانت هكـذا، فـالأب يسـتطيع أن يخـتار متى يكون مُطاعاً. ليست الطاعة ببسـاطة قضـية بين الأب والطفل. إنها قضية بين الطفل والله حيث الأب هو وكيل الله في جـذب الطفـل مـرة ثانية إلى داخل دائرة البركة. ليس مجداً أن تغفل إهانات في هذه الجزئية.

بمجرد أن يتعلم الأطفال درس الخضوع، فإنهم يتعلمونه لمدى الحياة! وكما كتبت،

فإن أطفالي في المدارس الثانوية والجامعة، ولم ندخل في جدال حول قضية الخضوع لسنوات. فإن الله أمين في وعوده.

عملية الاحتكام

بمجرد أن يدرك أطفالك أنهم خليقة تحت سلطان، وأنه لا يمكنهم دائماً فعل ما يرغبون فيه، فأنت قد بدأت تعلمهم كيف يحتكمون لذوي السلطة في حياتهم.

أنت لا تستطيع قبول رفض الطاعة. لا تستطيع قبول الطاعة المرهونة بكون أطفالك مقتنعين بأنك على صواب أو إن كانوا خاطئين. ليس مطلوباً أن تقنعهم لمجرد ملائمة توجيهاتك. لابد أن تُثبت هذه القضايا في مكانها. إنهم غير صالحين للتفاوض.

ولكنك تستطيع، على أية حال، أن تعلمهم أن يحتكموا للسلطة. إنهم ليسوا ماكينات. فلديهم الأفكار والمعتقدات. يرينا الأصحاح الأول من سفر دانيال كيف يمكن أن نحتكم للسلطات. من المهم جداً تعليم أطفالك كيف يحتكمون للسلطة بصورة محترمة.

إن عملية الاحتكام هي صمام أمان لمتطلبات الطاعة كتابياً. إنه اختبار أمان في اتجاهين: ١) إنه اختبار أمام أهوائك من جهة. ربما تكون قد تحدثت سريعاً بدون تفكير دقيق. يقدم الاحتكام سياق حديث يُبطل اتجاه الحديث المتقلقل أو غير المناسب. ٢) إنه صمام أمان لأطفالك، فهم يعرفون أنهم لديهم الوصية بالاحتكام نحو التوجيه. إنهم يعرفون أن الوالدين سيعيدان النظر بأمانة ويلغون التوجيه إن كان هذا في صالحهم سواء كأفراد أو كأسرة. إن هذا يحفظ الأطفال من الشعور بأنهم "لا يمكنهم محاربة مدينة". عملية الاحتكام صمان أمام جيد "بعد الوصية".

هناك صمام أمان مهم "قبل الوصية" للآباء. يزن الأب الحكيم إن كان التوجيه الذي أعطاه مهماً ومناسباً أم لا.

علـى سـبيل المـثال، تخيـل طفـلك يقرأ في السرير. إنه وقت إطفاء الأنوار. تستطيع ببساطة أن تطفئ النور. وتستطيع أن تخبره بأن يطفئ هو الأنوار. في كلتا الطريقتين، فإن واجـب الطفـل هـو الطاعة. أو يمكنك أن تقول: "كم صفحة بقيت على الانتهاء من هذا الفصل؟ صفحة ونصف فقط؟ حسناً، تستطيع أن تنتهي منهم ثم تطفئ الأنوار". كأب حكيم، يجب أن تمرن حساسيتك تجاه احتياجات طفلك ورغباته وأنت تقدم التوجيه. إن اشتياقك الحقيقي هو تقليد السلطان الصالح الذي هو حقاً حنان.

نموذج للاحتكام:

ها هي بعض الإرشادات المهمة لتستمر في عملية الاحتكام بصورة كتابية:

١) تبدأ بالطاعة فوراً، وليس بعد الاحتكام.

٢) يجب أن تستعد للطاعة بأي طريقة.

٣) يجب أن تحتكم بصورة محترمة.

٤) يجب أن تقبل نتيجة الاحتكام بروح طيبة.

تصوير للاحتكام:

تقول الأم: "إنه وقت الذهاب للسرير" ويبدأ الطفل في الذهاب للسرير، وبينما هو في طـريقه يسـأل: "هـل يمكـن أن أنـتهي من تلوين الصورة أولاً؟" قد تجيب الأم: "نعم، يمكنك هذا" أو قد تقول: "لا، عزيزي، لقد سهرت لوقت متأخر الليلة الماضية، وتحتاج للـنوم". يجـب عـلى الطفـل أن يُعـد لطاعـة لكلتا الإجابتين بلا تحدي، أو اعتذار، أو تأجيل.

يجـب أن نعتاد أن نقول "نعم" لطلب إلا إذا كان هناك سبب واضح لقول "لا". من

السهل أن نصنع اختيارات ذات سلطان خارجة ببساطة من اقتناعاتنا.

إن فـائدة عمـلية الاحتكام هذه واضحة. فالطفل له ملجأ، عليه أن يتعلم أن يخضع للسـلطة غـير المسـتبدة. ويتعلم أن يتحدث مع ولي أمره بصورة محترمة. يمكن أن يغير الأب فكره إذا دار حديث يتسم بالاحترام، ولكن ليس في وسط ثورة وتمرد.

أهمية المثال

مـن الصعب أن تُعلم الخضوع للسلطة في مجتمع توجد به نماذج قليلة يُحتذى بها. يجـب أن يقـدم الكـبار نمـاذج للخضـوع للسـلطة. تخضع الزوجة للزوج كرأس للمنزل. ويخضـع الوالـد لرئيسـه. يجـب أن يكـون هـناك موقف عام في حياة الشخص وسلوكه بصورة مناسبة له.

لقـد غـيرت حـركات التحرير في النصف الثاني من القرن العشرين كل هذه المفاهيم. وحيث أن اهتمامات المجتمع في المساواة وكرامة الأفراد ليست مبنية على أساس الكتاب المقدس، لذا فقدنا فكرة احترام الشخص لأجل مكانته وسلطانه. لذلك، فإن أطفالنا ينمون في مجتمع بلا نماذج مستعدة للخضوع للسلطة.

يجـب أن تقدم أمثلة للخضوع لأطفالك. يمكن أن يقوم الآباء بهذه الأشياء من خلال سـلطان كـتابي على زوجاتهم، والزوجات من خلال الخضوع الكتابي لأزواجهم. يمكن ممارسـته أيضـاً مـن خلال خضوع كتابي لأصحاب العمل، كما يمكن إظهاره من خلال العلاقـة مـع المجـتمع وبالكنيسـة. تـأكد مـن أن تفاعلك مع السلطات المتنوعة هو مثال للخضوع.

تعـلم الطريقة التي تستجيب بها لسلطاتك في المجتمع، ووظيفتك، وكنيستك، تُعلم أطفالك كيف يكونون تحت سلطة. إن اتجاهك الذي تظهره إما يُعلم خضوعاً كتابياً، أو

لا اعتمادية وثورة غير كتابية.

رعاية أطفالك باتجاهات صحيحة:

الاهتمام الأول لهذا الكتاب هو توجه أطفالك نحو الله. رعاية هذه العلاقة هي واحدة من أهم وظائف الأبوة.

يقدم لك تعليم أطفالك الخضوع للسلطات فرصاً رائعة لرعاية هذه العلاقة مع الله. يوصي الله الأطفال أن يطيعوا الوالدين. هذا هو التوجه نحو الله. يجب أن يعرف أطفالك أن الحياة في عالم الله كمخلوقاته تعني الخضوع لهذا الإله الصالح والحكيم في كل شيء. الدعوة للخضوع لماما وبابا هو دعوة للثقة في الله عوضاً عن الثقة في "نفسي". تخبر الذات طفلك أن لا يخضع. فتقول "ذاتي" ... "افعل ما أريد، عندما أريد، وكيفما أريد".

أية فرصة رائعة لكي ما تتحدث مع أطفالك عن تمرد قلوبهم! اظهر لهم كيف أنهم منجذبون نحو عدم الطاعة ويبتعدون بدون منطق عن ما هو صالح لهم. واجههم بضعفاتهم وعدم قدرتهم على طاعة الله بدون عمل الله داخلهم. ماذا يحدث للطفل الذي أصبح مقتنعاً أن الطاعة صالحة له؟ هل ستذوب كل مشاكله مع الطاعة؟ كلا، ليس أكثر مما يحدث لك عندما تعرف ما يجب أن تقوم به. هذا، أيضاً، يأخذه نحو الله. يجب أن يتعلم أن يذهب لله للمعونة والقوة للطاعة.

تبدو بشارة الإنجيل كما لو كان لا علاقة لها بالموضوع بالنسبة للطفل المعتد بذاته، وغير المطالب بعمل أي شيء لا يرغب فيه. يبدو الإنجيل لا علاقة له بالطفل المختال، الذي ظل يسمع طوال حياته كم هو رائع. ولكن البشارة لها صلة وثيقة بالطفل المقتنع بأن الله دعاه ليقوم بشيء أخلاقي لقلبه الخاطئ، فيخضع بفرح ورغبة، لسلطان الآخرين! إن قوة الإنجيل فقط هي التي يمكن أن تُعطي قلباً راغباً وقوة للطاعة.

فوائد تعلم التواجد تحت السلطة

لقد وعد الله أن الأطفال الذين يطيعون ويكرمون ذوي السلطة ستسير الأمور حسناً معهم وسيتمتعون بحياة طويلة على الأرض. ومن الواضح أن الطفل الذي يخضع لسلطان والديه سيُبارك بغنى. لقد تألمت كثيراً عندما رأيت أطفالاً لم يتعلموا أبداً هذه القضايا اصطدموا بالحياة بسبب تمردهم، وسلوكهم غير الخاضع. وبالعكس، شعرت بالابتهاج عندما رأيت آباء جعلوا هذه القضايا. قضايا خاصة بهم وربوا أولادهم على مراعاة الاحترام والخضوع للسلطة ... والنتيجة هي أطفال أمورهم تسير حسناً، يحترمون معلميهم، يحترمون أقرانهم في المجتمع المسيحي. الخضوع الحقيقي للسلطة الصالحة ينتج ثماراً صالحة.

الطفل الذي تدرب على الطاعة الكتابية قادر بصورة أفضل على إدراك بشارة الإنجيل وفهمها. قوة ونعمة بشارة الإنجيل مفهومة بعمق شديد لديه، إنها ليست مفهومة من هؤلاء الذين لا يواجهون واجباتهم الكتابية، وإنما مفهومة ممن يقومون بها. بمعرفة مقاومتنا الأصلية للسلطة، وبمعرفة عدم قدرتنا على فعل ما أوصانا به الله، نتواجه باحتياجنا لنعمة وقوة يسوع المسيح. إن صلاة بولس الرسول أن يعمل الله بروحه في إنساننا الداخلي حتى نتأيد بالقوة. إنها فقط القوة التي يمكن أن تأتي بأطفالنا ثانية إلى الدائرة حيث حماية الله وبركاته.

ما هو الدرس الثاني في التأديب الكتابي؟ مع أن الطفل لن يكون قادراً على تقدير أهمية الخضوع، إلا أن تدريبه ليفعل ما يجب، مهما كانت مشاعره، يُعد إياه لكي يكون شخصاً يحيا بحسب المبادئ وليس بحسب المزاج والغريزة. إلا أنه يتعلم أنه لا يمكن أن يثق بنفسه ليحكم على الصواب والخطأ. يجب أن يكون لديه نقطة مرجعية خارج نفسه، فهو يتعلم أن السلوك له جوانبه الأخلاقية ونتائجه الحتمية.

اربح الوقت - وافعلها صحيحاً

في أحـد فصـول الشـتاء، حيـث يقل العمل، وبسبب عملي كمتعاقد، لم يكن هناك مكـان أسـتطيع أن أعمـل فيه سوى العمل في البدروم. كانت المشكلة في "البدروم" هو أن المـنزل كـان قـد تم بـناؤه بالفعل. فقضيت الشتاء مع حوائط وأراضي ممتلئة بالفتحات، تنضـح بالماء. في الواقع لقد بنينا البدروم تحت منزل متواجد ومبني بالفعل. كانت توجد بحـيرة ثمينـة أمـام ممتلكاتـنا، لـذا فقد كان الاسـتثمار كذلك ثميناً. ولكنني أستطيع أن أشهد أنه كان من الأفضل أن نضع الأساس أولاً قبل بنيان المنزل.

إن قضـية الخضـوع للسلطة، هي قضية وضع أساس لعلاقة الأب بابنه داخلياً. من الممكن وضع هذا الأساس بعد البدء في بنيان البيت. ولكنه سيكون، على أية حال، أكثر صعوبة وأكثر تكلفة.

إن كـان أطفـالك صـغاراً، فـابدأ من البداية. لا تتركهم يطورون عادات عدم الطاعة. تأكد من أنهم تعلموا الطاعة بدون تحدي، وبدون اعتذار، وبدون تأجيل.

لا تضـيع وقـتك في أن تحـاول تغطيـة الخضوع بالسكر لكي ما يكون جذاباً ولذيذاً. عندما تفهم مغزى الطاعة، فإنك لن تراها خضوعاً، هي اتفاق. يعني الخضوع حتماً عمل أشياء لا ترغب فيها. إنه ليس سهلاً على الإطلاق أو بلا ألم. يجب أن يؤسس الخضوع الكتابي الحقيقي على معرفة المسيح ونعمته. لا تحاول أن تجعله شيئاً لا يتطلب نعمة. لا تقلل من شأن الخضوع للسلطة الذي يناسب الإنسان الطبيعي ومؤهلاته الطبيعية.

فـيما بعـد سـننظر عـلى عمـليات التدريب المستخدمة مع الأطفال في هذه الفترة من الرضاعة إلى الطفولة.

أسئلة تطبيقية للفصل الرابع عشر:

(١) لماذا تكون الطاعة أفضل شيء لأولادك؟

(٢) ما هي الوعود التي أعطاها الله لهؤلاء الذين يكرمون آباءهم ويطيعونهم؟

(٣) ما هي الإرشادات التي يجب أن نؤسسها لكي ما نحقق السلطان الكتابي؟

(٤) كيف تتحدث مع أطفالك اللذين في سن المدرسة لكي ما تنتقل بمنزلك من منزل ممتلئ بالمشاكل إلى منزل مرتب ومنضبط؟

(٥) لماذا يكون من المهم إعطاء مكان للاحتكام في عملية الأبوة؟

(٦) ما هي المخاطر التي يجب أن تتجنبها في عملية الاحتكام؟

(٧) هل أنت قدوة صالحة في الخضوع للسلطة؟

(٨) ما هي نماذج عدم الطاعة التي تغاضيت عنها في منزلك؟

(٩) ما هي نماذج عدم الاحترام التي تغاضيت عنها في منزلك؟

(١٠) ما هي المناطق التي تحتاج للتوضيح لتحقيق السلطة في منزلك؟

(١١) ما هي الآثار السلبية لفشلك في تأسيس سلطان كتابي؟

(١٢) ما هي الوعود الكتابية المشجعة لك لتأسيس سلطان كتابي في منزلك؟

(١٣) هل يمكنك أن تنسخ وتشرح الصورة رقم ٧ (صفحة ١٦٤)؟



الفصل الخامس عشر

من الرضاعة إلى الطفولة:
العمليات التدريبية

لقد اعتدنا أن نلاحظ نمطاً دورياً لسلوكيات أطفالنا. كل بضعة أشهر، قد يصبحون صعبي المراس. لا يكونون في تمرد فعلي، ولكن طاعتهم تكون بطيئة. يكون هناك تأخر مستمر بين استقبال توجيهاتنا والاستجابة لها.

ضاعفنا مجهوداتنا. وشددنا في إعطائنا التوجيهات. وأصبحنا مستمرين أكثر في تأديبنا. أبطلنا التذكرة، والتوسل، والصفع. عدنا للبدايات – الحديث مرة وتوقع الطاعة – مؤدبين إياهم في حالة تأخر طاعتهم.

وفي ليلة، كان منزلنا قد عاد فيه السلام ثانية. فالأطفال سعداء طائعون، ونحن قد أصبحنا نتمتع بالصبر بصورة أفضل. وشعرنا بالنجاح كأب وأم.

ويوماً ما أدركنا الأمر! لقد صنعنا الدوائر. عندما تسير الأمور حسناً، نصبح متهاونين. وأخيراً، كانت الانتكاسة في سلوكيات أطفالنا التي أصبحت واضحة ومؤلمة. لقد أردنا الاستجابة بتجديد التشجيع والجهد.

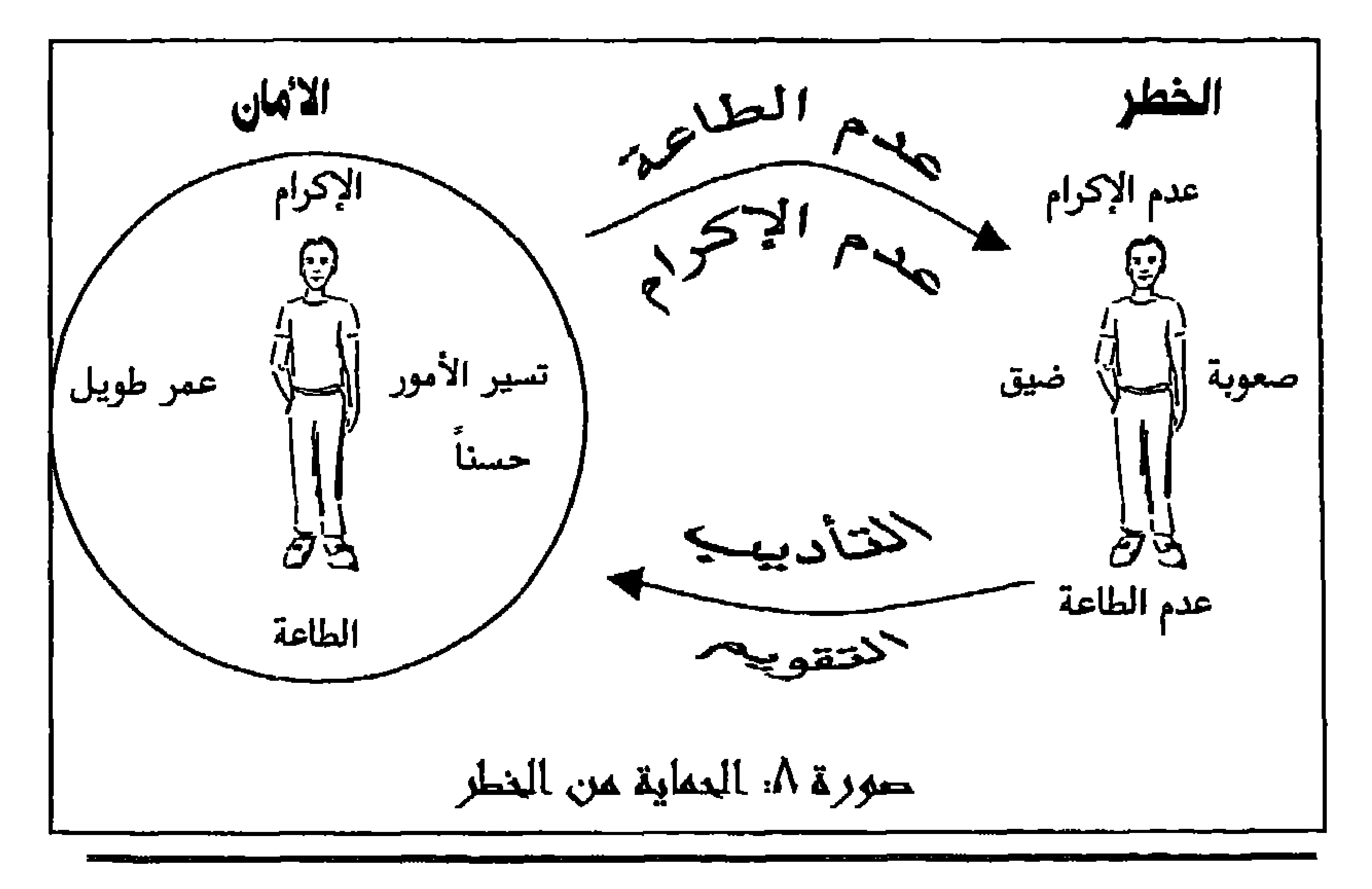
لكي ما تُعلم أطفالك أن يكونوا تحت السلطان، يجب أن تكون مستعداً لتأديب عدم

الطاعة. الثبات على المبدأ مطلوب إذا كان أطفالك يتعلمون أن الله يطلب الطاعة.

يرسل عدم الطاعة المرتبط بالفشل في التأديب رسائل مختلطة. ففي جانب، أنت تقول يجب الطاعة. أنت تخبرهم أنه لكي تكون في صورة حسنة سواء مؤقتاً أو أبدياً، فإن هذا مرتبط بالطاعة. وفي الجانب الآخر، أنت تقبل عدم الطاعة وتسامح السلوك الذي يضعهم في موضع الخطر.

استعد معي الرسم البياني من الفصل السابق. في (أفسس ٦: ١-٣) تُرجع طرق الله دائرة الخضوع إلى السلطان الأبوي.

يعني الخضوع للأب والأم الإكرام والطاعة. في داخل الدائرة توجد بركة وحياة مديدة. ولكن بمجرد أن يخطو خارج دائرة الأمان هذه، فهو يحتاج للإنقاذ من خطر الاستقلالية البعيدة عن سلطانك. ينوب سلطانك عن سلطان الله (تذكر وظيفتك كوكيل لله). فصيلة الإنقاذ هي ماما وبابا، وهم مُسلحون بالأسلحة التي أعطاها لنا الله، وهي العصا والتواصل.



صورة ٨: الحماية من الخطر

في السنوات الأولى من مرحلة الطفولة، تكون العصا في الدرجة الأولى. إنها في الدرجة الأولى لأن الله أوصى بها. تذكر أن الله يقول: "*الجهالة مرتبطة بقلب الولد. عصا التأديب تبعدها عنه*" (أمثال ٢٢: ١٥).

لا يعطي الطفل الصغير وزناً مناسباً للكلمات بمفردها. يصبح انتباهه وتركيزه أكثر فاعلية عندما تكون الكلمات مزودة بصفع مناسب.

"متى" يكون الصفع

متى يحتاج الطفل للصفع؟ عندما تكون قد أعطيته توجيهاً سمعه ولديه القدرة على فهمه، ولكنه لم يطع بدون التحدي، أو بدون الاعتذار، أو بدون التأجيل، فهو يحتاج هنا إلى الصفع. فإذا فشلت في صفعه، فأنت فشلت في أن تأخذ كلمة الله بجدية. كأنك تقول أنك لا تؤمن بما يعلمه الكتاب عن أهمية هذه القضايا!!! كأنك تقول إنك لا تحب طفلك بكفاية لكي ما تتمم الأشياء المؤلمة التي دعاك الله إليها.

"متى" الخاصة بالصفع هي أمر بسيط لدرجة أن الآباء يفتقدونها. إن لم يطع طفلك، فهو يحتاج للصفع. فإن فشل في الاستجابة لتوجيهك، فإنه قد تحرك خارج دائرة الأمان. إن كانت الطاعة أمراً حتمياً تماماً، فأنت لا تستطيع أن تتسامح في السلوك. الفشل في الاستمرار هو تقلب. يعني التناقض أن التقويم يدور حول اقتناعك أكثر مما هو حول المبدأ الكتابي المُستهدف. يجب أن تُعلم أطفالك أن الطاعة ضرورية وهم صغار، إن القضية ليست مجموعة أسئلة.

إذا قبلت التحدي، أو التأجيل، أو الاعتذار، فأنت لا تدرب على الخضوع. بل عوضاً عن هذا تدرب أطفالك على الحافة المزقة من عدم الطاعة.

يجب أن تكون حذراً. فلا تسأل إن كانوا مستعدين للصفع. إن فعلت هذا، فأنت

تدريبهم على انتظار التحذير قبل الطاعة. يجب أن يدرك أطفالك أنك عندما تتكلم لأول مرة، فأنت قد تكلمت لآخر مرة.

أحياناً، يكون تحدي سلطان الله (المتمم من خلالك كوكيل الله) ليس فقط مجرد فشل الطاعة. أحياناً يكون هذا شفاهياً. ربما يقول الطفل "لا" لطلبك. وقد يسأل "لماذا؟" ربما تستقبل أنت نظرات الاشمئزاز والاحتقار. مهما كانت الأشكال، يجب أن يقف التمرد. طفلك غير المطيع قد تحرك خارج سياق البركة، ألا وهو الخضوع للسلطان الأبوي.

"كيف" تصفع

كيف تصفع ابنك؟ هناك مشاكل كثيرة يجب أن تتجنبها. يجب أن تتجنب الاستجابة في غضب. يجب أن تتجنب التعامل مع طفلك بدون الاحترام المناسب لشخصه وكرامته. يجب أن تُلطف من الصلابة الحازمة بالحنو واللطف. يجب أن تحفظ الصفعة مركزة على قضية القلب.

العمليات التالية يمكن أن تقدم التأديب الذي يحفظ كرامة الطفل:

(١) خذ طفلك لمكان منفرد، حيث يمكنك أن تتحدث معه بخصوصية. التأديب لا يعني سلب كرامة الطفل. لا يجب أن تؤدبه أمام أطفال آخرين. ليس الهدف أن يتضع الطفل. يجب أن تظهر احتراماً له بأن تعامله في خصوصية.

(٢) اخبره بما فعله أو فشل في أن يفعله. لابد أن يرتبط التأديب البدني بتوضيح سهل وخاص. بينما إدراك الطفل التصوري ينمو، قد تحتاج في بعض الأحيان لتوجيهه لموضوعات عامة وسلوكية أكثر، ولكن هذا ليس مع الأطفال في سن ما قبل المدرسة. يجب أن يكون صفعك دائماً قضية ذات هدف. وموجهاً لسلوك معين أو موقف. لا يكون

الصفع أبداً لأجل "مقاصد عامة" أو لأنك "ترغب فيه".

(٣) أكد على إقرار طفلك بما فعل. سيأخذ هذا دائماً بعض الوقت. أحياناً يرغب الطفل في تجنب الصفع لذا يكذب بخصوص ما فعل.

يمكن أن تسير المناقشة كالتالي:

الأب: لقد أخبرك بابا أنك يجب أن تلتقط لعبك، ألم يفعل هذا؟

الطفل: (يهز رأسه) نعم.

الأب: أنت لم تطعني، أليس كذلك؟

الطفل: (ناظراً إلى أسفل) بلا.

الأب: أنت تعرف ماذا يجب أن يفعله بابا. يجب أن يصفعك ..

لقد أقر الطفل بما فعله. إن هذا يؤكد أنه عرف لما تم صفعه.

(٤) ذكره أن وظيفة الصفع ليست التنفيس عن إحباطك أو غضبك، وإنما لكي تسترده إلى حيث وعود الله المباركة. اشرح اهتمامك بخروجه من دائرة الخضوع المناسب لسلطانك. يجب أن يعكس الصفع طاعتك لتوجيهات لله واهتمامك بصالح طفلك. ليس لديك الحق في أن تضرب ابنك تحت أي ظروف باستثناء التأديب الكتابي.

(٥) اخبر الطفل بعدد مرات الصفع التي سيتلقاها. (إنها إشارة هامة على أنك تضبط نفسك).

(٦) يجب أن تستعيد الموقف بمجرد الانتهاء من الضرب. خذ الطفل في حضنك عوضاً عن الاستلقاء على سرير أو كرسي. إن هذا يضع الضرب في سياقه في علاقتك البدنية. إنه لم يبتعد عنك لشيء آخر لكي ما يتم تأديبه.

(٧) بعـد أن تضربه ، خذ الطفل بين يديك ، واحضنه ، واخبره كم أنت تحبه. وكم يؤلمـك صـفعه وكـم تـرجو أن لا يكون هذا أمراً ضرورياً مرة أخرى. إن هذا يحفظ الصفع كدليل للرغبة في استرداد الحالة السليمة ، وليس الجزاء.

عند هذه النقطة يجب أن يتم الاسترداد بينك وبين طفلك. فإن غضب منك ، ورفض أن يستقبل مشاعرك ، فإن هناك شيئاً خاطئاً.

اختـبرك روحـك. هل تعاملت معه بقسوة؟ هل لم تتحكم في نفسك؟ هل أخطأت في حقـه في طـريقة تأديـبك؟ إن كـان هكـذا ، يجـب أن تعترف بخطيئتك وتطلب الغفران واستعادة الوضع.

اختـبر روحـه. هل كان غضبه انعكاساً لرفض تأديبك؟ أم أنه فقد صوابه منك؟ هل يحاول أن يعاقبك لما تفعله؟ إن كان هكذا ، إذاً فإن التأديب لم ينته بعد.

إننا نسير دائماً وراء إرشاد (عبرانيين ١٢ : ١١)

" ولكـن كـل تـأديب في الحاضـر لا يُرى أنه للفرح بل للحزن وأما أخيراً فيعطي الذين يتدربون به ثمر بر للسلام"

إن لم ينتج التأديب حصاد سلام وبر ، فإنه لم ينته بعد. في بعض المناسبات علينا أن نقول لأطفالنا : "عزيزي ، بابا قد صفعك ، لكنك ليس الولد اللطيف بكفاية. سنعود ثانية إلى مزيد من الصفع"

عمـلية الاسـترداد هـذه عظـيمة. فإن كانت القضية لم تكن غضبك الشخصي ، وإنما خروج الطفل خارج دائرة الأمان.

عندما تنتهي من الضرب يجب أن ينتهي الأمر. لا يوجد تخزين. أصبحت الجوهرة نظيفة. إنه وقت البداية بانتعاش. فإن عملية الاسترداد أكدت أنك تستطيع القيام بها.

(٨) صل معه. شجعه من خلال حقيقة أن المسيح قد أعطى نفسه لأجل الخطاة. وأن هناك غفراناً في المسيح. وأنه يمكن أن يعرف المسيح، يستطيع المسيح أن يزيح قلبه الحجري ويعطيه قلباً لحمياً. بل ويمكن للمسيح أن يعمل بروحه القدوس ليجعله يطيع الله، ويجعله قادراً على الطاعة في المستقبل.

تحتاج لرعاية أطفالك في طرق الله في كل الأوقات. ولكن، على أية حال، لا يوجد أوقات أخرى لتوضيح إعلانات بشارة الإنجيل أفضل من الوقت الذي تواجه فيه أطفالك باحتياجهم لنعمة المسيح وقوته من خلال التأديب. عندما يكون الشمع ليناً خلال التأديب، يكون هو الوقت لتوضيح مجد فداء المسيح.

في وسائل التأديب، أنت تستخدم كل من الطريقتين اللتين أعطاهما لك الله: العصا، والتواصل. عندما تتعامل مع أطفال صغار، يكون هناك تركيز كثيف بلا شك على الخبرة الملموسة التي في عملية الصفع. إن كلماتك سيكون لها ثقلها مع الطفل الصغير إن كانت مؤيدة بالضرب.

استرجع الفصل السابع: "التخلص من الوسائل غير الكتابية". أنت إما ستقوِّم وتؤدب أو أنك حتماً ستسقط في إحدى الوسائل التي رفضناها في الفصل السابع. بعض الآباء يعطون رشوة للطفل، أو يصنعون اتفاقات، ويستخدمون تعديل السلوك، جاعلين المناشدة العاطفية قوية ... الخ. لا يوجد آباء لا يتدربون. كل الآباء يتدربون بنفس الطريقة. المشكلة العظمى إن كان التدريب محدوداً.

"لماذا" الصفع؟

لأن الله أوصى به. بالإضافة إلى أن الضرب يتيح لك أن تتعامل مع قضايا القلب. تذكر، القلب يوجه السلوك. التأديب يوجه القلب. ولا يركز على السلوك فقط.

يمثل السلوك السيء الفشل في الطاعة، وهنا يكون وقت التقويم ولكن النقطة الأساسية في التقويم ليست السلوك. النقطة الرئيسية هي قلب الطفل المدعو للخضوع لسلطان الله. إن هدف التقويم ليس تعديل السلوك، وإنما هي الوصول بالطفل إلى خضوع القلب لإرادة الله بطريقة لطيفة منسجمة متضعة، وكذلك طاعة الوالدين. القلب هو ساحة المعركة. هناك حاجة للصفع لأنه طريقة الله لطرد الحماقة بعيداً عن قلب طفلك.

والآن، أنت تعرف أنه مازال هناك الكثير في هذا المجال. أين سيكون طفلك بعد ٣٠ سنة. من الآن لابد أن يجد من يتحدى قراراته لكي يفعل ما يريد وقتما يريد. أي نوع من الأزواج سيكون إن رفض الخضوع لقوانين الله؟ أي نوع من الموظفين سيكون إن لم يتعلم الخضوع للسلطات؟

أين سيكون أحفادك بعد ٥٩ سنة من الآن إن لم يُطرد من قلب طفلك الحماقة المتملكة عليه؟ كيف سيرى طفلك احتياجه لغفران المسيح ونعمته إن لم يتواجه أبداً مع التمرد الأخلاقي في طبيعته وعدم قدرته على طاعة الله من القلب؟

أسئلة تُطرح كثيراً

بينما أُعلم عن رعاية الرضع في أماكن كثيرة حول العالم، وجدت هذه الأسئلة كثيراً ما تطرح عليَّ:

متى يكون طفلي كبيراً بكفاية؟

عندما يكون طفلك كبر بكفاية تجعله يقاوم توجيهك، فإنه كبير بكفاية ليؤدب. عندما يقاومك، فإنه لا يطيع. وإن فشلت في الاستجابة، فإن هذه الاستجابات التمردية ستصبح مُحصنة. وكلما طالت فترة ابتعادك عن التأديب، زاد في عدم الطاعة بعناد.

يمكن أن يكون التمرد شيئاً بسيطاً مثل مصارعة الرضيع عند تغيير الحفاظات، أو

صلابة جسده عندما يريد أن يجلس في حضنك. عملية التأديب هي نفسها كما شرحتها سابقاً. ليس لديك أية طريقة أخرى لمعرفة إن كان طفلك كبيراً أو صغيراً لكي ما يفهم ما تقول. وإنما نحن نعلم جيداً أن الفهم يأتي قبل القدرة على التعبير.

سيكون الإغراء أن تنتظر أطفالك حتى يتحدثوا ويصبحوا قادرين على التعبير عن تمردهم قبل أن تتعامل معهم. عندما كان عمر طفلنا الأكبر حوالي ٨ أشهر، تواجهنا مع الأبوة مع أول طفل متحرك لنا. كان يزحف في كل مكان. كان لدينا رف كتب مكون من ألواح وطوب. خوفاً من أن يقع هذا الرف عليه، قالت له "مارجي" أن لا يدفع نفسه لأعلى حيث الرف. وبعد أن أبعدته عن الرف تركت الحجرة. وبينما كان تسترق النظر عليه، لاحظت أنه يتفحص الحجرة. ودون أن يراها، توجه راجعاً حيث الرف الممنوع. كان وقتها طفلاً صغيراً، غير قادر على السير أو الحديث، كان ينظر ليرى إن كانت الحافة واضحة لذا استطاع أن يتمرد. وبكل وضوح، كان كبيراً بكفاية لكي ما يؤدب.

ماذا لو قال ابني: "ولكنني لم أسمعك"؟

أنا لم أواجه أبداً صحة هذه العبارة، ولكنني علمت أطفالي أنها غير مقبولة. أحد أطفالي بدا أنه يعاني من بعض مشاكل في "السمع".

جلسنا مع هذا الطفل وتناقشنا معه: "أنت لديك مشاكل في السمع. أنا أتحدث لك الآن بنبرة صوت عادية للمناقشة. هل أنا قريب بكفاية وملاصق لك لكي ما تسمعني؟ أعتقد، لذلك، أنه من الأفضل أن تبدأ في تطوير مقدرتك على التقاط صوتي من بين الضوضاء الأخرى في عالمك. عندما تسمع صوتي، يجب أن تسترق السمع لي. من الآن فصاعداً، إن فشلت في طاعتي لأنك "لم تسمع" سأصفعك بسبب فشلك في سماع صوتي".

لم أصفعه سوى مرة واحدة على فشله في السماع. بعد ذلك انتهت مشكلة السمع.

إن اتبعت مشورتك، فإن كل ما سأفعله هو الصفع!

يـبدو دائمـاً للآبـاء أن مـثل هـذا الإتقان في الطاعة تطلب الكثير منهم ومن أطفالهم. الحقيقـة هي، أن الآباء وهم مستمرون في التأديب، سيجدون سريعاً أن الطفل يستجيب وضرورة التأديب تقل.

هـل مـن المعقـول أنـك تـتواجه مع عدم الطاعة كل اليوم لأنك تسامح؟ طالما أنك لا ترغب في طلب التدقيق في الطاعة فستجد استجابات سيئة لتوجيهاتك. الاستمرارية هي المفتاح.

هناك قضايا طويلة المدى في السباق. من المحتمل أن تتغلب على حاجز الطاعة قبل أن يذهب أطفالك للمدرسة. شعرت بالرثاء لآباء يقضون حياتهم في المباراة مع الطاعة، مع أن السلطان يمكن أن يُرسخ مبكراً في الطفولة.

قد تكون هناك أيام حيث لا يتم فيها أشياء كثيرة بسبب أهمية استمرارية التأديب. ولكـن، الأمانـة سنتتج حصاداً صالحاً. من الممكن أن نذهب وراء قضية السلطة، الطاعة الأساسية ليس لها أن تكون قضية منزلك إذا تعاملت معها في هذه السنوات المبكرة.

ماذا لو كنت غضوباً؟

يشـعر كـل أب بغيـظ أعمـى تجـاه الطفل سيء السلوك. إن هذه إشارة واضحة أنك لسـت مرتـبطاً بالتأديب الكتابي. عندما تكون في حالة غيظ، فأنت لا تتعامل مع قضايا الـتقويم الكـتابي. إن أجـندتك مكـتفية بإحساسك الشخصي بالعدل. إن لم تكن حذراً، فأنت تلوث عملية التأديب بغضبك غير المقدس.

إن كـنت غضوباً بشدة لتؤدب بصورة مناسبة، يجب أن توجه طفلك لأن يجلس في

مقعده أو يذهب لحجرته. ثم يجب أن تطلب وجه الرب. يجب أن تتوب عن غضبك. ويجب أن تظل أمام الله حتى تكون قادراً على التعامل مع طفلك بأمانة.

إن كنت، في ضعف طبيعتك البشرية تخطئ، فإن خطيئتك ستكون تجاه أطفالك. يجب أن تطلب الغفران. طلب الغفران ليس أن تقول: "آسف إنني غضبت هكذا عليك وصرخت" ... طلب الغفران هو أن تقول: "آسف، أخطأت في حقك، كنت غاضباً. فقدت أعصابي. لا يوجد تبرير لسلوك مثل هذا. من فضلك سامحني". عندما تعطي أسباباً لخطيئتك، فأنت لا تسأل الغفران، إنك ببساطة تبرر الخطية.

ماذا لو كنا خارج المنزل؟

أحياناً، لا يطيع الأطفال في أوقات غير ملائمة أو في أماكن غير ملائمة. في مجتمع لا يميز بين التأديب الكتابي وإيذاء الطفل، من عدم الحكمة أن نصفع الأطفال بصورة عامة. إن كان ممكناً أن تطلب مكاناً خاصاً لكي ما تعطيه التأديب الكتابي.

أحياناً، قد تكون مع أقارب لا يؤيدون التقويم الكتابي، ومن ثم يجب أن تستخدم الحكم الحذر. بعض الآباء الذين يصفعون أطفالهم قد قُبض عليهم لإيذاء الطفل بسبب أقارب غير موافقين على هذا الأسلوب. إن معرفتك بمعارفك ستتيح لك أن تحكم احتمالية مثل هذه الاستجابة.

من المهم أن تحتفظ بخصوصية تأديب أطفالك. فإن كنت في منزلاً آخر، تستطيع أن تسألهم لأجل مكان يمكنك أن تتحدث فيه مع طفلك على انفراد.

إن السلوك السيء لكونك وسط آخرين مع أطفالك هو أمر غير مريح. فقد تشعر أنك تحت ضغط اجتماعي عظيم. وقد تخاف أن يتوقع أقاربك المثالية. أنت تريد أن تكون شهادة لهم، وترغب في أن تريهم أن الوسائل الكتابية تنتج ثماراً. لكي ما تحل المشكلة

يجب أن تجد حلاً وسطاً لتتجنب الإحراج. لن تستخدم أطفالك ابداً لعرض اقتناعاتك. إن قصد التأديب ليس الكرازة. القصد من التأديب هو رعاية أطفالك. استخدامك لهم لعرض معتقداتك يؤذي كرامتهم ويهدد أمانة علاقتك بهم.

عندما تشعر بالضغط من آخرين، تنازل عن الإحساس. اذهب إلى مكان خاص حيث يمكنك أن تستجيب لاحتياج طفلك بدون ضغط من الآخرين.

ماذا لو عرفت أن طفلي يكذب عليَّ؟

عندما تشعر أن طفلك يكذب، أول منهج يصلح هو أن تؤمن استجابة أمينة خلال المناقشة. إن فشل هذا (وهو ما يحدث عادة)، تحتاج أن تتحرك لمناقشات متنوعة لأهمية الأمانة. ذكر طفلك أن الله يطلب الأمانة، لأن كل الأشياء مكشوفة أمامه، لهذا نحن في النهاية نعطيه حسابنا. اشرح فوائد الأمانة في علاقتك. ساعد طفلك أن يرى مقدار الفائدة من الأمانة.

أحياناً لا يفلح أياً من هذه. يظل الطفل عنيداً. ماذا تفعل؟ هل تدعوه كاذباً؟ مطلقاً! إن قلت لطفلك أنك لا تثق فيه، فأنت تجعله يشعر باليأس. إن اقتنع أنك لن تصدقه أبداً، فلن يكون هناك سبب للتحدث أو لعلاقة في المستقبل. إن رفض دعوة أطفالك كذابين وتعظيم علاقتك معهم يشجع على الأمانة. كنت مذهولاً من درجة كشف النفس بل وتأثيم النفس التي اتضحت في أطفالي كنتيجة لهذا.

إن لم يتطهر طفلك بخصوص ما فعل، إذاً فسيستمر به هذه المرة. إن هذا محزن، ولكن خسارتك وخسارته ستكون أقل إن مضى في طريقه أكثر مما لو كنت دعوته كاذباً. إن كان ما فعله يعكس خداعاً، ستكون لديك فرص أخرى لتوجيهه. من الأفضل أن تفشل هذه المرة وتحتفظ بعلاقتك معه من أن تدمر علاقتك وتفشل في مخاطبة خداعه في

نفس الوقت.

ماذا لو لم أكن متأكداً مما حدث؟

إن كنت غير متأكد مما فعله طفلك، وهو لن يخبرك، فلا يوجد ما تفعله. يوجد وقت كافٍ حتى تكون متأكداً مما حدث. في هذه الأوقات يمكنك أن تتعامل مع احتياجات طفلك. إن كنت غير متأكد مما حدث، كيف يمكنك أن تضمن إقرار طفلك بما فعله (خطوة ٣ في عملية الصفع)؟ كيف أعرف أية قضية من قضايا القلب هي الحالة غير المعروفة؟ إن مصداقيتك عندما تعرف ما حدث تزداد عما لو أدبته على أشياء غير محددة.

ماذا لو لم يفلح أي شيء؟

هناك طريقتان تنظر بهما إلى المشكلة. أولاً، تحتاج أن تتأكد إن كان هناك بعض الفراغات أو تناقضات فيما تفعله. ثانياً، تحتاج أن تكون مُعداً لطاعة الله حتى لو لم تظهر الثمار في الحال. إن معظم الاحتجاجات بأن الرعاية بحسب الكتاب بالنسبة للأطفال غير فعالة يمكنها تفهمها. هذا يرجع لأنه يوجد فشل في الاستمرار في التأديب، أو أن هناك فقداناً لبعض الأمانة في العلاقة مع الله، أو مع طفلك، أو مع كليهما.

ماذا لو كان متأخراً؟

ربما تقول: "أنا أتعلم كل هذه الأشياء ولكن أطفالي الآن في عمر الخامسة أو أصغر" لا شك أنه من الأسهل أن تقوم بوظيفة الأبوة بصورة صحيحة أفضل من معالجة المشاكل. الله قوي، على أية حال، نحن لسنا أبداً في وضع لا يوجد فيه استجابة مطيعة. لقد رأيت أسراً تسترد أراضٍ مسلوبة من خلال الصبر، والطاعة الأمينة لكلمة الله.

وهذا ما يجب أن تفعله:

(١) اجلس مع أطفالك واشرح لهم رؤيتك الجديدة. اخبرهم أنك تؤمن بأنك سرت خطأ في بداية تنشأتهم. (ركز على ضعفاتك أنت وليس ضعفاتهم) ساعدهم لكي يروا كم كان مهماً أن يتعلموا الخضوع للسلطة وهم صغار.

(٢) اطلب غفرانهم عن فشلك كأب.

(٣) اعطهم توجيهات خاصة عن التغيرات التي تظن أنها احتياج بالنسبة لسلوكهم، وتوجهاتهم .. وهكذا. اشرح هذه الأشياء. ساعدهم لكي يروا أن المزيد من الخضوع للسلطة سيساعدهم على أن تسير الأمور على ما يرام بالنسبة لهم.

(٤) قرر كيف ستستجيب لعدم طاعتهم في المستقبل. تأكد أنهم يتفهمون ومستريحون لطريقة استجابتك.

(٥) لا مدخل جديد يمكن أن يؤخذ بنجاح لهدف وحيد هو تغيير أطفالك. سيستجيبون لمحاولاتك أن تكون كتابياً طوال العمر. سيقاومون أي شيء يبدو لهم مثل مناورة أو تلاعب.

(٦) سيتطلب أي شيء تقوم به الصبر. من الصعب لأسرة أن تغير اتجاهها. ما هو أمامك، صراع روحي ضد قوى الظلمة. هناك الكثير أكثر من مجرد تطبيق بعض المبادئ. صل؛ اطلب معونة الله، انتظر الرب، ادرس الكتاب مع أطفالك؛ حاول أن تأخذهم معك حيث اتجاهك الروحي. شارك معهم ما تعلمته.

يجب أن يكون تركيزك على ما تعنيه أن تكرم الله في حياتك الأسرية، وليس كيف تضع أطفالك على الطريق الصحيح. وضع أطفالك على الطريق الصحيح يكون من خلال إكرامك لله.

"سـو" و"نيـل" جاءا للمسيح عندما كان عمر ابنتيهما ٥ و٩ سنوات. كانت حياتهما ممتلـئة بالفوضـى، إذا عاشـا في العـالم بدون مقاييس أو حق. قضت "سو" معظم أوقاتها الجيـدة في عيـادة الطـبيب النفسـي. وعمـل "نيـل" سـاعات طويـلة، مـتخذاً راحته في المخـدرات والخمور. كانت ابنتاهما قد كبرتا بدون توجيه وهما يحيان في العالم بلا قيود أو مرجعيات.

وأتـى "سو" و"نيل" للمسيح في كنيسة لم يكن فيها تعليم كتابي واضح عن الأطفال. فـبدأا بقـراءة كتب كتبها رجال مسيحيون قبلوا الكثير من الأفكار الفلسفية التي بلا أدلة كتابية. وبينما هم يرغبون في مساعدة بنتيهما، كانت الأمور تزداد سوءاً.

ولكن في عناية الله، بدأا في تعلم بعض المبادئ التي في هذا الكتاب. تعلما عن القلب كمصـدر للسـلوك وعـن المؤثرات التشكيلية. لقد بدأوا برعاية ابنتيهما. اعترفا بفشلهما في تنشـئة الأطفال بصورة صحيحة. تحدثا عن مقاييس الله وما هي. وافقا على الطرق التي يجب أن تقويهما وتأدبهما. صليا مع بنتيهما، وبدأا في عبادة عائلية موجهة نحو معرفة الله، وليس فقط قراءة الكتاب معاً. لقد اظهرا محبة المسيح في حياتهما العائلية.

وبنعمة الله، مع مرور السنوات، بدأت البنتان في التغير. بدأت البنتان في فهم الحياة مـن خـلال معـرفة الله. بدأتا في النمو في محبة والديهما. لقد تم إنقاذهما! لم يكن طريقاً سهلاً على "نيل" و"سو"، كان من الأسهل وضع الأساس قبل بناء البيت. ولكن، شكراً لله، نحن لا نوضع أبداً في ركن لا يوجد فيه طريق للطاعة.

أسئلة تطبيقية عن الفصل الخامس عشر:

(١) ما هي المبادئ الكتابية التي تقود توقيت استخدام العصا في التربية؟

(٢) مـا هـي العناصـر الـتي يجـب أن تكـون موجـودة في كيفية استخدام العصا في

التربية؟

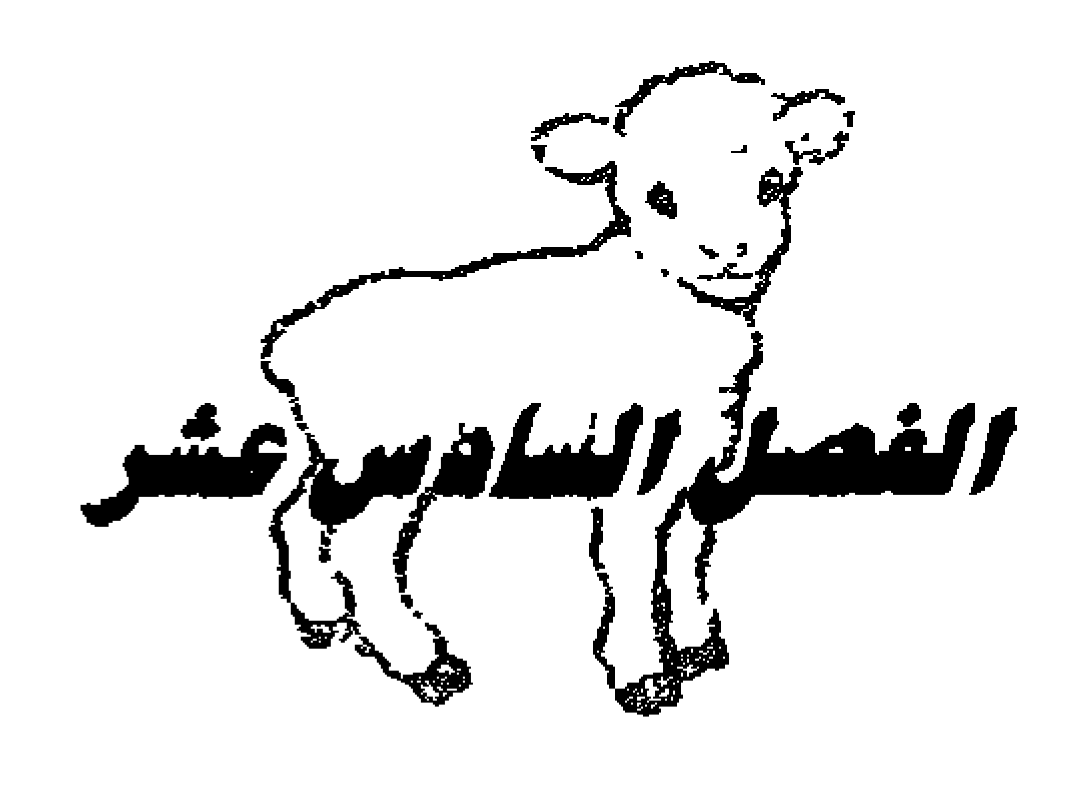
(٣) ما هي مشاكل أطفالك التي تتطلب استخدام العصا في التقويم؟

(٤) ما هي أكثر "الأسئلة الشائعة" التي تخصك؟

(٥) كيف يمكن للعصا أن تقدم فرصاً ثمينة لمعونة أطفالك لكي يروا احتياجهم لعمل المسيح؟

(٦) ماذا يمكنك أن تقول لشخص يقول إن الضرب هو أسلوب قديم ومبدأ انتهى لأنه يسلب الأطفال كرامتهم؟

(٧) ما هو الأسهل بالنسبة لك؟ الضرب أم الكلام؟ كيف يمكنك تجنب اختلال التوازن في هذا الأمر؟



الفصل السادس عشر

الطفولة:

الأهداف التدريبية

عندما جاء اليوم لأول أطفالنا لكي ما يذهب للمدرسة، كنا متأكدين من نجاحه. كنا نعمل من خلال الطاعة عدة سنوات. قد تعلم الطاعة بلا تحدي، وبلا اعتذار، وبلا تأجيل.

لقد قمنا بكل مراسم الاستعدادات. قمنا بزيارة إلى السوبر ماركت لكي نشتري حقيبة الغذاء، وإناء الشراب. ووجدنا حقيبة مدرسية تتناسب مع حجمه، وملأناها بالأقلام والأساتيك، والأوراق، والألوان. واشترينا بعض الملابس المدرسية الجلدية. كنا متأكدين أننا تممنا كل الاستعدادات اللازمة له بكل الطرق.

واكتشفنا، ما يسبب تكديرنا، إن كل استعداداتنا لم تكن كافية. كان ضرورياً أن نذهب إلى رحلة التسوق؛ لكن تدريبنا كان غير كافٍ. لقد علمنا ابننا أن يطيعنا. ولكن المشكلة كانت أننا لم نكن هناك لنعطيه التوجيه. كانت هناك مشاكل كثيرة: في أتوبيس المدرسة، خلال الوقت الحر في اليوم، خلال وقت الغذاء، كان يحتاج للإرشاد. بدأنا ندرك أنه يجب أن يكون عندنا أهداف تدريبية مختلفة لهذه الفترة من الحياة.

الطفولة

إنـني أستخدم كـلمة "الطفولـة" لكـي مـا أشـير إلى المرحلة العمرية من سن ٥- ١٢ سـنة. وهـي فـترة المرحـلة الابـتدائية في المدرسـة. إنه الوقت الذي عادة نفكر فيه، عن "الطفولة". إنه الوقت ما بين بدء المدرسة والمراهقة.

تواجـه الآبـاء تحديـات جديـدة. يـنمي الطفـل في هـذه السـن استقلالية متنامية في الشخصـية والاخـتيارات. يقضي الطفل وقتاً أكثر بعيداً عن التوجيه وعن أعين الوالدين. إنه يُواجه بخبرات لا يستطيع الآباء مشاهدتها والحكم عليها.

لقـد نمـى أطفالـنا اسـتقلالية متنامية عنا. إنهم يفكرون أن هذه هي أفكارهم. لديهم أفكـارهم الخاصـة عـن مفهوم المرح، والتحدي، والجدارة. إن قدراتهم تُعرف اهتماماتهم التي توضح استقلاليتهم المتنامية.

في أحد الأيام، عندما كان ولداي في عمر ٦، ١١، قررا أن يصنعا أرجوحة يركبانها في أسـفل الوادي بجوار منزلنا، فذهبا إلى الحظيرة، قطعا الألواح، وجمّعا العربة ... كل هـذا بـدون أيـة مسـاعدة مـني! كـنت ممتلـئاً بمشاعر غريبة مختلطة. كنت فخوراً بما اسـتطاعا القيـام بـه. ولكـنني، بطـريقة مـا، شـعرت بالحزن أنهما استطاعا القيام بهذا بدوني. كنت أشعر بتقلق غريب.

قضية واحدة كبيرة:

تخيل أنك علمت طفلك درس المرحلة الأولى. أصبح يرى نفسه كخليقة مصنوعة بيد الله، ولأجلـه. أصـبح مدركـاً ماذا يعني أن يكون تحت السلطان. تعلم أن يطيع، بدون تحدي، وبدون اعتذار، وبدون تأجيل. كيف يمكن أن تبني على هذا الأساس؟

تنمية الشخصية:

القضية الكبرى خلال هذه المرحلة العمرية الطفولية المتوسطة، هي الشخصية. يجب أن تنمو شخصية طفلك في مناطق عدة. أنت تريد أن يتعلم طفلك الاستقلالية ـ الصدق، اللطف، الاعتبارات، الإغاثة، الاجتهاد، الولاء، الاتضاع، ضبط النفس، النقاء الأخلاقي، وبعض الصفات الأخرى.

لا تستطيع أن تكون معه كل الوقت. يجب أن يعرف ماذا يجب أن يفعل في حالة لا يمكنك مشاركته فيها. إنه يحتاج إلى حكمة كتابية. يجب أن ينمو ضميره فيصبح عامل استنتاج للنفس، فيعرف ما يجب عمله حتى لو لم تكن أنت هناك.

التغير في البؤرة من المرحلة الأولى:

في المرحلة الأولى كان التركيز على الطاعة. كنت مهتماً باقتلاع التمرد الأصلي لقلب طفلك. كنت مهتماً بأن يواجه الميل الطبيعي لمقاومة السلطة. وهكذا تستطيع أن تواجه التحدي وتدعو طفلك للخضوع لسلطان الله.

طلب الطاعة هو إعداد جيد. ولكنه لا يتعامل مع القضايا التي يجب أن توجهها عند هذه النقطة. يجب أن توجه عملية التأديب للسلوك غير الهياب المتحدي. ما يجب أن توجهه في هذه النقطة هو السلوك الخاطئ، وليس الاستخفاف والتحدي فقط.

الأنانية، على سبيل المثال، ليست تحدياً، ولكنها خاطئة. إن طفلك لم يترك دائرة البركة، ولكن، في داخل الدائرة قد أظهر مركزية شديدة حول نفسه، وهذا أمر فاسد وقبيح. مثال آخر هو السخرية، يمكن للطفل أن يسخر من أخيه بدون داع. فيصبح إما غير طائع وإما لا يحترمك. إن الهدف هو معونته لكي ما يرى قباحة مثل هذا السلوك.

لقد تذكرت عندما عدت للمنزل يوماً ورأيت أولادي منبطحين على الأرض يلعبون لعبة بينما زوجتي تجري خلفهم محاولة أن تقوم بـ ١٠٠٠ مهمة بسيطة قام بها الأطفال. كانوا يقومون بأشياء جديرة. لم يكونوا منشغلين بسلوك متمرد. فلم يعترضوا على طاعة أمهم، ولكني كنت غير سعيد بالأنانية، وقلة الاهتمام بعمل أمهم. إن لم توجه الشخصية، لن يعرفوا أبداً ما خلف السلوك.

طريق جانبي شائع:

رأيت بعض الآباء يحاولون حل هذه المشكلة عن طريق سن القوانين. إنه حل ضعيف. سريعاً، ستصبح الحياة العائلية مرهقة بحمل المزيد من القوانين أكثر من قدرة الأطفال أو الآباء على تذكرها.

أعرف أسرة لديها قوانين خاصة بوقت استخدام الحمام في الصباح. كانت هناك قوانين تفصيلية من أول الاستعداد للمدرسة، وحتى عدد مرات تمشيط الشعر! قد يكلفك هذا أن تبتسم، ولكنها كانت محاولة أمينة للتحكم في الحياة الأسرية بدون توجيه الشخصية. قد يبدو أن خلق قوانين أسهل من الانقياد للشخصية.

المشكلة في هذا المدخل، بالطبع، هو أنه من المستحيل أن تصنع قوانين شاملة بكفاية لتواجه كل احتياج للتوجيه. بالإضافة إلى هذا، إن عقل الشخص الناضج ليس ماهراً بكفاية لكي ما يصنع القوانين التي يمكن أن تغلب بالحيلة عقل الطفل. لن يفلح الإكثار من القوانين.

يركز توجيه صفات الطفل على قضية القلب. إنه يتيح لك أن تكتشف ما هو خلف السلوك ويخاطب الأفكار والدوافع ومقاصد القلب. على سبيل المثال: "من فضلك شارك ألعابك مع أختك" هي قضية طاعة. حتى الشخص الأناني هو قادر على فترات منفصلة

من المشاركة. إن قضية الشخصية تسير بصورة أعمق. الله يدعونا لما هو أكثر من تجنب طلبات المشاركة. يطلب الله اتجاه القلب الحر في عطائه بلا أي فكرة في الاسترداد. تتحرك قضايا مخاطبة الشخصية تحت الجلد لترعى قلب الطفل.

مشكلة الفريسيين:

البديل لتوجيه قضايا الصفات والشخصية في أطفالك هو بنيان أشياء خاصة بالقوانين. وهكذا تنتج أطفالاً يتعلمون أن يحافظوا على القوانين. ويصبحون معتدين بذواتهم إذ يشعرون بالبر الذاتي، أي فريسيين عصريين حيث إناؤهم مغسول ونظيف من الخارج، ولكنه ملوث من الداخل.

كان "جورج"، وهو الثاني على المدرسة المسيحية المحلية، مثالاً لهؤلاء الفريسيين. فقد علمه آباؤه أن يطيع. ففي الفصل، كان يحفظ القواعد، يقوم بواجبه، لا يتحدث أبداً أو يترك مقعده بلا إذن. كان سلوكه حسناً. كان خارج الإناء نظيفاً. أما في الداخل، كان جورج يخفي بعض الاتجاهات الضعيفة، فهو يظن بكل وضوح أنه أفضل من كل الأطفال الآخرين الذين يحتاجون إلى التقويم بصورة دورية. لم يكن يحتمل أن يخطأ في حقه. كان يغفر للآخرين بصعوبة. لم يكن لديه إحساس بخطاياه الشخصية أو باحتياجه لله. كان أعمى عن سلوكياته الأنانية والمتكبرة.

كان والدا "جورج" شخصيتين محبوبتين، ويحبان ولدهم. وقد دربوه بصورة جيدة. لقد تعاملا مع قضاياه الخارجية من السلوك بدون مخاطبة قضايا القلب. لقد رأى "جورج" الخطية كأمور خارجية مثل عدم طاعة المدرس. ولكنه لم يرَ انشغاله بذاته وعدم اهتمامه بأي شخص آخر سوى نفسه على أنه خطية.

في هذه الفترة الوسطى من رعاية الأطفال، يجب أن نخاطب قضايا الصفات

والشخصية.

ثلاثة أدوات طاعنة للتشخيص

يستكشف الفصل التالي أبعاد "كيف" في مخاطبة وتوجيه القلب والضمير. ولكن قبل أن نمتحن عمليات توجيه الشخصية، يجب أن ننظر على أداة التحليل أو التشخيص.

تحتاج بطريقة ما إلى أن تنظر إلى أطفالك وتفهم احتياجاتهم. تحتاج لطريقة ما شاملة لكي ما تنظم الأشياء التي تشكل شخصياتهم. تحتاج إلى شبكة، حيث ترسم فيها مناطق القوة، ومناطق الضعف، حتى تستطيع أن تلبي احتياجاتهم الحقيقية.

هذه الأداة سهلة وشاملة في نفس الوقت وذات فائدة عظيمة. يمكنك أن تقوم بهذا التحليل والتشخيص لاحتياجات طفلك كل ستة أشهر.

الطفل في علاقة مع الله:

أول طعن للتحليل هو علاقة طفلك مع الله. هذا السؤال ليس سؤالاً شخصياً كرازياً: هل له علاقة مع الله؟ وإنما يكون السؤال ما الذي تراه في طبيعة هذه العلاقة يجب أن يكون؟

هل يحيا طفلك في احتياج مُدرك لله، وما هي مكونات علاقته مع الله؟ هل يهتم بأن يعرف ويحب الله؟ هل الله هو مصدر القوة، والراحة، والمعونة؟ هل يقوم باختيارات تعكس معرفة الله؟ هل يتحرك بطرق الله والحق؟ هل يحيا بحسب الحقائق الروحية؟ هل هناك دليل على أنه يحيا في علاقة مع الله استقلالية عنك كأب له؟

هل يتحدث عن الله؟ كيف يتحدث عنه؟ كيف يفكر فيه؟ هل إلهه صغير أم كبير؟ هل يفكر في الله كصديق، أم كحاكم، أم كمعين، أم كمدير؟ هل يحيا من خلال امتلائه برؤية ذاته في المسيح أم أنه يحاول أن يعبد ويخدم نفسه؟

ليست هذه أسئلة عن كيفية فهم طفلك للحقائق الكتابية. وإنما هي أسئلة عن فهمه لطبيعة نعمة الله وخلاصه من خلال الإيمان بالمسيح. لكي ما ترعى قلبه، وتقوده لله، يجب أن يكون لديك بعض الإدراك لأين هو روحياً.

الطفل في علاقته مع نفسه:

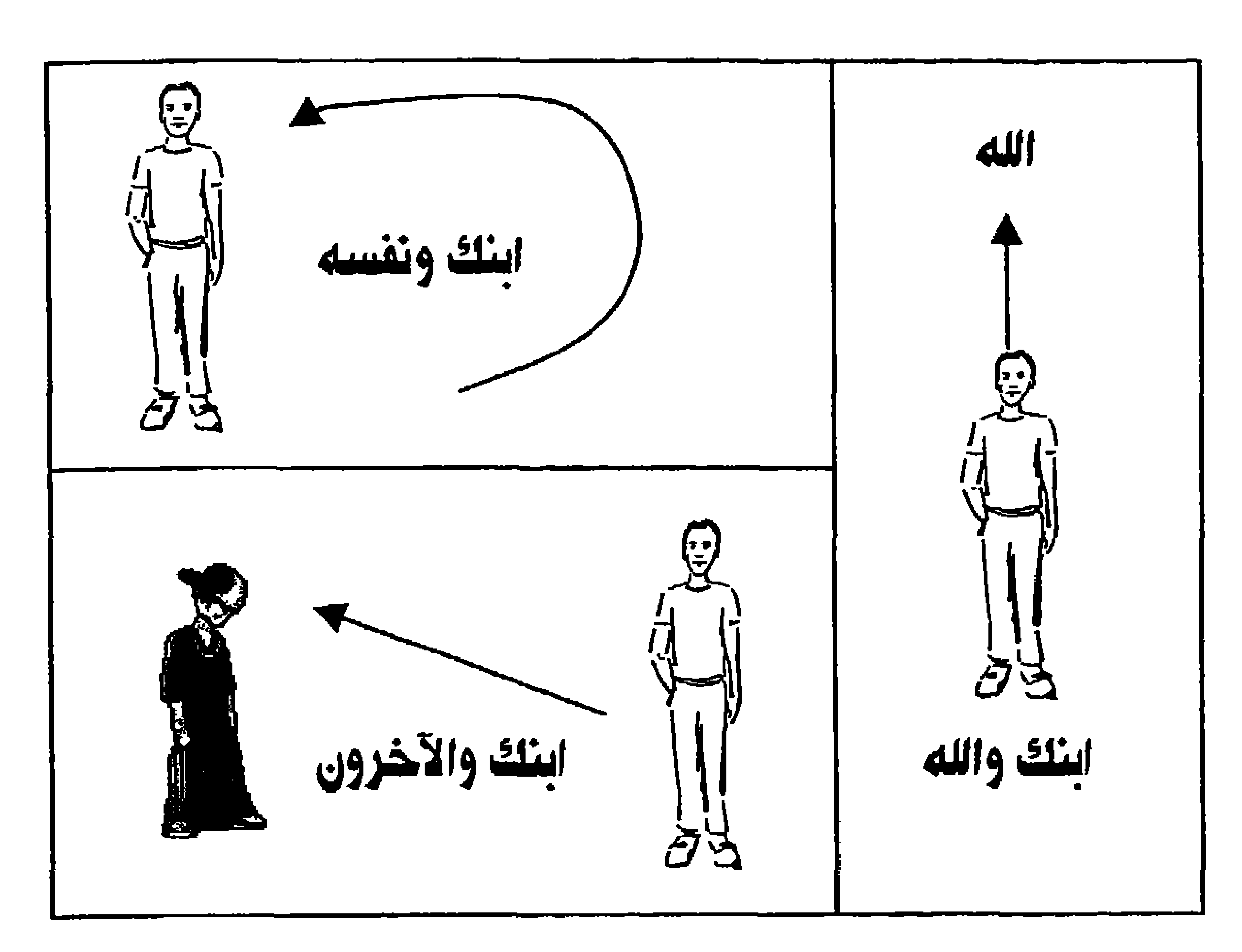
كيف يفكر طفلك في نفسه؟ كيف يفهم نفسه؟ ما هو مقدار إدراكه لمناطق قوته وضعفه؟ هل يفهم شخصيته؟ هل يدرك في ذاته ميول شخصيته؟

إن ابنة صديقي "جينيفر"، شخصية لها قلب متحنن تجاه احتياجات الآخرين. ولهذا، تستطيع أن تخبر بما يشعر به الآخرين. هذه قدرة ممتازة، تجعلها قادرة على الإحساس بمشاعر الآخرين. هناك جانبي سلبي لهذه المقدرة، من السهل على مثل هؤلاء أن يعطوا للآخرين الفرصة أن يتلاعبوا بهم. من السهل عليها أن تخبر الآخرين بما تشعر وبما تفكر. إنها أحياناً تحاول أن تدع شخصاً آخر يربح اللعبة حتى لا يُصاب بالإحباط.

يجب أن تدرك هذه الأشياء عن نفسها. إن كانت تبصر هذه الكفاءات في شخصيتها. يجب أن يفهم صديقي (والدها) هذه الأشياء، حتى يستطيع أن يساعدها. يتعلم كثيرون هذه الأشياء مؤخراً، ولكنها عادة بعد أن نصبح ناضجين. للأسف، حتى بعض البالغين لا يعرفون قضايا شخصيتهم التي تقود استجاباتهم.

إننا مجموعة مركبة معاً من الضعفات والقوة. هناك أشياء نستطيع القيام بها بسهولة. وهناك أشياء أخرى مؤلمة وصعبة. يمكن أن يتيح فهم هذه الأشياء لنا أن ندعم ضعفاتنا ونطور مناطق قوتنا. يحتاج أطفالك أن يقبلوا ويقدروا أنفسهم كتركيبة متفردة من القوة والضعف- كأشخاص تماماً كما يريدهم الله. ساعدهم على احتضان أنفسهم بصورة صالحة لكي ما يتمموا كل ما دعاهم الله إليه ودعاهم لكي ما يكونوه. بكلمة واحدة، أنت

تحتاج أن يكونوا راضين عن أنفسهم.



صورة رقم ٩: ثلاث وجهات نظر في طفلك

هناك وجهة نظر آخرى لمعرفة طفلك لنفسه. ما هي السلوكيات تجاه نفسه التي يحتاج أن يبرهنها؟ هل هو خجول أم واثق من نفسه؟ هل هو متكبر أم هائب؟ هل هو مقيد بالمخاوف؟ هل هو قادر على التعبير عن نفسه للآخرين؟ هل لديه اعتمادية زائفة على الآخرين؟ هل يشعر أنه أفضل من الآخرين، أم يشعر بالاستقلالية عنهم؟

كان "هارولد"، وهو الأول دراسياً بين معارفي، يتاجر في العلاقات. كل ما يفعله يُستثمر بعلاقة ضمنية. عندما يجلس في جلسة للقراءة، يتعامل مع من هم حوله أكثر مما يتعامل مع مادة القراءة. وقت الراحة يصبح عملية فروسية لكي ما يمييز شخصاً ما. أما وقت الرياضة فيجري فيه سباقاً مع شخص ما ليرى من سيفوز. إن أفكاره عن العلاقات

مع البنات ممتلئة بالجنس ومُحملة بأمتعة لا يستطيع طفل ذو ٧ سنوات أن يحملها.

يساعد معلم ماهر والدي "هارولد" لكي ما يفهما ابنهما. إنه يساعدهم لكي يرا "هارولد" مُعاقاً باحتياجه للعلاقات بأخلاق وثنية. يجب أن يفهم "هارولد" أن الله وحده يستطيع أن يروي ظمأ نفسه للعلاقة. يكشف عدد من الأطفال بوضوح عن نموذج للاحتياج غير المفهوم طوال العمر على الإطلاق لهم ولآبائهم. لقد نموا مُستعبدين لاحتياجات كانت واضحة في البذار التي زُرعت في سنوات طفولتهم.

ما زالت خواص الانحصار في الذات جانباً آخر في علاقة الطفل مع نفسه، هل هو قادر على الاشتراك في مهام بدون دعائم خارجية؟ هل هو قادر على العمل باستقلالية؟ هل هو معتمد على استحسان الآخرين، أم أن لديه المزيد من الثقة بالنفس؟

تحتاج لأن تفهم نمو طفلك في هذه المناطق وأنت ترعاه. تحتاج أن تسأل الأسئلة المناسبة، لكي ما تخرج أفكاره عن نفسه حتى تستطيع أن ترشده إلى المسيح بطرق تخاطب عطش نفسه.

الطفل في علاقته مع الآخرين:

ما هي علاقات طفلك مع الآخرين؟ كيف يتعامل معهم؟ أي نوع من العلاقات يتمتع بها؟ ما الذي يظهره للآخرين؟ هل علاقاته منتظمة أو هل هو دائماً يتحكم في الآخرين أم يتحكم فيه الآخرين؟ هل يداهن لجذب انتباههم؟

هل يشعر بالسعادة مع الآخرين؟ كيف يتعامل مع الإحباط داخل الأشخاص؟ كيف يستجيب لحقيقة أنه خاطئ في حق الآخرين؟ ما هي مناطق القوة في علاقاته؟ وما هي الضعفات؟

في إحدى المدارس، كانت "جيني" من النوع القيادي. كانت تخبر البنات إن كانت

ملابسهم مناسبة أم لا. وقد أعلمت كل شخص بما يجب أن يلبسه للمدرسة في اليوم التالي. إن خططت أن يكون لها ضفائر، يجب على باقي البنات أن يكون لهم ضفائر أيضاً. عند كان وقت الراحة، اختارت اللعبة. ثم اختارت الفرق!

فهمت مدرستها القضية. استطاعت أن تخبر "جيني" بأن لا تكون متسلطة. ولكنها عرفت أنه بينما كانت "جيني" تحاول الطاعة، كان التسلط يعاود الظهور على السطح. لذا فقد اختارت أن تساعد "جيني" بصورة أفضل، لذا عملت مع والدي "جيني" لكي يفهموا اتجاه "جيني" المتغطرس. واستطاعوا، معاً، مساعدة "جيني" لكي ترى نفسها، وترى ما كانت تفعله في الآخرين، وكيف كانت تحاول أن تتحكم في الناس، كانت تشعر بالراحة في قلبها عندما كانت تحكم الآخرين. تعلمت "جيني" كيف تصلي وتسأل الله المعونة عندما تحاول أن تحكم آخرين. لقد تم حماية "جيني" من حياة البحث عن الراحة عن طريق التحكم في الآخرين.

مراجعة دورية:

إن صديقي له عمل خاص كتاجر. وهو يفهم أن نجاحه غير مؤسس على ما يجب أن يبيعه، وإنما على مهارات مندوبي البيع. لذلك، فقد قام بعمل شرائط فيديو تدريبية وحاول أن يساعد موظفيه للنمو. سألته يوماً ما، كم مرة يحصل كل موظف في هيئته على إعادة النظر في إنجازاته؟ قال لي، إنه يتم إعادة النظر ربع سنوياً. ثم سألته كم مرة يقوم هو وزوجته بإعادة النظر بالنسبة لأولاده؟ فاحمر خجلاً، إذ هم لا يفعلون هذا أبداً. أؤمن أن اعترافه هذا شائع.

مرة أو مرتين في العام، يجب أن تجلس أنت وزوجتك معاً وتدرسا حالة أطفالكما. ضع هذا التوضيح البسيط (صورة رقم ٩، صفحة ٢٠٠) على رأس الصفحة. وتحت كل

فـئة اكتبا قائمة بكل اهتماماتكما. اكتبا أيضاً قائمة بالأشياء التي تشعران بالسعادة معها. طـورا استراتيجيات التعامل مع مناطق اهتماماتكما. إن فعلتما هذا، ستكونان قد أعددتما أنفسكما ببعض المناطق المثمرة لتساعدا أطفالكما.

في الفصل التالي، سننظر إلى عمليات محددة لتوجيه تطور الشخصية من خلال هذه الفترة المتوسطة المثيرة من الطفولة.

أسئلة تطبيقية للفصل السادس عشر:

(١) كـم عـدد الأسـئلة الـتي يمكن أن تبتكرها تحت كل عنوان من عناوين "ثلاث أدوات طاعنة للتشخيص"؟

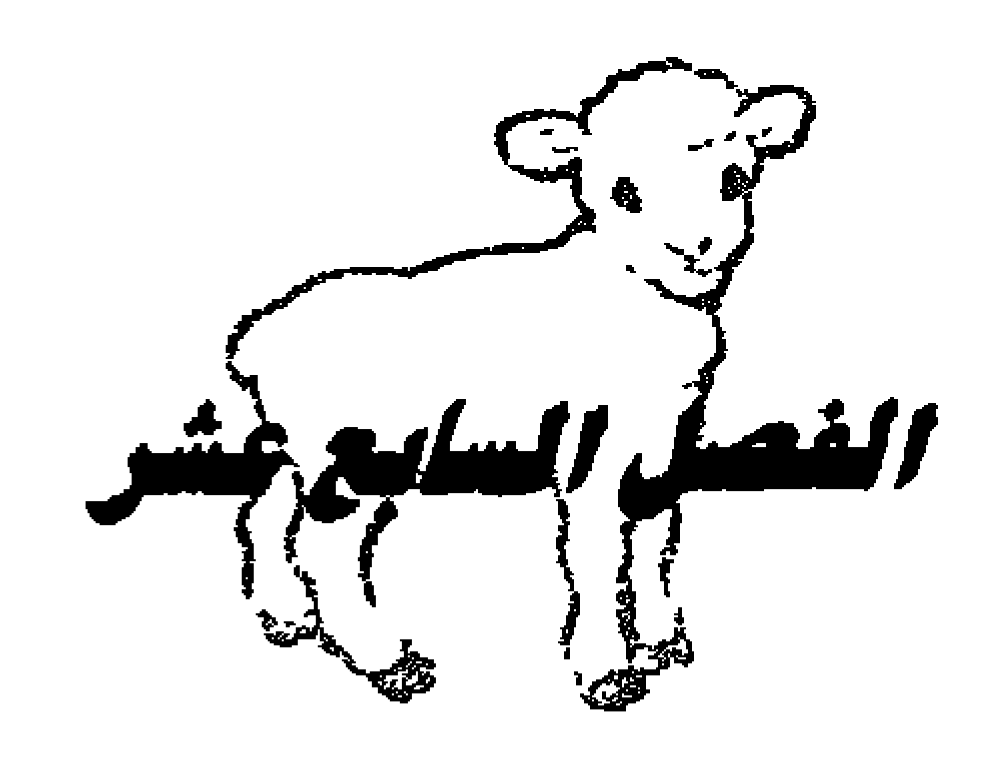
(٢) كم مرة جلست وحللت شخصية أطفالك من خلال هذه القضايا الثلاث؟

(٣) كيف تعبر عن الاختلافات بين أهداف المرحلة الأولى وأهداف المرحلة الثانية؟

(٤) ما هي أهداف الصفات الخاصة التي تتبعها مع أطفالك الذين في عمر الدراسة؟

(٥) هل قلت مرة: "إن كنت هناك وقتها كان من الممكن أن أضبط طفلي، ولكني لم أكن هناك"؟

(٦) هـل احـتفظت بطفـلك دائماً بعيداً عن الأنشطة لأنك كنت خائفاً لئلا يعجز في جعـل نفسـه مقـبولاً؟ مـا الذي يمكنك عمله لكي ما تهيئه لكي يتعامل جيداً مستقلاً عن محضرك؟



الفصل السابع عشر

الطفولة:

العمليات التدريبية

إنه صوت يسمعه كل أب. وهو صراخ الأطفال، كل في الآخر. وكذلك، يبدو المشهد مألوفاً أيضاً .. طفلان اثنان ولعبة واحدة.

كل أب لديه طريقة للتعامل مع هذا. يسأل الكثيرون: من الذي أخذ اللعبة أولاً؟ معتبرين إياها قضية عدل. والبعض يصيحون في الأطفال لكي ما "يشاركوا" و"يكونوا لطفاء". بعض الآباء يخرجون الساعة قائلين: "حسناً، خذ أنت اللعبة ١٠ دقائق ثم يأخذها أخوك ١٠ دقائق".

يتجاهل البعض الصراخ، مقتنعين أن الأطفال سيقل تشاجرهم إن تجاهلنا معاركهم. بينما يعزي البعض أنفسهم بالفكرة القديمة التي تقول إن كل الأُخوة والأخوات يتشاجرون، لذلك فهو أمر سينتهي مع تقدم أعمارهم.

يسير معظم الآباء بعيداً عن مشهد مثل هذا مقتنعين أنه لابد أن يكون هناك طريقة أفضل. إنهم يتعجبون إن كان هناك طريقة مريحة أكثر في التعامل مع هذه الجدالات، طريقة يمكن بها توجيه الاحتياج الحقيقي لأطفالهم.

ما هو الطريق الأفضل؟ تستطيع ببساطة التوجه نحو البدن قائلاً: "هل تريد أن تُصفع؟"، كما تستطيع ببساطة التوجه نحو الوجدان قائلاً: "أنا لا أحبك عندما تقوم بـ ....." أو "أنت تؤذي مشاعري عندما .....". لا تستطيع ببساطة أن تخاطب محبتهم للأشياء "هل تريدني أن آخذ لعبك منك؟". لا يوجد أي مدخل من هذه المداخل ينتج ثماراً لأنها لم تخاطب وتوجه القلب.

مخاطبة وتوجيه القلب

هناك إغراء هو أن نركز على السلوك. إن السلوك مرئي (وقد يكون مسموعاً). إنه يبدو سهل التعامل معه.

تذكر معي المبدأ الذي شاهدناه معاً في الفصل الأول، "القلب يخرج السلوك". السلوك هو توضيح لما يجري داخلياً. إن القول والعمل هما انعكاس لما في القلب: *"فإنه من فضلة القلب يتكلم فمه"* (لوقا ٦: ٤٥).

مبادئ التواصل التي شرحناها في الفصول ٨–١٠، تتضح هنا؛ فالسلوك له "متى"، و"ماذا" و"لماذا". "لماذا" تشرح الظروف حيث حدث السلوك. و"ماذا" تشرح الأشياء التي قيلت أو تمت. و"لماذا" تشرح قضايا القلب الداخلية التي دفعت أو جذبت هذا السلوك موضع الاهتمام. يجب أن تكتشف مع أطفالك ليس فقط "متى" أو "ماذا" في سلوكهم، وإنما أيضاً "لماذا"، يجب أن تساعدهم على النظر على "لماذا" الخاصة بهذا السلوك. مهمتك هي مساعدتهم على فهم مبدأ "فيض القلب" لسلوكهم.

كانت "كاري" متذمرة ومعترضة في أحد الأمسيات. كان من الصعب أن ترى سبب المشكلة. وكان خطأ والديها هو ببساطة توجيه السلوك- "لا تعترضين" أو "لا أريد أن أسمع أي كلمة اعتراض أخرى منك". قد يكونون قد تحولوا إلى مبدأ "مُجرب وحقيقي"،

وذلك بإسكات الطفلة عن طريق إخجالها. تجدهما يقولان لها: "يجب أن تخجلي من نفسك لاعتراضك على الكثير من الأشياء المباركة.

ولكن عوضاً عن هذا، بدأا يدخلان إلى ما خلف السلوك ويسلخان طبقات الاعتذار، وأسباب الشعور بالتذمر. وأخيراً، وصلا إلى قضية "فيض القلب". كانت "كاري" تشعر بالانفعال الشديد لأن الأمور لم تكن تسير في طريقها الصحيح. كانت تريد أن تلعب في داخلها دور "الله". أرادت أن تحكم الأرض. قررت كيف تسير الأشياء؛ ولم تكن الأشياء تسير كما تريد. كانت قضية "فيض القلب" هنا هي الاستياء من الوظيفة التي كان يفعلها الله ليحكم العالم.

لم تكن مدركة في ذاتها لكل هذا، ولكن هذا كان أساس القضية.

إن لم تأخذ السلوك وحده بهذه الطريقة، فستنتهي بتوجيه ومخاطبة الأمور الخارجية. ستكون مثل الرجل الذي حاول أن يحل مشكلة الأعشاب في حديقته عن طريق إزالة الحشائش. لهذا تعود الأعشاب مرة ثانية للنمو.

مناشدة الضمير

يحتاج أطفالك إلى تغيير القلب. يبدأ التغير في القلب بإدانة الخطية. تأتي إدانة الخطية من خلال الضمير. يحتاج أطفالك أن يقتنعوا أنهم ابتعدوا عن الله وكسروا العهد. يجب أن يصلوا إلى الاقتناع بأن الإنسان الداخلي، الذي يقيم علاقة بالله، هو وثني ومذنب أمام الله. لكي ما تساعدهم، يجب ان تناشد ضمائرهم.

كما ذكرنا في الفصل ١٢، لدينا نموذج لمناشدة الضمير في خدمة يسوع. لقد تعامل باستمرار مع الضمير، مجبراً الناس على محاكمة أنفسهم ودوافعهم. تعامل مع قضية الطباع التي تتطلب تعلم كيف تناشد الضمير.

إن أردت أن تتعامل مع الطباع، وليس فقط مع السلوك، يجب أن تتعامل مع الطفل بطريقة أعمق، وتتيح له أن يرى ما يتضمنه سلوكه فيتهم نفسه.

في إنجيل (لوقا ١٠)، كان هناك ناموسي خبير في التوراة العبرية أتى إلى المسيح ليمتحنه عن طريق سؤاله: *"يا معلم ماذا أعمل لأرث الحياة الابدية"*فسأله يسوع كيف يفهم الشريعة، وأجاب: بوصيتين عظميين: أن تحب الرب إلهك، وقريبك مثل نفسك. فمدحه يسوع لإجابته الصائبة. وسعى الناموسي بعد هذا لكي ما يبرر نفسه سائلاً المسيح: "ومن هو قريبي؟" كان تحدي المسيح هو مساعدة هذا الرجل لكي ما يدرك أنه عند هذه النقطة كان يدرك احتياجه، وكان عليه التزام ليسدد هذا الاحتياج. فإن فشل فيه، فقد كسر الشريعة. علَّم يسوع هذا من خلال قصة السامري الصالح. القصة جردت الرجل وأتاحت له أن يفهم كم هو ساقط. ناشد يسوع ضميره في نهاية القصة عندما سأل: من هو جار هذا المسافر التعس؟ تحرك الناموسي من السؤال عمن هو قريبه إلى تقييم مناسب عمن كان القريب.

إن استجابة يسوع لبطرس في (متى ١٨) تقدم توضيحاً آخر لاستخدام المسيح مناشدة الضمير. سأل بطرس عن الحدود الخارجية للغفران: *"حينئذ تقدم إليه بطرس وقال يا رب كم مرة يخطئ إلي أخي وأنا أغفر له هل إلى سبع مرات"* (متى ١٨ : ٢١) كان يمكن أن يجيبه يسوع ببساطة: "بطرس، لأنك استطعت أن تسأل هذا السؤال، فأنت لم تفهم شيء بعد عن الغفران"، ولكنه عوضاً عن هذا حكى يسوع قصةأوضحت بكل قوة ضمنياً كيف يمكن أن يغفر الشخص.

في (لوقا ٧) كانت المرأة التي عاشت حياة خاطئة ومسحت أرجل يسوع بدموعها. وحكم سمعان الفريسي على يسوع بأنه قليل البصيرة. كان سمعان مشمئزاً من المرأة الخاطئة. أما يسوع، الذي كان يعلم أفكار سمعان، أخبره عن قصة ناشدت ضميره. في

القصـة، كـان هـناك رجـلان وشـخص واحـد يُقرض الأموال. أحدهما عليه دين كبير. والآخـر عـليه ديـن صغير. والاثنين سامحهما، ثم كان سؤال يسوع: *"أيهما يكون أكثر حباً له فأجاب سمعان وقال أظن الذي سامحه بالأكثر فقال له بالصواب حكمت"*.

لقد استخدم يسوع القصة ليتهم سمعان لأجل أفكار بره الذاتي. فمناشدته كانت لضمير سمعان، وحكم سمعان على نفسه بكلماته الخاصة. إن هدف يسوع من القصة كان أن هذه المرأة أحبته أكثر من سمعان البار ذاتياً.

يجـب أن تطـبق نفـس المنهج مع احتياج أطفالك. يجب أن تأتي إلى قضية الجذور بالـتعامل مـع الضـمير. (روميـة ٢: ١٤-١٥) تشـير إلى أن الضـمير هو حليفك في تعليم أطفـالك أن يدركوا خطيتهم. الضمير في الإنسان دائماً إما صفوح، وإما إتهامي. فإن قمت بمناشـدتك هـناك، فقد تجنبت أن تجعل من التقويم مباراة بينك وبين طفلك. إن جدال طفلك دائماً يكون مع الله.

يجنبك التعامل مع الأطفال بهذه الطريقة إعطاءهم مقاييس يحافظون عليها فيشعرون أنهم أبرار. إنهم يتواجهون مع طرق الله وكم هو مقدار احتياجهم إلى عمل المسيح المُجدِّد بصورة جذرية.

عـندما يـأتي طفـلك لكي يرى خطيته (بعمل الروح القدس من خلال التدريب على الوسـائل الـتي رسمهـا الله للـتعامل مـع الأطفـال) ، يجـب أن توجهه ليسوع المسيح، المخلص الوحيد للإنسان.

كافح لمساعدة طفلك، الذي هو خاطئ أناني، انظر إلى احتياجه لنعمة المسيح ورحمته في الصـليب. تعامل مع بكاء الطفل ليحصل هو على اللعبة أولاً (وخاصة إن كنا نريد أن نجعل من "من حصل عليها أولاً؟" القضية)، بدون توجيه ومخاطبة القلب الأناني الذي

يفيض خطية، لن نستطيع أن نقوده أبداً للصليب.

يفتح التعامل مع القضايا الحقيقية للقلب الطريق باستمرار للصليب حيث يوجد الغفران للصبيان والبنات الملتوين، والمعوجين، والخطاة. إن استجابات المسيحي الحقيقي لا يمكن أن تنتج مقيدة بالقانون لأنهم يتعاملون مع الاتجاهات، وليس فقط مع السلوك الخارجي.

تطور الطباع

من المهم أن توجه القلب، وتناشد الضمير، بسبب الاهتمام بتطور الطباع في هذه الفترة المتوسطة من مرحلة الطفولة. يمكن أن تُعرف الطباع بأنها "الحياة بمثابرة مع من هو الله، ومن أنا"

تدريب الطباع:

دعونا نأخذ نوعية الطبع مثل الاعتمادية. كيف يكون التدريب بأمانة يناسب هذا التعريف؟

من هو الله	من أنا
لقد صنعني. ووضعني هنا في هذا الوقت. إنه مطلق، يجب أن أقف أمامه يوماً ما. يجب أن أعطي حساباً أمامه. لقد وعد بأن يكون قريباً من المتضعين والمنسحقين. سيساعدني لأعرف قوته ومعونته. أستطيع أن أعرفه وأقدر على طاعته. لقد وعد بالبركة لهؤلاء الأمناء.	أنا مخلوق. صُنعت بيد الله، ولأجل الله. وضعني هنا في هذا الوقت وأعطاني هذه الفرص. يجب أن أكرمه. لقد خُلقت لأمجده. وأنا أقترب منه وأطلب وجهه سيجعلني أطيعه. أستطيع أن آتي لأعرف قوته ومعونته. وعد الله أن يعطي نعمة لكل من يدعونه.

الخلفية في العمودين السابقين يشكلان أساس تواصلك مع طفلك لتساعده أن يعرف كيف يكون أميناً. أنت تريد أن تتمسك بـ "من هو الله" كأساس لصنع الاختيارات عن ماذا يجب أن يفعل ويكون. إن دعوة الإنسان كمخلوق هي أن يكون أميناً. الله لم يضع هذا المبدأ ببساطة كقانون نتبعه، وإنما أرسل لنا ابنه ليغير الناس من الداخل للخارج، فيكونون قادرين على أن يكونوا ما دعاهم أن يكونوه. إن الله سيحارب دائماً لأجل طفله. قدم نصائحك وتشجيعاتك بالطريقة المتمشية مع طبيعة طفلك وطبيعة الله.

أنت لا تستطيع، بالأمانة، أن تخبر طفلك بأنه إن حاول بجهد كاف، وإن كان صالحاً بكفاية، وإن كان يرغب حقاً، يمكنه أن يكون كما دعاه الله أن يكون. لن يستطيع. لا يمكن له هذا بعيداً عن نعمة الله والقدرة التي يعطيها. ولا أنت تستطيع أن تفعل المزيد من الأخطاء الشائعة. أنت لا تستطيع أن تحاول أن تبني الطباع الجيدة فيه بدون الرجوع إلى الله. انتهى الكثير من الناس إلى أنه إن كان طفلهم غير مؤمن، فلن يحثوه لواجبه في ضوء مبدأ "من هو الله".

إن لم تدعه ليكون ما دعاه الله أن يكون، فأنت ستنتهي بإعطائه مقاييس للإنجاز في نطاق قدراته الخاصة بعيدة عن النعمة. إنه مقياس لا يتطلب معرفة الله والثقة فيه. بكلمات أخرى، أنت إما أن تدعو أطفالك لكي يكونوا ما لا يستطيعونه بمفردهم وبدون النعمة، وإما أن تقلل المقياس، معطياً إياهم مقياساً يستطيعون حفظه. إن فعلت هذا، فأنت تقلل احتياجهم لله.

يجب أن ترغب في أن تجعل طفلك مسئولاً للقيام بمهامه التي أُعطيت له ليفعلها. إن تعليمه الاعتمادية ما هو إلا عملية وليس حدثاً. إنها تأتي من خلال أيام من الصبر والاستمرار في التمرين على القيام بالأشياء السابقة. قد يكون هناك أوقات تتأكد فيها هذه العمليات التعليمية بالضرب البدني. ولكن يجب أن تلزم نفسك بالتوجيهات الصابرة.

لقد ذكرت سابقاً، أن واحداً من أبنائي ذهب إلى حظيرة خنازير. وكان خرطوم الماء الخاص الذي يحفظ الماء أثناء الشتاء على بعد مائتي قدم من المبنى الذي كانت فيه الخنازير. تتطلب الخنازير قدراً كبيراً من الماء. يجب أن يتم حمل الماء لأن الخرطوم يمكن أن يتجمد. كان حمل هذا الماء مهمة عظيمة كل يوم. إنه يتطلب ساعةمن الحمل لصبي في سن الحادية عشر. كان يتعثر أحياناً، وينسكب الكثير من الماء. شجعناه لأن هذه المهمة كانت في استطاعته، كان واجبه أن يعتني بهذه الحيوانات والله سيساعده على القيام بهذه الوظيفة حتى ولو كانت صعبة.

بعد سنوات، كان لدي مناقشتان عن هذه الفترة في حياة ابني. إحداهما كانت مع جار لي كان يراقبه وهو يصارع مع الماء ويرغب في مساعدته. ظن هذا الرجل في ذلك الوقت أنني أرهقت ابني للغاية. والمناقشة الأخرى كانت مع ابني، الذي قال مرة بعد مرة إن هذه الأيام كانت أيام ثمينة في حياته. كانت هناك صعوبات مثل التي واجهها داود أيام صباه مع الدب والأسد. لقد أعدته هذه الصعوبات لمقاتلة جليات بقوة الرب.

بينما كان داود صغيراً، (انظر ١صم١٧ : ٣٣)، قال: *"الرب الذي أنقذني من يد الأسد ومن يد الدب هو ينقذني من يد هذا الفلسطيني"* (١صم ١٧ : ٣٧). لماذا نرى هنا، إن داود تعلم أن يثق في الرب في الأشياء الصعبة وهو صبي مع الأسد والدب، ولكننا الآن نفكر في أن أطفالنا لا يمكنهم أن يتعلموا هذه الدروس الإيمانية أيضاً؟ ما الذي يستحق أن نضع حياة أمام أطفالنا لا تتطلب حتى الإيمان، وأن نعطيهم مقاييس قادرين على الوصول إليها تكلفهم من مصادرهم الخاصة وقدراتهم الأصلية ومواهبهم الحبيسة، محولين إياهم بعيداً عن المسيح وعن صليبه.

دعونا نفكر من خلال نوعية طبع آخر. اهتمام الآباء بالأبناء في كل الأوقات هو أمر أخلاقي نقي. تذكر، يتشكل الطبع باستمرار من خلال مبدأ: "من هو الله ومن أنا".

من هو الله

لقد صنعني. إنه يمتلكني، لقد وضع الحدود في العلاقات. لقد وعد ببركات عظيمة وحماية لهؤلاء الذين يكرمونه في علاقاتهم وحذر من العبودية والخراب، اللذان يأتيان على كل من فشلوا في الحفاظ على رغباته. العلاقة التي أستمتع بها مدى الحياة هي صورة لعلاقته مع الكنيسة. الله أعطى وصاياه. ومن ثم، يمكن أن يكون معروفاً بالطريقة التي تعطي ضبط النفس.

من أنا

أنا مخلوق. صُنعت لأجل إله كلي الحكمة وبيده. لدي احتياجات لا يمكن أن تسدد سوى من خلال مسار محكوم من الله. دُعيت إلى حياة الإخلاص. أنا مسئول أمام الله عن جودة العلاقات. وأنا أكرم الله، أجد الكمال فيه والكمال في الشخص الذي رتبه لي الله. وإن لم أكرمه أو أسمح لنفسي بما منعه هو، إذن سأعاني من قلة كرامة وخجل وتجريد من الرتبة.

إنني مقتنع أنه يمكن للأطفال أن يكونوا أنقياء أخلاقياً حتى في وسط مجتمع يُسخِّر الجنس في كل تصرف ممكن.

تقدم القراءة اليومية لسفر الأمثال أوضاعاً معتادة لمناقشة نقاء الأخلاق. في (أمثال ٥)، هناك مناقشة ممتدة عن طهارة الأخلاق، وثمارها، كما عن الفوائد والابتهاج الجنسي في الطهارة. تحذرنا الفقرة من خطر الوقوع في الشرك والربط بحبال الخطية. تقدم لنا القراءة المتكررة لسفر الأمثال نتائج لفرص التفكير في أخطار الخطايا الجنسية وأفراح الحرية الجنسية في الزواج.

أمثال ٧، يوضح لنا المراة الزانية. فيرسم لنا الإغراء ونتائجه. تقدم لنا هذه الفقرات سياق مناقشة صريحة عن الجنس، وهي ممتلئة بالتحذيرات والفطنة والتوجيه.

لقد رأيت أطفالاً أدركوا هذه القضايا أثناء نموهم كمراهقين حذرين وواعيين. إنهم مقتنعين بأن الله أعطانا بهجة الجنس تماماً كما أعطانا الإطار الذي نختبره فيه (أي الزواج).

من المهم أن تدع أطفالك يعرفون أن هناك بعداً جنسياً في علاقة الوالدين. بعض المسيحيين لديهم الفكرة الخاطئة، أن أطفالهم لا يجب أن يشاهدوا الوالدين في وضع عناق حار. النتيجة أن المشاهد الخداعية في التلفزيون وفي حياة الناس الضعفاء تكون التعبير الوحيد عن الجنس الذي يشاهدونه. أنا لا أتحدث عن دعوة الأطفال إلى حجرة النوم، وإنما إلى أهمية معرفة أن هناك بعداً جنسياً في علاقة الوالدين بالنسبة لهم.

بالإضافة إلى هذه القاعدة التعليمية، يجب أن تستعد لتوجيه أفكار مشوهة عن الجنس تراها واضحة في حياة أطفالك. على سبيل المثال، الكثير من البنات الصغيرات يعلمن أن يسيرن ويجلسن بطرق خجلة ومكشوفة. هذه هي فرصة ذهبية لتعلم الفتاة الصغيرة كيف ولماذا يجب أن تعتني بنفسها بتواضع.

الأوقات التي يشترك فيها الأطفال في ألعاب تنطوي على بُعد عاطفي أو مغازلة، هي فرص ثمينة لمساعدتهم على تشكيل أفكار كتابية عن الجنس. هذه هي أوقات الحديث عن ما هي الأشياء الرائعة التي يختزنها الله لشعبه، الذين يمكنهم الاستمتاع بحياة ممتلئة بالجنس والفرح، كما أنها وقت عظيم أن تتحدث عن الدمار الفظيع الذي يمكن أن يجلبه الشخص الذي يقدم نفسه للاختبارات الجنسية خارج المسار الذي وضعه الله.

يبدأ الأطفال في اعتناق هذه الحقائق، إنهم ينمون الضبط الداخلي تجاه الخطايا الجنسية. فيدركون أن الاستغلال الجنسي ليس أمراً حقيقياً، وإنما هو تزييف لما أعطاه الله من تمتع جنسي.

رغـم أنـنا لم نحلل سوى منطقتين من تطور الطباع، إلا أن الحديث الذي أوضحناه يمكن أن يناسب أية منطقة في تطور الطباع.

تفسير السلوك من خلال الطباع

لديـنا مشـكلتان في الـتفكير بوضـوع عـن الطباع. إحداهما هو الفشل في رؤية القضايا السـابقة. يتسبب هذا الفشل في الحرمان من تطور الطباع طويل المدى. الخطر الثاني هو العجـز عن العمل في قضايا الطباع الملائمة. هذه النتائج هي رؤية فقط أمور صغيرة منعزلة من السلوك. النتيجة مرة ثانية هي الفشل في توجيه أهداف طويلة المدى للطباع.

يهـتم الآبـاء برؤية سلوك أطفالهم في صور ساذجة للغاية. نحن نرى المشاجرة حول اللعـبة ببسـاطة عـلى أنهـا مشـاجرة حـول لعـبة، في حين أنها بالفعل فشل في تفضيل الآخـرين. إنهـا أنانيـة، كـأن نقـول للآخـرين" أنـا لا أهتم بما ترغب فيه؛ أنا أريد أن أحصل على ما أريد"! إنه قرار للعيش في العالم بطريقة تكشف كل فرصة لخدمة نفسه.

أنـا لا اقـترح أن تـأخذ هـذا التحليل لأطفالك بشكل وعظة لاذعة، وإنما يجب أن تكون هذه هي رؤيتك وأنت تطلب رعايتهم ومساعدتهم على رؤية أنفسهم واحتياجاتهم.

هل تهتم بأن ترى أطفالك جشعين، شعارهم: "أنا أريد"، ولديهم وثن الامتلاك. هل تفكـر أن هـذا شـيء طبيعي، شـيء سـينتهي سـريعاً؟ إن كان الأمر هكذا، فستفشل في مسـاعدة أطفـالك لكي ما يمسكوا بالحقائق الروحية. لن تواجه الميل الخاطئ في الطبيعة البشرية. لا تتألف الحياة من وفرة الممتلكات.

كان يوم عيد ميلاد "سوزي"، وبينما كانت تتوقع كل الأموال التي يمكن أن تحصل عـليها مـن أعمامهـا وعماتهـا، بـدأت تخطـط لما ستشتريه. لقد أصبحت بالفعل سعيدة بـتوقعها لممتلكاتها الجديدة. كانت تخطط لمن ستظهر هذه الأشياء الجديدة، وتتخيل ما

سيقولونه.

كان والدا "سوزي" يهتمان بأن تتعلم أن تشكر الله لكرمه. فبكل حكمة ولطف، بدآ في توجيه هذه الاشياء. بدآ بالحديث عن مقدار تمتعها بالأشياء الجديدة التي تتوقعها، ثم بدآ في التذكر معها كيف أن كل شيء جديد يأتي بفرح وقتي. وبدأت "سوزي" تتذكر الأوقات عندما أحضرت أشياء جديدة كانت تبدو أنها ستفرحها. ومعاً، لاحظوا أنه حينما لا نشكر الله على الأشياء الجديدة، سريعاً ما نفقد بهجتها. لقد قاموا بعمل قائمة من كل الأشياء التي كانت "سوزي" سعيدة بها يوماً ما. وحالاً، كان لديهم قائمة طويلة، حتى كان الوقت الطبيعي للتوقف والصلاة، وشكر الله على كل ما أعطاهم إياه. لقد قادا بكل لطف قلبها بعيداً عن الافتخار بالمتلكات إلى نظرة كتابية وواقعية أكثر إلى بركات الله.

رؤية طويلة المدى

يجب أن تكون شخصاً يتمتع برؤية طويلة المدى. يجب أن ترى احتياج أطفالك للرعاية، ليس فقط الآنية وإنما من حيث رؤية طويلة المدى.

ربما يكون السلوك شيئاً شائعاً مثل أن يكون شخص مشاكساً في الصباح الباكر. يجب أن تفكر بخصوص هذا الالتواء، والتصرف المشاكس، ليس فقط كحدث منفرد في صباح أحد الأيام، وإنما من حيث الأثر الطويل المدى على طول الحياة. عندما أتحدث بهذه الطريقة للناس، عادة ما أسمع شيئاً مثل: "حسناً لم أكن أبداً مثل هذا الشخص في أي صباح." ربما يكون هذا حقيقياً. ولكن السؤال هو هكذا: هل هذه العادة الشخصية سبب بركة أم سبب لعنة لك؟

سيتغير اهتمامك بالطباع تعاملك مع أطفالك كما لو كانوا رضعاً. إنني أسمع أشخاصاً

يستجيبون لأطفالهم في سن المدرسة كما لو كانوا أطفالاً في سن ٣ سنوات. إنهم يسطحون الوصـايا. يسـمع أطفالهم نفس الأوامر القديمة دون نمو في البصيرة والإدراك. إنهم ليسوا مؤهلين للمرحلة التالية من النمو: سنوات المراهقة.

أسئلة تطبيقية للفصل السابع عشر:

(١) هـل يمكـنك أن تفكـر في حـالات يمكـن أن تكـون فيها قضية طباع ذات قيمة ومحورية في نمو طفلك، ولكنك غير متأكد مما يجب عليك القيام به؟

قـم بعمـل حصـر لهذه الحالات. اطلب أن تقرر ما هي القضايا طويلة المدى، وكيف يمكن توجيهها من خلال القضايا التي تم مناقشتها في هذا الفصل.

(٢) هـل يمكـنك تعـريف الحـالات الـتي حـاولت أن تعطـي طفـلك فيها مقاييس محفوظة لأنها أسهل؟

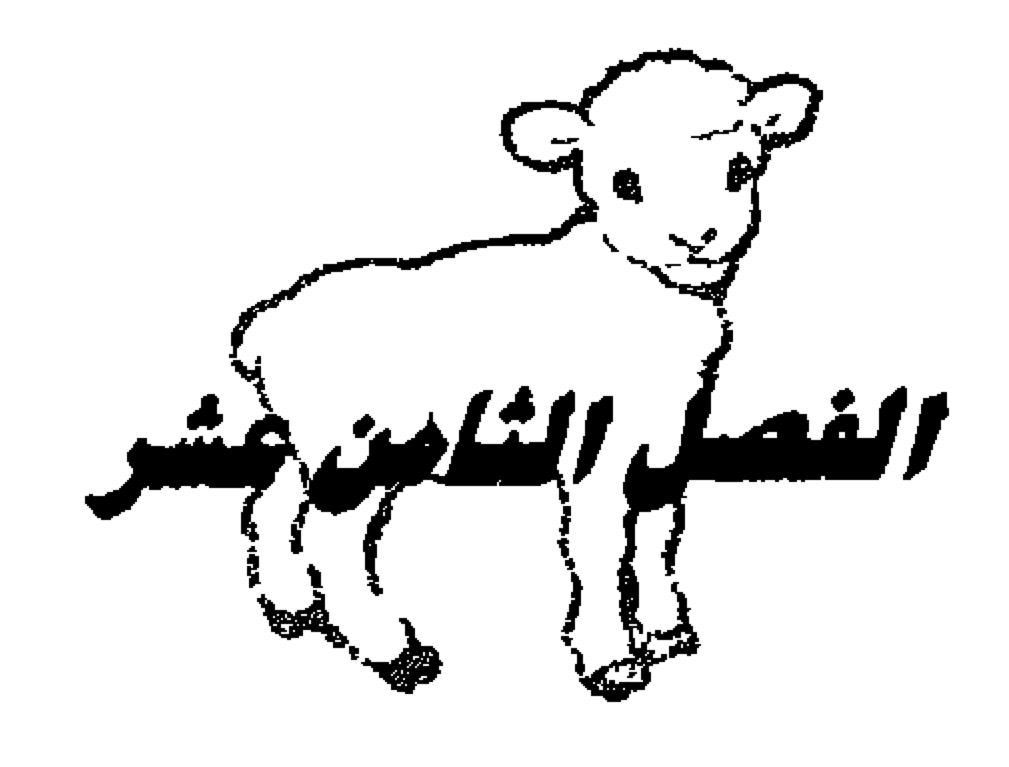
(٣) هل ترغب في قبول سلوك تتطلبه بالرغم من أنك تعرف أن الطفل لا يسلك هكذا من قلبه؟

(٤) كيف تعبر عن الاختلاف بين "متى" و"ماذا" و"لماذا" الخاصة بالسلوك؟

(٥) أيهما الأكثر قيمة؟

(٦) هل يمكنك إعطاء مثال لمناشدة الضمير؟

(٧) إن كان عليك أن تحدد خمسة أهداف تدريبية للطباع لابنك أو ابنتك، فما هي؟



الفصل الثامن عشر

المراهقة: الأهداف التدريبية

"أهلاً، بابا؟"

لاحظت الصوت في نهاية الصف، بالطبع كان ابني، الذي توقف عن المذاكرة مبكراً ليستعير سيارتي ليذهب إلى محلات التسوق.

"أهلاً، ماذا هناك؟" سألته، محاولاً أن أبدو في حالة غير رسمية واثقاً فيه.

وكانت إجابته العصبية: "لقد أغلقت على المفاتيح في السيارة."

أجبته: "حسناً، لدي مفتاح آخر في محفظتي. سآتي سريعاً."

"آه، بابا، قبل أن أغلق على المفاتيح في السيارة ... آه، قمت بحادثة ... إنها حادثة صغيرة ... ليست سيئة ... لا أعتقد أنه خطأي ... حسناً بابا، أعتقد أنني على مايرام".

يجب أن تعرف شيئاً واحداً في قيادة المراهقين أن الحوادث دائماً "حوادث صغيرة" ودائماً ليس الخطأ خطأهم!

يعيش الكثير من الأقارب في خوف من الأيام التي سيصبح فيها أطفالهم مراهقين. إنها ليست فقط الحوادث. يعيش الآباء في خوف من وجود مراهقين لأنهم يخافون من العزلة التي ستأتي بها هذه السنوات. يخافون من أن يكون لديهم هذا النوع من العلاقات التي شاهدوها بين الآباء والأطفال. لقد سمعنا كلنا مثلاً صغيراً، "أطفال صغار، مشاكل قليلة. أطفال كبار، مشاكل كبيرة".

علامات الأوقات

إن علامات الإسناد لهذه الفترة من الحياة هي بدء البلوغ. سنوات المراهقة هي سنوات ذكريات متقلقلة. فالمراهق لا هو طفل ولا هو بالغ. إنه غير متيقن مما يفعله. فإذا تصرف مثل طفل، فإنه يوبخ لكي ما "يتصرف بحسب سنه". وإذا تصرف مثل شخص بالغ، يُقال له إنه لا يجب أن يتجاوز سنه، العالم كله يبدو شيقاً ومثيراً، يحب أن يظل مراهقاً. وفي أوقات أخرى، تبدو المراهقة أمراً مخيفاً، ومدمراً، ونذير سوء، فيتمنى الفتى لو لم يواجهها أبداً.

يحب أحد أطفالنا أن يظل في عمر ١٧ سنة. في نظره، ١٧ سنة تعني عمراً رائعاً. إنه ليس صغيراً، ولكنه ليس بالغاً أيضاً. أما ابنتنا، فهي تواجه الكلية، وكل القرارات التي تبدو خطيرة. إنها تريد أن تظل فتاة – كبيرة بكفاية لتقوم بعمل بعض الأشياء، وصغيرة بكفاية لتتمتع بملجأ وحماية المنزل.

يشعر المراهقون بقابلية للجرح في أي شيء. إنهم قلقون على مظهرهم. هل لديهم الملابس المناسبة؟ هل يرتدونها بصورة سليمة؟ كيف سيفكر أصدقاؤهم في هذا القميص، أو هذا الفستان أو قص الشعر هكذا؟ ماذا لو ذهبوا إلى مكان ما كل من فيه يرتدي شيئاً مختلفاً.

يشعر المراهقون بالقلق على فهمهم للحياة. هل سيعرفون الأشياء الصحيحة لكي ما يفعلوها أو يقولوها في المطعم؟ يشعرون بالقلق إن كانت معلوماتهم كبيرة بكفاية لكي يروا أنفسهم من خلال مواقف يشتاقون لاختبارها.

إنهم غير مستقرين في عالم من الأفكار. لقد جعلنا من مائدة الطعام مكاناً للمناقشات السياسية، والأحداث الحالية، والأفكار الشائعة في المجتمع المعاصر. لا يوجد من يتمتع بقدرة المراهق على الجدال في كل الجوانب لكل فكرة على حدة في المناقشة. لماذا هذا؟ لأنه، ولأول مرة، يحاول أن يصيغ شخصيته الاستقلالية في عالم الأفكار. إنه يعرف تماماً كيف يشترك في المناقشة، ولكن أفكاره ليست تامة النضج.

يشعر المراهقون بالتزعزع بخصوص جسدهم. يقضي المراهقون وقتاً طويلاً أمام المرآة. إنهم قلقون تجاه نموهم بانتظام.

يختبر المراهقون الخوف من شخصيتهم. إنهم يتعجبون، إن كانوا جادين بكفاية، أم مرحين بكفاية، أم مبدعين، أم هادئين؟ كان أحد أطفالنا صريحاً بخصوص مخاوفه كان يلّمح أنه قرر أن يغير شخصيته. أحياناً كان يغير شخصيته أكثر مما يغير ملابسه. إنه لا يعرف بعد أن الشخصية يجب أن تكون مرنة؛ ما كان يعكسه حقاً هو عدم تأكد لما هو عليه.

في حين أن هذه هي فترة عدم استقرار، وقلق، وإمكانية السقوط، إلا أنها أيضاً فترة المفارقات، حيث يطلب المراهق تأسيس شخصية مستقلة. يرغب الفتى أن يكون هو نفسه. بينما احتياجه للتوجيه لم يكن أعظم من هذا الوقت، إنه سيقاوم كل محاولات علنية لتطويقه.

التمرد

سنوات المراهقة هي عادة سنوات الثورة والتمرد. بعض حالات التمرد هي ببساطة محاولات ضالة لتحقيق الفردية. ولكن عادة ما يكون لتمرد المراهق جذور أعمق. عند بعض المراهقين يكون التمرد تعبيراً عن التمرد الذي كان كامناً منذ طفولته.

يفشل أحياناً الآباء في فهم هذا. لقد تحدثت مع بعض الآباء الذين نسبوا التمرد لحقيقة أن الأسرة غيرت محل إقامتها، أو أن الطفل اتخذ له أصدقاء جدداً، أو بدأوا في الاستماع للموسيقى الصاخبة. بينما يجب علينا أن نعرف سريعاً، أن انتقال الأسرة يمكن أن يجرح، وأن الأصدقاء يمكن أن يكون لهم تأثير سيء وأن بعض الموسيقى توضح التمرد، المشكلة أعمق من كل هذا.

تذكرت رؤيتي لأب يُقوِّم ابنه، الذي في الفصل الرابع. كان يلوم الابن (أمام الآخرين) ويطلب منه أن يطيعه. وبينما هو يطيع، كانت التكشيرة على وجهه تعلن غضبه وعداءه تجاه والده. ما الذي جعله لا يعلن تمرده حتى هذا الوقت؟ ببساطة: كان صغيراً ولا يزال يخاف والده ولا يجرؤ على توضيح غضبه الذي شعر به. فقط أظهره في تجهمه.

بعد سنوات، تمرد هذا الصبي. فقد صادق بعض الأصدقاء الأشرار، وسمع موسيقى مضاد للمجتمع. ولكن بذار التمرد لم تُبذر من الأصدقاء المتمردين. إن فكرته الجريئة لم تبدأ بالقصائد المضادة للمجتمع التي لها موسيقى صاخبة. وإنما تمرد قلبه كان تعبيراً عن ما شعر به كطفل في الصف الرابع عانى من الإهانات أمام الجيمع.

أشعر بالذهول دائماً تجاه سرعة وجرأة المراهقين حين يلتقون ببعض. المراهق المتمرد، الجديد بالمدرسة، سيجد سريعاً أصدقاء متمردين. لماذا؟ إن المراهق يسقط في شركة التمرد لأنه ثائر. إنه لا يصبح متمرداً بسبب شركة التمرد التي يشترك فيها.

حين يكون الطفل صغيراً، قد يشعر بالتمرد في بعض الأحيان. قد يعبر عن تمرده في بعض المناسبات. وطالما كان صغيراً، ومعتمداً بالكامل على والديه، فهو لا يستطيع أن يثور. إنه مازال يحتاج إليهما، ما زال لديهما الكثير من القوة. على أية حال، بمجرد أن يبدأ في تصور قدرته على الحياة بمفرده بدون والديه، فإنه يبدأ في إظهار تمرده. وعادة ما يظهر الآباء أنهم في مفاجأة، في حين أنهم يتوقعون هذه الثورة منذ سنوات.

ثلاثة أساسات للحياة

ما هي أهداف الأبوة في هذه الفترة من الحياة؟ ما الذي ترجو إتمامه؟ ما هي صبات الأساسات التي يمكن أن تضعها بحيث تكون أكثر صلابة من أفكارك الشخصية؟ ما هي الأهداف التي على قدر من البساطة بحيث تتذكرها، وشاملة بدرجة كافية تجعلها تدبر توجيهاً واسعاً قابل للتطبيق؟

يقدم سفر الأمثال ١: ٧-١٩ توجيهات غنية، فهناك ثلاثة أساسات للحياة في هذا المقطع: مخافة الرب (آية ٧)، وتطبيق توجيهات الوالدين (آية ٨-٩)، والابتعاد عن الأشرار (آية ١٠-١٩).

ولعلك تشتاق أن ترى توجيهات يومية عبر حياة طفلك تعلن لهم وتصير أمراً داخلياً فيهم.

مخافة الرب:

أول أساسيات الحياة هو المسير في مخافة الرب. يقول الكتاب في (أمثال ١: ٧): *"مخافة الرب رأس المعرفة أما الجاهلون فيحتقرون الحكمة والأدب"*. إن طفلك في سن المراهقة على أعتاب حياة الاستقلالية عنك. إنه بالفعل يصنع اختيارات لها تأثير عظيم على حياته. إنه يصنع قرارات ثمينة كل يوم.

تذكر الصورة رقم ٣، الرسم التوضيحي يعكس توجه الفرد نحو الله. إنه رسم توضيحي مُقسم لأن كل إنسان لديه توجه نحو الله. يعبد كل شخص إما الله وإما الأصنام. يحيا كل شخص في شيء من مخافة إما الله وإما الأصنام.

يجب أن يتحرك ابنك المراهق من خلال إحساس بمهابة الله وتوقيره. أنت تريد أن تعكس الاختيارات التي يصنعها نمواً في فهم ماذا يعني أن يعبد الله. إن كانت الإجابة هي "لا"، فماذا يعبد طفلك؟ يجب أن تواجه عدم منطقية عبادته لإله غير حقيقي.

تعني الحياة في مخافة الله، الحياة في إدراك تقديم حسابك له. إنها الحياة في ضوء حقيقة أنه هو الله ونحن خليقته. إنه يرى الكل؛ كل شيء مكشوف أمامه. الحياة في مخافة الله تعني الحياة في ملء ضوء الله كإله قدوس دعا شعبه للقداسة.

اجعل هدفك أن تقرأ أسفار أنبياء العهد القديم الكبار والصغار مع أبنائك وبناتك في فترة المراهقة. أطفالك هم جزء من مجتمع كرازي معاصر يعاني من ضعف رؤية الله. تواجهك قراءة الأنبياء بإله قدوس مهوب ومستعد أن يحفظ شعبه حتى يوم الحساب. لقد تحدثت مع أطفالي المراهقين عن الاحتياج الشديد لتوازن مع العبارات الشائعة: "ابتسم، الله يحبك". يمكن أن نقول أيضاً: "انتفض، الله سيشعل النيران".

اجعل أطفالك يدركون أن الموضوع الرئيسي لأكثر من ثلث الكتاب المقدس هو الدينونة.

مثل أية جانب من الحق الكتابي، إن مفتاح النمو ليس هو التعريف المعرفي للحق. إنه فهم صلة الحق في الحياة اليومية. يجب أن تفهم أنت وأطفالك مخافة الرب بطريقة يمكن أن تعيد تنظيم حياتك.

يجب أن تجعل مخافة الرب تعمل في الحياة اليومية. على سبيل المثال، مشكلة

صراع المراهقين مع الخوف من الإنسان. إنهم قلقون بخصوص كيف سيفكر فيهم أصدقائهم، إن قراراتهم مؤسسة على الخوف من استهجان الزملاء. ضغط الآخر يؤثر ببساطة في مخافة الإنسان أكثر من مخافة الله.

ما يجب أن تفعله هو رعاية أطفالك المراهقين في اتجاه الحياة من خلال مخافة الله عوضاً عن مخافة الإنسان. يجب أن تساعدهم لكي ما يروا حقيقة معرفة الله الذي يشعل النيران.

يجب أن تتحدث معهم، تساعدهم أن يروا الطرق التي يختبرون فيها مخافة الإنسان. يجب أن تساعدهم لكي يدركوا العبودية التي تنتج عن الحياة لرضا الآخرين. ساعدهم أن يروا عبث ووثنية تنظيم الحياة حول الرغبة في نوال الاستحسان.

عادة، ما يكون أفضل طريق لتعليم هذه الأشياء هي مشاركة اختبار الشخص. كان أطفالي كلهم في عمر المراهقة عندما بدأت الدراسة لدرجة الدكتوراة في مركز ويستمنستر اللاهوتي. كنت أرعى كنيسة وفصولاً دراسية يوماً كل أسبوع. كانت فصولي يوم الخميس. وكنت كل ليلة أربعاء، أسهر حتى منتصف الليل. وفي إحدى ليالي الأربعاء حوالي الساعة ٢ صباحاً. كنت أطرق بجنون على المكتب. وكانت زوجتي تطرق على الآلة الكتابية، لكي ما تكتب مسودة لما أكتبه. وفجأة، بدأت أفتكر فيما أفعله. ها أنا محروم من النوم، وزوجتي الصبورة كانت تعمل خلال الليل. وفي الصباح، كانت قادرة على مواجهة فصل ممتلئ من الشباب كمدرسة بالمدرسة. كان من الممكن أن تكون مجهدة. كان من المغامرة أن أقود السيارة في طريقي إلى فيلادلفيا.

كان يجب أن أسأل نفسي، لماذا أفعل هذا؟ هل كنت مقتنعاً بأن الله يريدني أن أتجاهل نومي ونوم زوجتي؟ هل كنت على يقين من أن حق الله وبره يتطلبان مني أن أعمل أثناء الليل؟ كلا! لم أكن منقاداً بمخافة الرب. كنت منقاداً بمخافة الإنسان. أردت

أن أكـون أستاذاً لكي يُعاملني الأساتذة كراع كفء وخبير. كنت أخاف من استنكارهم، وكـنت أتـوق إلى رضاهم. وفي كبريائي وخوفي من الإنسان اتخذت قراري مبنياً على رضا الإنسـان، وليـس على رضا الله. صليت هذه الليلة، واعترفت بخطاياي لزوجتي والله، قدمت توبة عن الحياة في مخافة الإنسان.

شـاركت هـذه الخـبرة مـع أطفالي في سـن المراهقة مقدماً الكثير من أوقات المناقشة المـثمرة. كانوا يقدمون أمثلة للاختيارات كالتي صنعتها. كانوا يستطيعون رؤية متى فعلوا نفـس هـذه الأشـياء، كمـا أدركـوا أيضـاً كـم أن مخافة الرب بها حرية أكثر من مخافة الإنسان.

هـناك كـثير مـن الـناس يسـرعون بجزع إلى مساعدة المراهقين لكي ما يدركوا أهمية مخافـة الله، إذ مـن المعـتاد أن نعـتقد أن هؤلاء المراهقين لا يقدرون على الانقياد بدوافع صالحة.

لسـت متأكداً ما الذي يخلق شكاً عظيماً. هل يمكن أن يعرف المراهقين مخافة الله، أو أن الآبـاء يمكن أن يعلموهم؟ إنني أقدم هذا التشجيع: إن أراد الله لأطفالك أن يعرفوا مخافته، فبالتأكيد أن هؤلاء الناس الموضوع على عاتقهم توجيههم (الوالدان) سيقدرون أن يعلموهم.

المـراهق الـذي يفهـم مخافـة الله سـيخلُص من الخطر، ويمتلك الحكمة. وسينمو في معرفة الله.

التمسك بتوجيهات الأبوة:

الأساس الثاني للحياة هو التمسك بتوجيهات الأبوة. نقرأ في سفر الأمثال ١: ٨-٩:

"اسمـع يـا ابـني تـأديب أبيك ولا ترفض شريعة أمك لأنهما إكليل نعمة لرأسك وقلائد

لعنقك"

الشاب الصغير الذي يتمسك بتوجيهات والديه سيبُارك بغنى.

عادة ما يفترض أن الطفل المراهق سيجد أن والديه ليس لهما شأن به. والأكثر توقعاً أنه في سنوات المراهقة، تكون علاقة الأب وابنه ضرورة وملائمة أكثر من كونها اختياراً.

يحمل (أمثال ١: ٨-٩) رؤية أطفال يرون في آبائهم مصدر الحكمة والتوجيه. إنه يؤكد أن الأطفال سيغتنون ويستفيدون كثيراً عندما يتمسكون بقيم آبائهم وتوجيهاتهم. عوضاً عن أن ينبذ الشباب والديهم كأشخاص لا شأن لهما بهم، يوجههم سليمان أن يتوجهوا إلى والديهم.

هل هذا يفاجئك؟

من الذي يجب أن يكون وثيق الصلة بأطفالك؟ أنت تعرفهم. أنت تعرف الفرق الكبير في شخصياتهم. أنت تعرف مناطق القوة والضعف فيها. أنت تعرف خبرات حياتهم، تفهمهم، كما أنك تعرف الله. أنت لديك كلمة الله، وتعرف طرق الله. لقد صارعت وقاتلت لتحيا حياة مسيحية. أنت تفهم التأديب وأبعاد الحياة المسيحية، تفهم العالم الذي يعيشون فيه، وتفهم الضغوط التي يواجهونها الآن.أنت ملتزم تجاههم وتجاه الله. لا يوجد شخص يحبهم أكثر منك، فأنت ملتزم تجاههم بشدة وبعمق، وتقبلهم بلا شروط. لا يوجد من سيكون أميناً أكثر منك، أو أحن منك عليهم. لذا فإن تخليهم عن توجيهات وتعاليم الأب والأم هو مخاطرة غير محمودة.

إن كنت تحيا بأمانة مع الله ومع أطفالك، فلن يكون هناك أي شيء مما سبق مبالغاً فيه. إن كنت تشارك خبرات حياتك بأمانة، وتشارك كيف أتيت لمعرفة الله بصورة أعمق، وحين وجدته أكثر شعرت أكثر بالاكتفاء، فإنك تظهر قدرة الإيمان بالمسيح.

يجب أن تكون علاقتك بأطفالك أمينة. لا تعطي نصيحة تناسب اقتناعك أو تجنبك المشـاكل أو الإحـراج. يجـب أن تكـون أبـاً لديه الأدلة على أنك لا تستغل أطفالك بأية طريقة. إن كانت هذه الأمور في موضعها الصحيح، فإن أطفالك لن يرغبوا بصورة عامة في الابتعاد عن دائرة توجيهاتك الأبوية.

عـندما كـان ابننا في الكلية، كان يفكر في أن يأخذ عطلة نهاية أسبوع طويلة يذهب فيهـا إلى رحـلة بالدراجـة لحوالي ٣٠٠ كم. لقد اتصل للمشورة، كان قد قام بعمل جيد عـندما درس التفاصـيل الضـرورية بصـورة صائبة لكي ما يتخذ القرار الصحيح. على أية حـال، لقـد اتصـل ليـتأكد من ملائمة الفكرة من والده ووالدته. لماذا فعل هذا؟ ليس لأننا طلبنا منه هذا. ولا لأنه متزعزع في صنع القرارات، وإنما لأنه مقتنع أننا موجهون موثوق بهـم. كمـا أنـه يعـرف أننا لن نتخذ القرار بالنيابة عنه. وإنما ببساطة سنساعده لكي ما يمتحن كل المعلومات الهامة التي لديه.

إن بقاءنـا في المشـهد للإرشـاد، هـو فقط جزء من التمسك بتوجيهات الأبوة. كما أن هناك عنصراً آخر مهماً، يتطلب التمسك بتوجيهات الأبوة أيضاً الاحتفاظ بتركيبة الحق كمـا تعلمت. إن هـذا يعـني أن تحيـا وتعمـل مـن خـلال إطـار الحق من حيث تتلقى التوجيهات.

كـان "هـارون" نموذجاً جيداً لهذا. عندما كان في المدرسة الثانوية الإنجليزية، كان عـليه أن يقـوم بعمـل تدريـبات لـتقييم بعـض القضايا. فتُطرح مشكلة أخلاقية لتقييم ما تـنطوي عـليه مـن قيـم، وقـد ظهـرت الطـبيعة الهشة للقيم التي ظن الطلبة أنها ثابتة. طرحت المدرسة المشكلة الأخلاقية وفتحت المناقشة بالفصل. وبعد الفصل أصبحت أبعاد المشـكلة الأخلاقيـة واضـحة. قـدم "هـارون" اقتراحـه، الـذي حـل المشكلة. انقاد تبعاً لـتوجيهات والديـه، فقدم حلاً كتابياً ترك المدرسة صامتة. وتمتمت: "هارون، إنه حل

ممتاز، إن إجابتك كانت أفضل من التي قُدمت في الكتاب".

إن تمسك "هارون" بتوجيهات الأبوة ساعده، بلا إعاقة من المناخ الذهني الذي بلا قيمة في عهدنا هذا، على حل المشكلة. إن تأسيس الأطفال بالتوجيهات الكتابية له أثر إيجابي في المناخ التعليمي. فحتى المدرسة ضاعت في بحر من اللامبادئ أو القيم (انظر مزمور ١١٩: ٩٩—١٠٠).

إطار التوجيهات الأبوية:

وضع الإطار المبدئي للتوجيهات الأبوية من قبل في (تثنية ٦). إنه السياق الطبيعي للحياة اليومية. فيرى أطفالك قوة حياة الإيمان كما يرونك تحياها. أنت لا تحتاج لأن تكون كاملاً، وإنما ببساطة تحتاج أن تكون رجل أمانة يحيا حياة الغنى والحق القوي في كلمة الله.

وسواء كنت تشاهد الفيديو أو تلعب لعبة، سواء كنت تقوم بعمل أو بمكالمة تليفونية غير مهمة، سواء كنت ناجحاً أو غارقاً في الفشل، في السياق الطبيعي للحياة اليومية، يجب أن تظهر قوة وقدرة الإيمان المسيحي.

العبادة العائلية:

تقدم العبادة العائلية إطاراً خاصاً للتوجيهات. هناك خطر أن تكون العبادة العائلية واجباً حتمياً. أعرف رجالاً يحيون حياة إباحية ويفتخرون بأنفسهم أنهم لا يفتقدون العبادة العائلية أبداً.

يجب أن تتصل العبادة العائلية بالعالم والحياة كما يختبرها طفلك المراهق، كما يجب أن تخاطب الحياة العائلية بطرق حياتية القضايا التي يواجهها أطفالك المراهقون.

كانت "دونا" أرملة لها ثلاثة أطفال في سن المراهقة. أصبحت ابنتها الكبرى ميالة لشاب وتقيم صداقات معه. بصورة أكثر، أصبح الشاب ميالاً إليها. كانت "دونا" مشغولة بالعلاقات التي تتطور بين ابنتها وصديقها. لم تبدو هذه العلاقة سلبية، ولكنها كانت مشغولة. كانت تخاف من عدم حفظ ابنتها لمقاييس هامة في علاقتها بهذا الشاب الصغير.

عرفت "دونا" أن كلمة الله دقيقة في وصف الأشخاص واحتياجاتهم. عرفت أن الوعود والتحذيرات مفصلة تماماً على احتياجات كل الناس. عرفت أن الاحتياجات العميقة سواء لابنتها أو لصديقها، يمكن أن تُسدد في إطار معرفة طرق الله. عرفت أن حق الله هو إقرار ذاتي ويمكن أن يصنع صداه في هذا الشاب الصغير وابنتها.

لقد نالت "دونا" المساعدة لكي تقوم بعمل دراسة للكتاب المقدس بصورة شاملة فيما يتعلق بالعلاقات. فدرست هي وابنتها والشاب الصغير الكتاب المقدس معاً. لقد تمتع الشباب كثيراً حتى أن "دونا" واجهت متاعب لكي ما تعد نفسها سريعاً لتحافظ على وجودها في المقدمة في الوقت المعتاد للدراسة.

تصور القصة السابقة، العبادة العائلية التي من شأنها أن تربط بين أعضاء الأسرة. إن العبادة العائلية تخاطب اهتمامات واحتياجات المراهقين. لم تحتاج "دونا" أن تسعى وراء أبنائها بالكتاب المقدس. وإنما هم الذين سعوا وراءها. قد نتذكر دائماً أن كلمة الله قوية. الإيمان يأتي بالسماع والسماع بكلمة المسيح.

الابتعاد عن الأشرار:

نجد الأساس الثالث في (أمثال ١: ١٠): *"يا ابني إن تملقك الخطاة فلا ترض"*. إن سليمان يدعو ابنه لتجنب الأشرار. يفهم الله مشكلة تأثير الناس. سيتعلم الشخص الذي

يحيا في شركة مع الناس الأشرار طرقهم.

بينما ما أكتبه حقيقة، إلا أنني لم أستطع أن أكشف عن نبوغ هذه الفقرة. هذه الفقرة لا تخبرنا ببساطة أن نبتعد عن الأشرار. وإنما تخبرنا أيضاً لماذا ينجذب أبناؤنا لمثل هذه العلاقات. في الأعداد ١٠-١٩ من هذا الأصحاح، هناك تجمع لأكثر من ٢٠ ضمير. لاحظ هذا معي:

إن قالوا هلم معنا ... فنجد كل قنية فاخرة

تلقي قرعتك وسطنا يكون لنا جميعا كيس واحد

ما الذي يعلنه (أمثال ١) للشاب الصغير؟ إنه الانتماء. إن الجاذبية في اتباع الأشرار هو الصداقة والمرافقة. إن المدخل هو الاحتياج الإنساني الشديد لمشاركة التبادلية مع الآخرين. يحتاج أطفالك للانتماء.

كنت قسيساً جديداً عندما قمت بزيارة رعوية في إحدى أمسيات الصيف. وأنا ارتشف الشاي وأتحدث مع زوجين في منصف العمر، كانت ابنتهما تهبط على السلم. وكانت ترتدي ملابس جريئة ومبهرجة. وهي تدخل إلى حجرة المعيشة، تحدث والدها إليها بخشونة: "إلى أين تريدين أن تذهبي يا فتاة؟" سألها بصوت حاد. أجابته بكلمة واحدة: "خارجاً". فأجابها: "لن تذهبي إلى أي مكان وأنت ترتدين هكذا" ثم أضاف: "أنت تبدين غير مؤدبة!" لكنها أغلقت الباب وراءها وذهبت.

ليس لدي أي فكرة ماذا حدث باقي هذا المساء. لم أكن متأكداً كم أمضيت من الوقت أو عما تحدثت فيه. كل ما استطعت التفكير فيه الحالة السيئة التي كانت تعاني منها الأسرة التي كنت أزورها.

لا عجب أن تترك الابنة المنزل سريعاً بقدر ما تستطيع أرجلها أن تحملها. أنا أيضاً

لم أكن أريد البقاء هناك. *إن أقوى طريقة تحافظ بها على أطفالك من الانجذاب لعروض مجالسة الأشرار هو أن تجعل من المنزل مكاناً جذاباً لهم.*

لا يهرب الشباب الصغير من أماكن يشعر فيها أنه محبوب ومقبول بلا شروط. إنه لا يهرب بعيداً عن المنزل الذي يوجد فيه علاقات صلبة. إنه لا يهرب من منزل تقوم فيه الأسرة بتخطيط أنشطة وتقوم بعمل أشياء مثيرة.

قمت منذ فترة بعمل دليل لرحلة بالدراجة لمسافة نحو ١٠٠٠ كم يمكن أن نقوم بها كأسرة. هذه الرحلة كانت حافز لتفاعل الأسرة للعامين التاليين. لقد خططنا معاً، وعملنا قوائم للأجهزة المطلوبة. اشترينا دراجات ورتبنا تجهيزات المخيم. وفكرنا في الخرائط، وخططنا طريقنا. قرأنا الكتب عن جولة الدراجة لنتعلم من الآخرين. تدربنا حتى نستطيع أن نستعد بدنياً. والأطفال أخبروا أصدقاءهم عن خطتنا. شعروا كما لو كانوا ينتمون إلى أسرة خاصة تقوم بعمل أشياء غير معتادة. تلك الأجازة التي قضينا على الدراجات، قدمت إحساساً بوحدانية القصد. قدمت إحساساً بالانتماء خلال وقت عصيب في حياة أطفالنا الثلاثة.

كانت النقطة: هناك إغراءات على أطفالنا للصداقة مع الأشرار. لذا يجب أن نعمل لكي ما نجعل منزلنا مكاناً جذاباً. *يجب أن يكون المنزل هو اللجأ حيث يكون المراهق محبوباً، ومفهوماً، حيث التشجيع وتوضيح طرق الحياة.*

يجب أن تظهر هذه الأساسات الثلاثة للحياة من خلال كل مناقشة مع أطفالك المراهقين: *مخافة الرب، التمسك بتوجيهات الأبوة، تجنب الأشرار.* عندما يفعلون هذا، نستطيع ان نتوقع استحسان الله أن يستقر على مجهوداتنا.

أسئلة تطبيقية على الفصل الثامن عشر:

(١) ما هي القضايا القابلة للتفاوض التي يمكن أن تمكن أطفالك المراهقين من أن يعبروا عن استقلاليتهم عنك بطرق إيجابية؟

(٢) هل ترى أي تمرد يمكن أن يكون ذا صلة بالأخطاء المبكرة في أبوتك؟ ماذا يمكنك أن تفعل لتفتح المناقشة في هذه الأمور؟

(٣) هل تشعر بالراحة تجاه مساعدتك لطفلك لكي ما يرى الله مهوباً ومرهوباً؟ كيف يمكنك أن تكتشف ما تضمنه (عبرانيين ١٢: ٢٩) الذي يعلن أن "... إلهنا نار آكلة"؟

(٤) ما هي الأجزاء التي تستطيع أن تقرأها من كلمة الله مع أطفالك لتؤكد هذا الجانب من شخصية الله؟

(٥) ماذا تستطيع أن تفعل لكي ما تقدم إطاراً لتوجيهات الأبوة المناسب لأطفالك المراهقين؟

(٦) هل ترغب في مشاركة خبراتك الشخصية كطريق لمساعدة أطفالك لكي ما يفكروا في طرق الله؟

(٧) ما هي بعض مشاريع دراسة الكتاب المفيدة لك ولأطفالك المراهقين؟

(٨) هل توفر منزلاً يشعر فيه أطفالك المراهقون أنهم محبوبون ومقبولون؟ هل يشعر أصدقاؤهم أنك ترحب بهم في منزلك، سواء كانوا مؤمنين أم لا؟

(٩) ما الذي يمكن أن تفعله لتوفر إحساساً خاصاً بالانتماء لأطفالك؟



الفصل التاسع عشر

المراهقة:
العمليات التدريبية

ذهبت إلى خلوة في نهاية الأسبوع لتنشئة أبنائي المراهقين. كان أطفالي تقريباً مراهقين لذا كان رجائي أن أتعلم الاستعداد لما هو آتٍ. كان المتحدث رائعاً، خفيف الظل، وكان عرضه سخياً في التوضيح بالأرقام والفكاهات المستوحاة من خبراته الشخصية.

ولكن الخلوة تركتني غير مستقر. كانت تبدو كل القصص وكأنها عن أب وابنه يحاول أن يخدع كل منهما الآخر.

تذكرت الاعتقاد بأنه إن احتفظنا بأطفالنا معتمدين علينا خادعين إياهم، فإننا نفشل. إنني الآن مقتنع أن تنشئة المراهقين ليس أمر مناورة معهم. وإنما هو أمر أكثر إثارة ومشبع أكثر من هذا.

جعل الإنجيل داخل الإنسان

إن جعل الإنجيل داخل الإنسان هو عملية اعتناق أطفالك لأمور الله لتكون هي إيمانهم الحي الخاص. يجب أن تكون رغبتك في هذه الفترة هي أن ترى أطفالك ينمون

مستقلين بذاتهم كأشخاص تحت سلطة اله.

يتطلب جعل الإنجيل داخل الإنسان عمل الروح القدس في الطفل. لا يستطيع أي أب أن يقوم بهذا العمل؛ ولا يمكنك الوصول إليه من خلال مساعيك. إن سعيك، على أية حال، على رجاء تحقيق الرب لعهده، يعمل من خلال وسائل. وبينما لا تجرؤ على استغلال رحمته المطلقة، إلا أنك تستطيع أن تعمل متوقعاً أن بشارة الإنجيل لها قوتها.

إن اشتياقات قلبك في كل طور من أطوار تربية الطفل هو أن ترى أطفالك يجعلون الإنجيل في داخلهم. إنه هدفك في كل تدريباتك، وفي كل توسلاتك، وفي كل تقويمك، وفي كل تأديبك، هو أن ترى أطفالك يأتون إلى مكان حيث يعتنقون مبادئ الإيمان المسيحي.

إن سبب رعايتك لقلوبهم، ومناشدة ضمائرهم، مُركزاً على قضايا الطباع في التقويم والتأديب، ومخاطبة القلب كنبع الحياة، ورفضك أن تعطيهم مقاييس يمكن أن يحتفظوا بها تزيل احتياجهم للمسيح، سبب كل هذا هو رغبتك أن تراهم يأتون لمعرفة الله. أنت تريدهم أن يدركوا احتياجهم لله، وأن يؤمنوا بالمسيح، وأن يروا حياتهم في ضوء ملكوت الله.

إن جعل الإنجيل داخل الإنسان هو ثمر كل ما قدمناه. تذكر معي الصورة رقم ٣، التي توضح التوجه نحو الله. إن جعل الإنجيل داخل الإنسان هو أن يصل أطفالك للنضج كأشخاص يعرفون ويعبدون الله.

كثيراً ما سئلت: "هل تعتقد أن أبناءك سيصيرون مسيحيين حقيقيين؟ يبحث بعض الآباء عن وعد في الكتاب المقدس يؤكد أن أبناءهم سيصيرون مؤمنين حقيقيين. إنني لا أعتقد أن مثل هذا الوعد موجود في الكتاب المقدس.

إنني سئلت: "ألا تعتقد أنك إن أنشأت أطفالك بالصورة الصحيحة، فإن الله يعدك بأن يخلصهم؟" إن كان مثل هذا الوعد موجوداً، فإنه لا يريحني. أنا لم أنشأهم جيداً بصورة كافية. فإذا نظرت إلى حياتهم، فإنني أرغب أن أشترك في صفوف الأشخاص الذين يرغبون في أن يعيدون تربية أبنائهم مرة ثانية. إنني مدرك جيداً المساوئ والقصور.

يجب أن يكون واضحاً من الآن أنني لا أتحدث عن "خلاصهم" بمعنى حدوثه نتيجة لحدث كرازي. وإنما أتصور قيادتهم من خلال مسار أعمق من تفهم التواصل مع الله، والالتزام تجاهه. ستكون التوبة أمام الله والإيمان بالرب يسوع المسيح جزءاً من هذه الحياة من الإدراك العميق لله والتواصل معه.

إن لديك سبباً للرجاء كأب يشتاق أن ترى أطفالك لديهم إيمان. الرجاء هو قوة بشارة الإنجيل. تناسب بشارة الإنجيل حالة كل إنسان. إن بشارة الإنجيل جذابة. قد أظهر الله بالفعل رحمة عظيمة لأطفالك، فقد أعطاهم مكاناً به تميز غني. وقد وضعهم في منزل يمكنهم فيه سماع حقه. لقد رأوا قوة النعمة في تغيير حياة شعبه. إن صلاتك وتوقعك هو أن بشارة الإنجيل ستغلب مقاومتهم كما فعلت معك.

تسمح معظم الكتب التي كُتبت عن المراهقين بالتمرد أو على الأقل تمتحن حدود تحكم الآباء. إن افتراضي هو العكس. افتراضي هو أنك قمت بمهمتك الأبوية بأمانة وكذلك أطفالك، جاء في الرسالة إلى تيطس ١: ٦: "ليسوا في شكاية الخلاعة ولا متمردين".

إن كنت محبطاً، وتشعر أن أطفالك المراهقين يصعب التحكم فيهم، حتى أنك في متاعب عظيمة في علاقتك، إنني أشير إليك إلى ما قيل سابقاً: التحول لله بالتوبة مع أسرتك، مع وضع أهداف جديدة، بنعمة الله، سيأتي هذا بك إلى الإصلاح. اطلب الله الذي يستطيع أن يجعل المعوج مستقيماً.

أشعر بالفرح عند رؤيتي عائلات تعمل خلال أوقات الألم العظيم وعائلات تكدح من في سنوات المراهقة عند أبنائها. لقد أعطاهم الله نعمة وأمانة لكي ما يطلبوه خلال هذا الليل الطويل من المعاناة، وقد أحضرهم إلى يوم جديد من الفرح والسلام. إنهم يستطيعون العمل في ملكوت الله بتضافر مع أطفالهم المتمردين.

رعاية جعل الإنجيل داخل الإنسان

إن دورك خلال هذه الفترة هو دور رعاية وتشجيع الطفل ومحاولة التأثير عليه في عملية جعل الإنجيل داخل الإنسان.

لقد علمت طفلك عن الله. وقد أريته صفاته. وأعلنت له مجده، تكون قد جعلت أمامه بركات الحياة تحت رعاية الله الحامية. إذا تحدثت له عن النهاية الرئيسية للإنسان: "مجد الله وتمتعه للأبد"، وحذرته بخصوص مخاطر عدم محبة الله والثقة فيه، وهو قد قبل ما قلته لك، فإنه في طبيعته الطفولية سيصدق سريعاً.

في سنوات مراهقته، يستقبل معلومات جديدة. إنه ينمو مدركاً انكساره وإثمه. لقد قبل المقاييس التي تعلمها. والآن في وعيه الذاتي المتنامي، يتواجه مع عجزه لعمل ما يجب عمله. فهو لم يصبح أسوأ مما كان في كل حياته، إنه ببساطة أكثر إدراكاً لضعفاته واحتياجاته.

إنه دائماً يواجه بإدراك متزايد أن كل شخص لا يؤمن كما تعلم. فهو يقرأ كتباً، ويسمع ويتعلم أشياء تتحدى كل شيء تعلم أن يؤمن به.

إن مهمتك كأب هو أن ترعى وتنشئ تفاعله مع الإنجيل. ما الذي سيتيح لك المدخل لهذا المراهق الذي ينمو ويتغير إلى النضج؟

تطوير علاقة رعاية مع المراهقين

أعـتقد أنـك نجحـت في تعامـلك مع أول مرحلتين في نمو طفلك، وأن الروح القدس عمـل من خلال هذه الوسائل، لذا فإن دورك ليس علاجياً، وإنما توجيهياً. فقد أسست دورك وحقك في الاشترك في حياة طفلك. هذا ببساطة أحد جوانب وكالتك التي تختبرها كأب تحت رعاية الله. إن ابنك أو ابنتك بالفعل قد أدرك سلطانك.

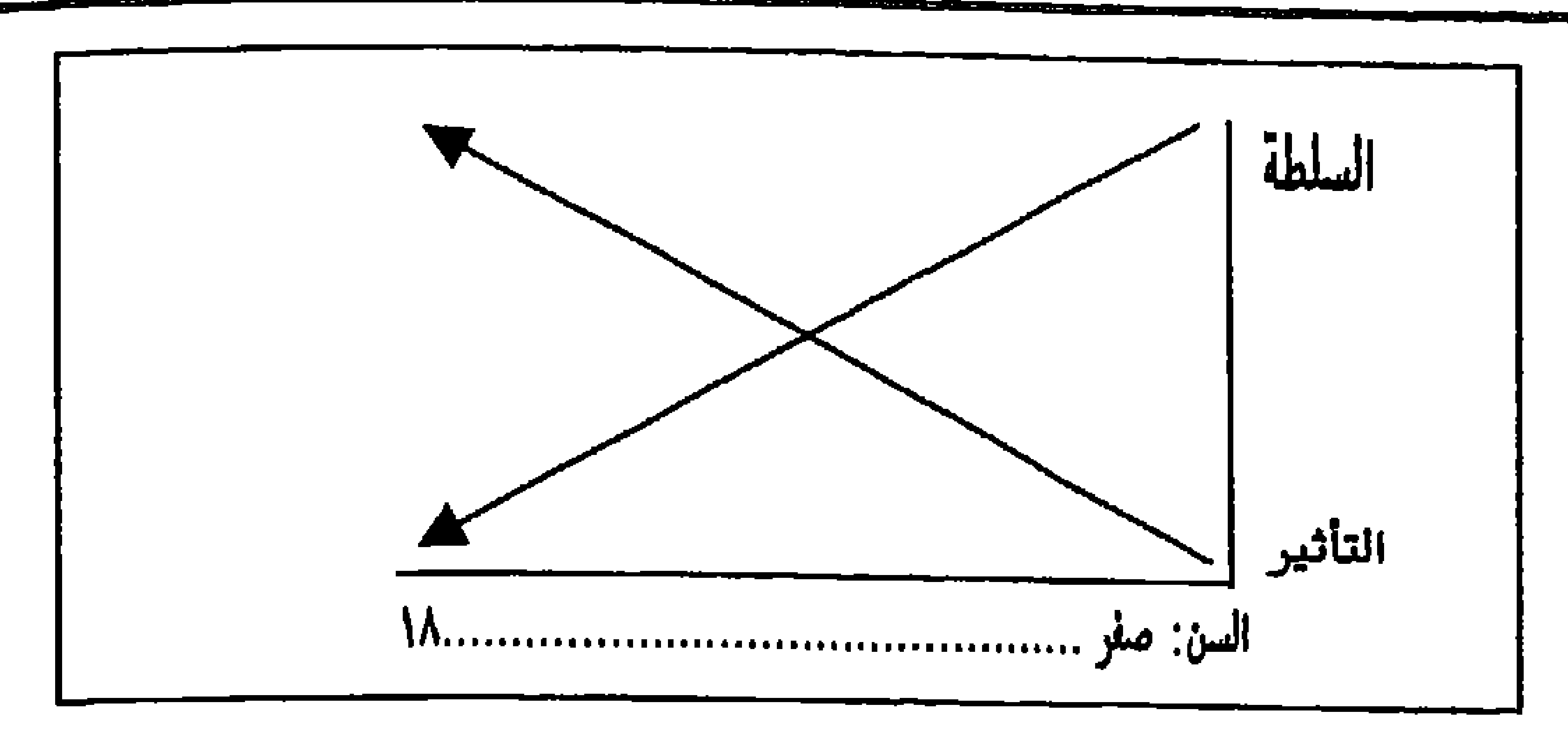
إن كان سلطانك على أطفالك المراهقين لم يؤسس بعد، يجب أن تأخذ الوقت لتطلب الله وتعمـل ثانيـة مـن خـلال حيـاتك مع طفلك المراهق. اعترف، أعد التفكير، وأسس سلطانك ومسئوليتك تجاه ابنك أو ابنتك بناء على كلمة الله لكما. لا يوجد اختزال لحقك كـراع له أو لاشـتياق ابـنك المـراهق لـلرعاية. إن الطـريق الوحيـد لهذه الأشياء هو التوبة والإيمان.

إن اهـتمامك لكـي تكـون قـوة بـناءة في حياة ابنك قد أُسس وظهر وأنت تبحث عن تعامـلك مـع شخصـيته في سنوات منتصف الطفولة. إن رعايتك الآن هي ببساطة امتداد لأدوارك السابقة في حياة طفلك.

السلطان مقابل التأثير

إحدى العناصر الأساسية للرعاية هو التأثير. تذكر هذا الشكل من الفصل العاشر:

يـدل السلطان في هذا الرسم التوضيحي على ما يمكن إنجازه مع طفلك لأنك أقوى، وأسـرع، وأكـبر، ... إلى آخـره. يمثل التأثير استعداد طفلك ليضع نفسه تحت سلطانك لأنـه يـثق فيك. إن دورك كمؤثر هو أحد الطرق لمساعدته ليعرف احتياجاته ويكون أميناً مع نفسه.



صورة ٦: السلطان / التأثير – العلاقة البيانية

على سبيل المثال، إن طفلك المراهق يصعب الانسجام معه. إنه دائماً يتصادم مع كل شخص في طريقه. إن كنت تحاول أن تستخدم سلطانك ببراعة، فأنت تستطيع أن تضع بعض القوانين. "أنا لا أريد أن أسمع منك هذا ثانية ... ستحرم من المال لمدة شهر ... لن تتحدث في التليفون ... أنا لن أسمح بهذا في منزلي!"

بالتوازي، إن كنت تطلب التأثير، فإنك ستتحرك تجاهه بالبراهين الرقيقة في الحياة. "أرى أنك في مشكلة تمنع أن تكون شخصاً ممتعاً. أنا أحبك وأريد أن أساعدك أن تتعلم أن تتكلم بطرق بناءة".

إن مشاكل المراهق تزيد إحساسه بالاحتياج إلى التحالف. وقد يقود هذا المراهق نحو صداقات يمكن أن تكون مؤذية. لكن بتوجهك نحوه لتوبيخه بمحبة ولطف، فإنه يقتنع ويقبل. إن هذا يحث الطفل على قبول التقويم كشخص حكيم. إن هذا لا يجعل الطفل يشعر مثل الأحمق. لا يجب أن تكون الإهانات الشخصية هي الجو العام الذي نوبخ فيه أطفالنا.

كأب يبحث عن الرعاية، أنت تطلب التأثير على طفلك لكي يستجيب للأمور المنطقية، المستخرجة من النظرة المتعمقة إلى شخصية الإنسان القائمة على أساس الكتاب

المقدس. أنت تطلب التأثير وتقدم المشورة. لا تستطيع أن تنجز أي شيء ذي قيمة دائمة لمجرد أنك ذو سلطة. يجب أن تطلب المشورة والتأثير.

إن ابني ذا الـ ١٦ سنة أتى متأخراً في إحدى الأمسيات. كان يوم إجازة من المدرسة بسبب الجليد الكثيف.

الابن: بابا، يمكن أن أذهب للتزحلق على الجليد لساعتين مع جيراننا؟

الأب: حسناً، لقد ذهبت لعدة ساعات وهناك واجب في حجرتك تحتاج إلى إنجازه.

الابن: فكرت أنني أستطيع إتمامه مؤخراً. أستطيع أن أتممه في الظلام، ولكنني لا أستطيع التزحلق في الظلام.

الأب: إنني أهتم بشيء. إنني أرى أن الواجب الذي في حجرتك كان يجب أن تفعله من أسابيع مضت ولم تنجزه بعد. إن هذا يشغلني، إنني أعتقد أنك تركت واجباتك غير تامة أكثر مما يجب. إن لديك توجهاً عظيماً تجاه أي شيء ماما أو أنا نسألك أن تفعله، ولكن المهام طويلة المدى التي تتطلب التزامك يبدو أنها أمر صعب عليك.

الابن: أنا مشغول جداً. في الوقت الحالي، أنا مشغول بالمدرسة والتدريبات، لا يوجد وقت لأقوم بها.

الأب: حسناً، أعلم أنك مشغول، ولكن اليوم إجازة وأنت تستطيع أن تفعلها. لا أعتقد أن هذا جيد لك. أريد أن أراك تتغلب على نفورك من المهام طويلة المدى. أنا فقط مشغول بك يا ابني.

الابن: أستطيع أن أقبل ما تقوله، بابا، ولكنني أفكر أنني أستطيع ان أذهب

للتزحلق على الجليد ومازلت أستطيع القيام بهذا العمل.

الأب: حسناً، يا ابني. أنت تعلم ما تحتاج أن تفعله.

لقد لاحظت بعد عدة دقائق أن "هارون" مازال في المنزل، فسألته "ألن تذهب للتزحلق على الجليد؟" فأجابني: "نعم، ولكنني قررت أن أقوم بهذا العمل أولاً".

كان هذا كل ما هنالك، لم يكن هناك صراخ، ولا تهديدات، ولا حديث مؤذ. لماذا قرر أن يبقى؟ لقد فكر أن لدي نقطة صحيحة، لذا فقد بقي ليتبع ما قلته له. كان يرغب في أن يفعل ما قلته متأثراً به.

إنني مقتنع أن هناك بعض الأوقات القليلة يجب فيها على الأب أن يطلب من ابنه المراهق أن يفعل أو لا يفعل شيئاً ما. في كثير من الحالات يكون كل يوم ممتلئاً بالمتطلبات، إلا أنه كثيراً لا يختبر الآباء المبادئ الكتابية. الابن أو الابنة الذي يتوقع أن يستجاب لطلباته من المحتمل أن يراوغ والديه ويفعل ما يرغب بأي صورة.

الرعاية من خلال الشك:

سيكون هناك وقت للشك والتساؤل في حياة أي شاب ينشأ في منزل مسيحي. إن جزءاً من عملية جعل الإنجيل داخل الإنسان هو الإدراك الذاتي للإيمان. يعبر كل شاب صغير في بعض الأوقات حيث يفحص مبادئ الإيمان المسيحي "ذهنياً".

يجب أن نأخذ بيد كل مراهق سواء آمن بالمسيح فردياً أو عن طريق أسرته. ستأتي أوقات يسأل فيها حول مدى سريان مفعول الكتاب المقدس. سيحتاج أن يقوي تمسكه بالحقائق الرئيسية للإيمان.

أحياناً، يصاب الآباء بالفزع عندما يطرح أطفالهم أسئلة متعلقة بالإيمان. إنهم يردون بأقوال مثل: "أنا لا أستطيع أن أصدق أنك تشك في الله" أو "عليك فقط أن تؤمن بهذا"

أو "ليس عليك أن تسأل في مثل هذه الأشياء".

شجع أطفالك لكي لا يهملوا أسئلتهم. ليس على كل شخص أن يجيب على كل سؤال، ولكن كل شخص يجب أن يجد حلاً للأسئلة التي لديه. *الإيمان المسيحي قوي بكفاية لكي يصمد أمام الفحص الدقيق.*

ستحتاج في بعض الأوقات أن تساعد أطفالك المراهقين لكي يجدوا إجابات للمشاكل التي لم تشعر أبداً بصعوبتها. قد تحتاج لتعليم نفسك. كنت أحتاج أن أتعلم بعض أساسيات الفيزياء لكي ما أساعد أطفالي أن ينظروا لهذا التأديب من وجهة نظر كتابية. قد تحتاج أن تساعدهم أن يجدوا كتباً أو مواداً دفاعية أخرى.

تستطيع أن تشارك خبراتك الشخصية في التعامل مع الأسئلة عن الإيمان. تستطيع أن توضح لهم أن الفلسفات غير المسيحية خالية من الاكتفاء والأجوبة الموحدة على الأسئلة الفلسفية الكبيرة عن الجنس البشري والكون.

لقد عرضنا أيضاً أطفالنا إلى علاقات مع ناس يفهمون عالم الأفكار من خلال ملامح الإيمان الكتابي. إن تنمية علاقات عائلية مع أشخاص مسيحيين لديهم اهتمامات عامة بالمراهقين هو أمر مهم لأطفالنا. لقد تقوى أطفالنا بالعلاقات مع الأشخاص المسيحيين الأكبر منهم. دعمت هذه العلاقات توجيهاتنا وشددت من تأثيرنا.

فوق كل هذا، لا تفزع من هذه الأوقات. تحرك فيها مع أطفالك، استودعهم واستودع تدريبك وخلاصهم لله القدير.

تفاعل إيجابي:

يجب أن تحافظ على علاقة إيجابية مع أطفالك المراهقين. يجب أن يحمل تفاعلك روح الخدمة. كن قوة بناءة في حياة أطفالك. أنت تريد أن تكون مصدر للتشجيع والإلهام.

ليس هذا سهلاً دائماً. لأن المراهقين يمكنهم أن يرتكبوا أخطاء ضخمة. هناك فجوة ضخمة بين رغبات المراهقين لكي ما يكونوا مستقلين وإدراكهم للحياة. وهذا يعتبر تربة خصبة لأخطاء ضخمة. من السهل للآباء أن يفقدوا بؤرة اهتمامهم.

في أحد فصول الصيف، كان ابننا يستخدم سيارتنا الثانية في الانتقال لعمله الصيفي. وفي أحد الأمسيات جاء إلى المنزل بممتص الصدمات الخلفي مربوطاً بحبل. وبطبيعة الحال، كنت فضولياً. كان يبدو أنه حين دار في انحناء في الطريق، تدحرج قلم من فوق درج القيادة إلى أرضية السيارة. عندما نزل ليحضر القلم، صدم حاجز الحماية على الطريق مما تسبب في سقوط ممتص الصدمات!

كان لدينا "أجزاء سيارة" في هذا الوقت، لذا قال ابني إنه سيصلح السيارة. في هذه الليلة نزع ممتص الصدمات التالف، ولكن لم يكن لديه وقت لاستبداله من "أجزاء السيارة".

في اليوم التالي دخل في جبل خلال ملف ثلاثي. من المحتمل أنه لم يكن يحدث الكثير من الدمار لو كان ممتص الصدمات موجوداً في السيارة ...

خلال أوقات الفشل مثل التي ذكرتها سابقاً، يحتاج أطفالك المراهقون رد فعل إيجابياً. أنت تحتاج أن تثبت نظرك على رؤيتك للأهداف التي وضعتها لأطفالك. إنهم يحتاجون الوالدين أن يكونا بنائين ومبتكرين. تحتاج أن يكون لديك إحساس مناسب بالإنسجام، متذكراً أن ابنك يستحق أكثر مما تستحق السيارة.

أنا لا أتحدث عن إعفائهم من المسئولية. ولا أتحدث عن عزلهم عن تأثيرات أخطائهم في الأحكام. هذه دروس هامة عندما تعالج للبنيان. ما لدي في الرؤية هو تفاعل أبوي ممتلئ من الرجاء والتشجيع. هذا التفاعل قادر على تحويل الإخفاق إلى فرصة

للتعلم والتقدم.

أنت لا تستطيع أن تتحمل تأنيب أطفالك المراهقين بكلمات مدمرة. الشاب الصغير الذي قيل له إنه "لا يستحق، أو أنه غير صالح، أو ساذج، أو متشرد" من المحتمل أن يحيا بحسب توقعات والديه.

يخبرنا سفر الأمثال أن الكلمات الحلوة تزيد علماً: "*حكيم القلب يُدعى فهيماً وحلاوة الشفتين تزيد علماً*" (أمثال ١٦: ٢١). الكلمات الحلوة تلين عجلات التوجيه. تؤكد الآية التالية على نفس الدرس: "*الكلام الحسن شهد عسل حلو للنفس وشفاء للعظام*" (أمثال ١٦: ٢٤).

لا عجب أن الكثير من المراهقين لا يتقبلون التوجيه من آبائهم. إنهم يعانون من قساوة وخشونة كلمات آبائهم. ستفقد أية توجيهات في الروح المجروحة مع النفور العميق.

"*قلب الحكيم يُرشد فمه ويزيد شفتيه علماً*" (أمثال ١٦: ٢٣).

في كل توجيهاتك، يجب أن يكون تركيزك هو أن ترى أطفالك المراهقين يجدون الراحة والقوة في معرفة الله.

عادة ما تفشل خبرة المراهقين. كأب مسيحي، يجب أن تصبح ماهراً، يجب أن تصبح مسئولاً عن أخذ طفلك للصليب لكي ما يجد غفران وقوة للحياة. إنك تؤذي أطفالك أذى عظيماً إن جردتهم من كل الاعتذارات عن الفشل وأجبرتهم على أن يروا الخطية كما هي، بدون إعطائهم طرق غير بالية للصليب. لا عجب أن يكون الأطفال المراهقون المسيحيون عادة لديهم مثل هذه الصورة الذاتية الضعيفة! لقد تعلموا أن ينظروا من خلال كل الآليات المزيفة للتعامل مع الذنب، لكنهم لم يتعلموا كما ينبغي أين يذهبون به.

حتى الأوقات التي تحذر فيها، يجب أن تحمل دافعاً إيجابياً. فأنت لديك نموذج رائع في الرسالة إلى العبرانيين. في (عبرانيين ٦)، بعد تحذير واضح جداً، أضاف الكاتب هذه الكلمات: *"ولكننا قد تيقنا من جهتكم أيها الأحباء أموراً أفضل ومختصة بالخلاص ..."* (عبرانيين ٦: ٩).

تنمية علاقة ناضجة:

يجب أن تكون علاقة الأب بابنه المراهق مثل علاقة الأشخاص الناضجين مع بعضهم البعض. هناك عناصر عديدة لعلاقة الأشخاص الناضجين توازي علاقتك مع ابنك المراهق. لا يشير هذا إلى أن طفلك يخرج من تحت مراقبتك كأب؛ ولكن عوضاً عن هذا، فهو يشير إلى حساسيتك كأب بارتقاء طفلك إلى مرحلة النضوج.

فكر في علاقتك مع طفلك من هذا المنطلق. في علاقتك مع أصدقاء ناضجين، كيف ستحاول أن تقنع هذا الصديق؟ ما هي الأمور التي يجب أن تفعلها، وما الذي لا يجب أن تفعله في صداقة مع شخص ناضج؟

في انتظار الوقت الصحيح:

في علاقة الصداقة المعتادة، لا تقطع أبداً علاقتك بصديقك في لحظة تراه يفعل فيها شيئاً شككت في حكمته، أو ظننت أنه خاطئ. طالما أن حياته غير معرضة للخطر، فأنت لا تهاجمه لأجل كل شيء تراه يفعله أو تسمعه يقوله. وإنما يجب أن تنتظر وقتك، منتظراً للحظة المناسبة. هل يحتاج أطفالك المراهقون إلى اعتبارات أقل؟

لقد انشغلت في بعض الأوقات أن أكون مع آباء لمراهقين وأسمع منهم تأديبهم لأولادهم على كل خطأ صغير. ليس لديك أية أعذار كتابية لتوبخ أطفالك على كل شيء فعلوه يغضبك. يجب أن تفسح المجال أكثر وأكثر لأسلوب ابنك المراهق المختلف

وطريقته، محتفظاً بالتقويم للفشل الأخلاقي.

عندما تقرر أنك يجب أن تتحدث في بعض القضايا مع أطفالك، يجب أن تنتظر الوقت المناسب. فإن كان لديك قضية هامة لمناقشتها، فمن الممكن أن تأخذ بعض الوقت في المشي أو الجري، فهذا قد يساعدك، أو تقود السيارة لتقدم وقتاً متصلاً لمناقشة جيدة.

اجعل حساسية طفلك تنمو. أحياناً، يكونون ثرثارين. وأحياناً أخرى، أقل اقتراباً. خلال الأوقات التي يتواجدون فيها، يجب أن تستعد للارتباط بهم. قد يكون هذا متعباً لك، ولكنه حاسم لعلاقتك بهم.

تعامل مع الموضوعات الشاملة:

في العلاقات الناضجة، أنت لا تبحث عن أصغر الأشياء عند أصدقائك. ولكن عوضاً عن هذا، تبحث عن موضوعات شاملة من الاستجابة. تحاول أن تفهم أنماط الاستجابة وهذا ما تتحدث عنه.

في التوضيح السابق الخاص بمشروع ابني، كان الموضوع الشامل هو التركيز على المهام طويلة المدى. كان مشروعه في حجرته توضيحاً لأمور أخرى. لهذا ذكرته، ولهذا استجاب. كان لما قلته له صداه في داخله. لقد صنع التواصل لأنه رأى النموذج في نفسه عندما جذبت انتباهه. إنه لم يعارض لأنه لم يحتاج أن يتعامل مع غضبي أو إحباطي. كان الأمر سهلاً (بالمقارنة مع الأمور الأخرى المختلفة) لكي ما يستجيب لتوجيهي.

إتاحة مساحة لعدم الاتفاق:

في العلاقات الناضجة، من الممكن أن لا نتفق مع بعض ونظل أصدقاء. نفس الشيء حقيقي في علاقاتك مع أطفالك. ليس عليهم أن يتفقوا معك في كل شيء لكي يحترموك.

أحياناً، يفشل الآباء في أن يميزوا بين ما هو كتابي وما يعكس تذوقهم الشخصي. في أشياء مثل الملبس، وقص الشعر وهكذا، من الممكن للأشخاص الأمناء أن لا يتفقوا. هناك مناطق كثيرة حيث تحتاج أن تسحب اللجام وتعطي توجيهاً واضحاً لأطفالك المراهقين. لا تضيع تأثيرك في أشياء غير مهمة. قد يعني هذا أنهم يرتدون بعض الملابس الغريبة من وقت لآخر. لا تقلق، سينسى الناس ترنحهم وستُحسم تجربتهم في الوقت المناسب. إنهم لا يحتاجون لأن يكونوا نسخة كربونية منك لكي يكونوا صالحين!

ما وراء جعل الإنجيل داخل الإنسان:

ليست عملية جعل الإنجيل داخل الإنسان النهاية. إنها ببساطة تفتح الطريق للنمو المستقبلي لأطفالك. تذكر، أنت تريد أن تراهم يأخذون أماكنهم كأفراد مستقلين تحت الرب يسوع. سيشمل هذا الآتي:

(١) تنمية ذهن مسيحي. يحتاج أطفالك لتنمية قدراتهم على التفكير كمسيحيين. إنهم يحتاجون إلى تعلم شرح أية منطقة من الأفكار لإخضاعها للنقد الكتابي.

كان على "هيذر" الإعداد لبحث تكتبه. كان موضوعه "إيذاء الطفل". اختارت مراجعها، متضمنة بعض الأشياء من وجهة نظر مسيحية. عندما أكملت الورقة، أحضرتها لنا لنفحصها. لقد ابتهجنا أن نرى أن خاتمة الدراسة كانت تحليلاً مسيحياً للمشكلة مع تقديم الحلول التي تعكس الإيمان المسيحي. وقد خلصت إلى أن هذا الإيمان هو المصدر الوحيد للشفاء النهائي والعميق.

(٢) تنمية الصداقات مع الكبار. هناك عنصران لهذا:

أ – اصنع أصدقاء من الناضجين في الكنيسة والمجتمع.

ب – تنمية التربية وإنشاء أصدقاء وعلاقات بين رفقائهم.

(٣) اكتشاف وتطوير خدمتهم المتميزة. إن هذا يشركهم بفهم كيف أن الله أعده لكي يصبح ضمن شعبه، كما أن هذا يتضمن إحساساً عميقاً بالتبادلية مع الآخرين وتأسيس التعاون بين شعب الله. أنت لا تستطيع أن تجعل هذا يحدث. فقط تستطيع أن ترعى العملية.

(٤) تحديد مستقبله المهني الذي يمكن له إنجازه بحسب متطلبات المجتمع وبحسب وصية الله التي يمكن أن يدعم نفسه بها، ويشارك الآخرين باحتياجاته. إن دورك هنا هو تسهيل إدراكه لمناطق قوته ومناطق ضعفه. لا تظهر الرغبة في جعلهم كما تريد أنت. ساعدهم على صنع الاختيارات التي ستجعلهم ناجحين فيما يرغبون في القيام به.

(٥) تأسيسه لمنزله وأسرته كعضو في المجتمع وكجزء من كنيسة المسيح. تستطيع أن تساعده لحماية أمانة علاقاته الأسرية الجديدة. تدرب على الحكمة الصالحة في توقعاتك منه. دعنا نفكر في علاقتك السابقة. يجب أن تتغير علاقتك بهم لأجلهم لتأسيس منزل وأسرة أمام الرب. تذكر، علاقة الأب بابنه وقتية. علاقة الزوج بزوجته دائمة. *"لذلك يترك الرجل أباه وأمه (علاقة وقتية) ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً (علاقة دائمة)"* (تكوين ٢ : ٢٤).

(٦) تنمية العلاقات الناضجة مع الآباء. إن هذا ينطوي على علاقة تبادلية، وخدمة مشتركة، حسبما يشاء تدبير الله.

استودع أطفالك لله:

تأتي مهمة الأبوة للنهاية. لم نعد بعد الرعاة المسئولين. هذا المفهوم من علاقاتنا تم. إن هذا سيكون حقيقياً سواء تزوجوا أو مجرد أخذوا أماكنهم كأشخاص ناضجين في

مجتمعهم. إن الله يقصد للأبوة أن تكون مهمة وقتية.

في التحـليل الـنهائي، يجب أن تستودع أطفالك مع الله. كيف أنهم حين يغادرون المـنزل سيعتمد هـذا عـلى أكـثر ممـا فعلته في تقديمك المؤثرات التشكيلية. سيعتمد على طـبيعة الـتزامهم تجـاه الله. وأخـيراً، أنـت تتركهم لله، وأنت تعرف أنك تستطيع أن تستودع أطفالك لله الذي يتعامل برقة معك.

أسئلة تطبيقية للفصل التاسع عشر:

(١) إن وجـدت أن علاقـتك بأبـنائك مُجهـدة، ماذا تستطيع أن تفعل لكي تشجع الفهم والشفاء؟ هل هناك أشياء يجب أن تتوب عنها وتطلب الغفران؟

(٢) هل تستخدم توبيخاً لطيفاً وكلمات حلوة للتأثير على أطفالك المراهقين من خلال رؤية كتابية؟

(٣) هـل تعـلمت أن ترعى أطفالك المراهقين خلال فترات الشك والحيرة بخصوص الإيمان؟ هل ترغب في مساعدتهم في فحص أسئلتهم وحيرتهم؟

(٤) ما هي الأوقات المناسبة لك لتناقش الأمور مع أطفالك المراهقين؟ متى تجد انفتاح وقبول للتفاعل؟

(٥) هـل أنـت تـربي أطفالك بوعي لكي ما يبتعدوا عنك؟ هل تشمل رؤيتك للرعاية علاقة تبادلية مع فتيان أكبر؟



فهرس الشواهد الكتابية

مرقس:

٧: ٢١

لوقا:

٦: ٢٧-٣٦

٦: ٤٥

٧

١٠

يوحنا:

١٣: ٣

رومية:

١: ١٨-١٩

٢: ١٢-١٦

٢: ١٤-١٥

١٢: ١٧-٢١

١٢: ١٩

أفسس:

٦

٦: ١

٦: ١-٣

٦: ٤

فيلبي

٢: ٢٠-٢١

كولوسي:

٢: ٨

٣

تسالونيكي الأولى

٥: ١٤

تيموثاوس الثانية:

٣: ١٦-١٧

تيطس:

١: ٦

عبرانيين:

٦: ٩

١٢

١٢: ٥

١٢: ٥-٦

١٢: ١١

١٢: ٢٩

يعقوب:

١: ١٩-٢٠

بطرس الأولى:

٢: ٢٣

رؤيا:

٣: ١٩

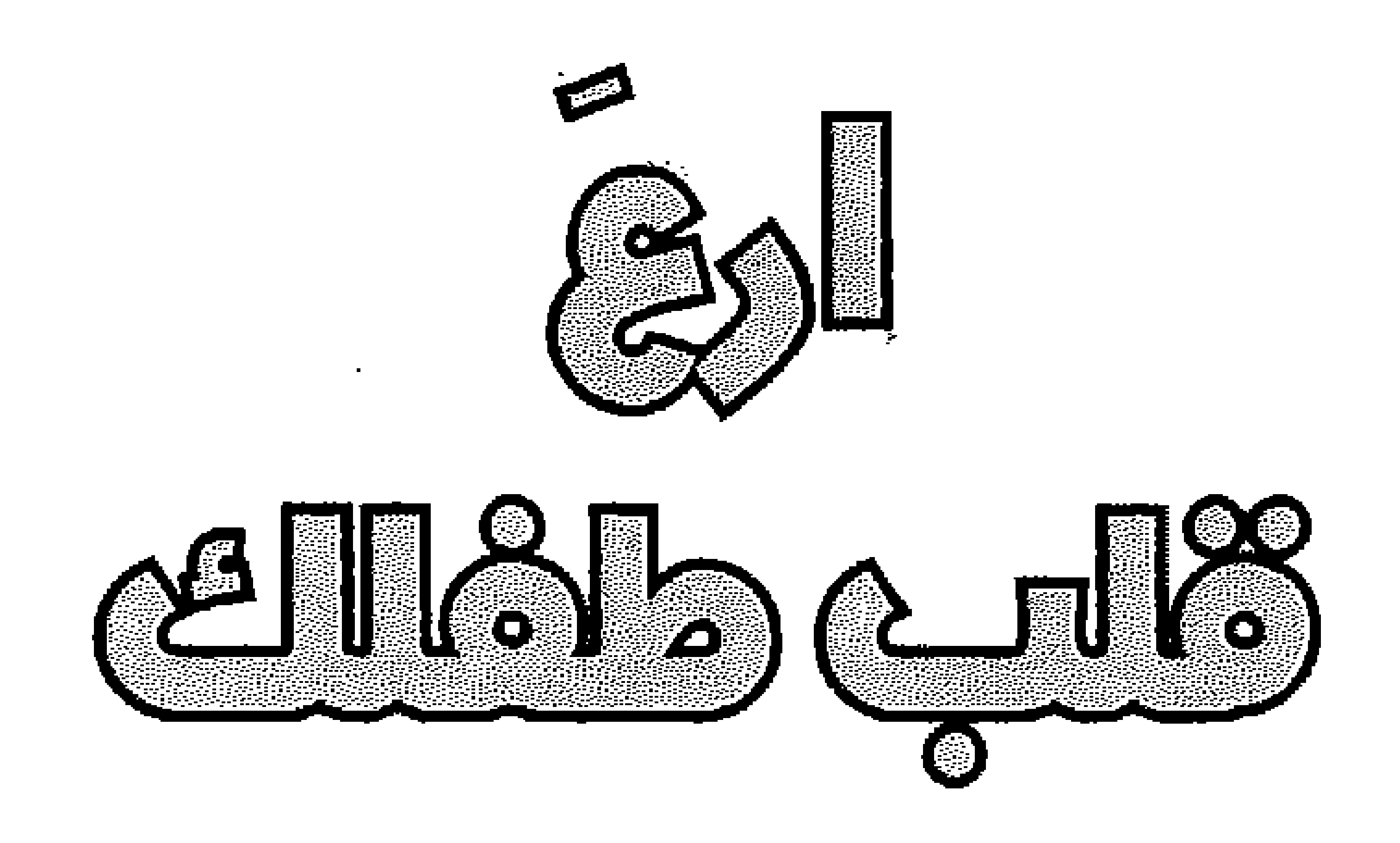
إصدارات مكتبة المنـار

	الكتـــاب	السـعر
١-	هل حقاً تكلم الله (طبعة ثانية)	٨,٠٠
٢-	جوني	٨,٠٠
٣-	انهض وحارب (نفذ)	٥,٠٠
٤-	لكي أربح (طبعة ثانية)	٥,٠٠
٥-	العلاقة الحميمة مع الله (نفذ)	٤,٠٠
٦-	رحلة في دروب الحياة	٤,٠٠
٧-	أعماق نفسي (طبعة ثانية)	١٠,٠٠
٨-	ترس الصلاة (نفذ)	٦,٠٠
٩-	لمسة رحمة لعالم جريح (نفذ)	٥,٠٠
١٠-	نسل إبراهيم (جـ ١)	٤,٠٠
١١-	نسل إبراهيم (جـ ٢)	٤,٠٠
١٢-	الحرب الروحية	٧,٠٠
١٣-	مع المسيح فوق الآلام	٣,٥٠
١٤-	روعة الحياة بالإيمان	٧,٠٠
١٥-	يشفي نفسي	٣,٠٠
١٦-	القيادة	٨,٠٠
١٧-	العهود السبعة ·	٨,٠٠
١٨-	كيف تنتصر على الخطية	٢,٥٠
١٩-	المحبة حينما تبدو مستحيلة	٥,٠٠
٢٠-	أين أجد الوقت	٦,٠٠
٢١-	اكتشاف المصير	٢,٥٠

٢٢-	العلاقات الصحيحة	٧,٠٠
٢٣-	سر القط الضاحك (أطفال)	١,٥٠
٢٤-	المسيح يحررك (كتيب)	٠,٧٥
٢٥-	أسرار النجاح الروحي	٦,٠٠
٢٦-	مصر المباركة	٧,٠٠
٢٧-	بالحقيقة أحرار	٨,٠٠
٢٨-	أسس خدمة الشفاء	٨,٠٠
٢٩-	حنان الآب	٢,٥٠
٣٠-	رؤية المدينة بعيني الله	٦,٠٠
٣١-	دعوة إلى حياة الطهر والنقاوة	٨,٠٠
٣٢-	لغات المحبة الخمس عند الأطفال	١٠,٠٠
٣٣-	بيلي جراهام	٥,٠٠
٣٤-	أخرج من مخبأك	١,٥٠
٣٥-	الديداخي - أي تعليم الرسل	٧,٠٠
٣٦-	الكنائس الشرقية وأوطانها جـ١	٨,٠٠
٣٧-	حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي	١٠,٠٠
٣٨-	التقليد الرسولي	٨,٠٠
٣٩-	الكنائس الشرقية القديمة جـ٣	٩,٠٠
٤٠-	سر البغبغاء الثرثار	١,٥٠
٤١-	المسيحيون الأوائل	١٠,٠٠
٤٢-	قصة ميلاد المسيح	١,٥٠
٤٣-	الانطلاقة	٦,٠٠

٤٤-	* الأساس الكتابي للتربية في مرحلة الطفولة المبكرة الكتيب الأول: دليل المعلم	
٤٥-	الكتيب الثاني: معرفة الله أبينا	
٤٦-	الكتيب الثالث: معرفة يسوع، الله معنا	
٤٧-	الكتيب الرابع: معرفة يسوع بواسطة الروح القدس	
٤٨-	الكتيب الخامس: التأديب الذي في البر (٥ كتب + ٣ شريط كاسيت + ٧ بوستر)	١٠٠,٠٠
٤٩-	نحو زواج أفضل	١٠,٠٠
٥٠-	المرشد إلى مجموعات الشركة الروحية	٦,٠٠
٥١-	إرشاد الصغار إلى الله.	١٠,٠٠
٥٢-	إعادة بناء الحياة	١,٥٠
٥٣-	أشتاق إلى الله	١,٥٠
٥٤-	البحث عن السلام	٥,٠٠
٥٥-	أسرار وعجائب في إنجيل القديس مرقس	٤,٠٠
٥٦-	غيِّر عالمك بالصلاة	٦,٠٠
٥٧-	غريب عن المألوف	٣,٠٠
٥٨-	مناضل في سبيل الحرية ـــ وليم ولبرفورس "محرر العبيد"	
٥٩-	* أبطال المسيحية: في الماضي والحاضر هدسون تايلور ـــ في قلب الصين	
٦٠-	* أبطال المسيحية: في الماضي والحاضر جورج موللر ـــ الوصي على أيتام بريستول	
٦١-	* أبطال المسيحية: في الماضي والحاضر كوري تن بووم ـــ حارسة جُب الملائكة	
٦٢-	آباء وأبناء	





لقد إهتم د. تيد تريب أن يعطي الآباء هذه الإرشادات القيمة عبر ٢٠ عام من خبرته كراع، وصاحب مشورة، ومدير مدرسة،وأب.

يتحدث كتاب "ارعَ قلب طفلك" عن كيفية التعامل مع قلب طفلك فالأشياء التي يفعلها الطفل ويقولها تنبع من القلب. جاء في إنجيل لوقا ٦:٤٥ "فإنه من فضلة القلب يتكلم فمه" وقد كتبت هكذا لتكون نموذجاً لتعامل الآباء مع الأطفال في أي سن، إن هذا الكتاب الذي يحمل بصيرة رائعة يقدم وجهات نظر وخطوات لرعاية قلب الطفل في طرق الحياة.

"يعرف د. تيد تريب ما يتحدث عنه ولمن يتحدث. إنه يعرف الأطفال، ويعرف الآباء... ويعرف طرق الله. يعلمك هذا الكتاب كيف تتحدث مع أطفالك وعما تتحدث. إنه يحثك لأن تصبح نوعاً مختلفاً من الآباء. إنه كتاب رائع".

– د. ديفيد بوليسون، معهد ويستمنستر اللاهوتي.

"مع زيادة المواد التي تتحدث عن الأبوة والأسرة، من المدهش -كما من المؤلم أيضاً- أن نرى عدداً قليلاً من الكتب تتحدث كتابياً. ولكننا هنا نجد إستثناء منعشا. يقدم "تيد تريب" للآباء مساعدة كتابية، جديرة بالثقة، وصلبة. إن كنت تبحث عن وجهة النظر الصحيحة والمساعدة العملية فلن تجد مرشداً أفضل من هذا الكتاب"

– القس جون ماك آرثر، راعي، مؤلف، ومعلم كتاب مقدس بالراديو

"إن مادة د. تريب عن الأبوة هي أفضل مادة صادفتها من حيث الوضوح، والإطار الكتابي، والمساعدة. لقد أصبح هذا الكتاب الأساس والعمود الفقري في أبوتي. فأنا لست وحيداً. إن شرائطه التعليميه أصبحت أكثر مادة كتابية تعليمية تطلب بين الطلبة، ذوى المشورة والأصدقاء"

– د. إدوارد ولـ

إني سعيد لتقديمي لهذا الكتاب لأنه يحمل تعليماً كتابيا واضحاً، علي نحو رائع. إن الآباء والأمهات
بصورة فائقة".

– إليزابيث إليوت، مؤلفة، ومعلـ

